

بيننا وبينكم

Checked

بقلم الروائي المرموق

المستر شارليس جارفيس

لغريب

محمد علي

بجريدة الاهرام

(نشرت تباعا بجريدة الاهرام)

١٩٢٨ - ١٣٤٣

الطبعة الاولى - ١٩٢٨ - اول اربع مجلدات

الطبعة الثانية - ١٩٢٨ -

الطبعة الثالثة - ١٩٢٨ -

الفصل الثاني

في محلة أطلقوا عليها اسم محلة «حنة الراقصة» اقيمت حفلة من الاخشاب وفماش الخيم تسمى «صالون الالدرادو» يتردد عليها عمال المناجم المجاورة للهو والشراب . وكان صاحب الحانة جالسا وراء «البار» كرسى على عتيق وقد مال في مقعده الى الوراء ينشد الراحة والسكون استعدادا للعمل الشاق الذي يقوم به ابتداء من وقت الغروب

وكان «الصالون» في هذا الوقت خاليا من الزبائن الذين يترددون عليه . ولكن الشمس كانت قد أخذت في الغيب فلا تضي فترة وجيزة حتي يندفع المعدادون لاطعام ظهائهم ، تتوق انفسهم الى كل ما قد ينسيهم اعيالهم اليومية الشاقة

وقد أطلقوا اسم «حنة الراقصة» على هذه المحلة لان الرجل الاول الذي اكتشف المنطقة وعرف ما فيها من المعادن ، كان متزوجا بامرأة تنتمي الى تلك الطائفة الغريبة التي اشتهرت بالرقص . وكان الرجل فظا سكيرا فساء معاملته زوجته وسامها سوء العذاب اثناء حياتها معه . واذ أراد ان يكرر عن ذنبه لعدو راقها فاضاق على المحلة اسم «حنة الراقصة» تخليدا له كرها

لقد لاحظ بعض بحق أن في وسع المرء أن يخفي معالم جريمة ارتكبها ، أو دكتته شخصاً عن الناس ، أو ربما استطاع أن يخفي جنسيتها ولكن هذه المرا لا يستطيع أحدا إخفائه رنمى به الوجود الذهب والبرازيل لبعض سائعي السيل . لكن اكتشاف معادن الذهب في وادي

« بلاك هورس » حتى أخذ الرجال يتقاطرون عليه فأقيمت هناك محلة ظهرت فيها معالم الحياة والنشاط بعد أن كانت المنطقة كلها جرداء موحشة ، وزاد في نشاطها وجود الالدرادو

وكان الرجل النائم خلف « البار » هو صاحب الحانة الاصلى ، وكان قد جاء الى المحلة — مثل معظم الآخرين — من مكان لا يعرفه احد وكان شيخا نحيل الجسم ضعيف البنية قنبرا بعضهم بأنه لا يستطيع أن يدير الحانة أكثر من اسبوع اخر ، لأن هذه المهمة تحتاج الى يد قوية لا سيما في محلة مثل محلة « حنة الراقصة » كل رجالها أو جلهم من العمالة الاشداء

على ان بارشمنت جو — وهو فيلسوف المحلة ومحام عتيق — هز رأسه الاشب عند سماع هذا القول وتبسم قائلا
 — نعم ان السيد جيم — وهو الاسم الذى اطلق على صاحب الحانة قبل ان يعضى على وصوله الى المحلة نصف ساعة — ان السيد جيم ليس من العاقبة ولا هو من الرياضيين قه ياء المض « ووسع اصحفكم جصا ان يعتمد اندسه بكل سهولة ، ونسكه يستطيع على الرغم من كل هذا ان يقهر اشدكم قوة واضحكم جمعا
 والواقع صدق الرجل فيما قال فقد نشب عراك في الليلة الاولى من افتتاح « الالدرادو » بين تولى يانس وانصر من اشقياء العمال امتدادا للفتنم في البداية ثم نبادلا الضربات واللكمات بعده وشه عايجه ان ادوات الحانة « فخرج السيد جيم مدس من حجب سريره انانى ومديه اليهما قائلا : صرف محامى : نزين

— « هو » الى يده امتيان . ما انشأت هذا « لالدرادو » قصات

فتح السيد جيم عينيه عند ما استيقظ من سنة النوم التي اخذته
 فرأى باب الحانة — وهو من قماش الخيم — يفتح في حذر وشاهد
 فتاة تطل منه . وكانت الفتاة صغيرة الجسم ولكن لم يخف وشاحها
 الذي غطت به رأسها ولا ثوبها الخشن الذي ارتدته ، رشاقة قوامها
 نعم لا يستطيع اشد المداهنين لها من المعجبين الكثيرين بها ان ينعتها
 بالملاحاة أو يصفوها بالجمل ولكن كان في جسمها الصغير وعينها اللامعتين
 وشفتيها الرقيقتين ما يملك عليك مشاعرك ويقبض على زمام عواطفك
 . وكانت الفتاة تدعى فوب وولد ، ولكن لم يعرفها احد الا باسم
 فينى . قد نزلت الى المحلة مع والد اضناه للضعف وأم خاتمة القوي
 وقد نوى كلاهما ولكن ظلت فينى في المحلة فتاة لا يحبها شيء غير
 روحها التي لا تعرف معنى الخوف والوجل واستقلالها وأندامها التي
 كانا لها درما يقيها كل شر وزيادة

أمنت الفتاة عند ما رأت الرجل مغضض العينين حلف « البار »
 فانسلت الى الداخل ثم أحرحت سترة رجلي من تحت ابطها ووضعتها
 في رفق على المنضدة ثم ارادت الانصراف في سلام كما دخلت ، ولكن
 مد السيد جيم ذراعه وأمسك يدها والسترة . ما ثم قال وهو يقبض
 على يدي التي تحاول الافلات منه
 — هلو فينى ، ما هذا ؟

فتأت الفتاة في شيء من الحجل والتجدي . ما
 — هذه سترة راف . لقد تمزق ظهرها وهو يتشاحن في ذلك اليوم
 مع بللى يانس . دع يدي
 — بعد لحظة يا فينى . علام كان يتشاحن ؟

— لم يكن هنا ما يستحق المشاهدة . جذب يانس اذن ابن حنكين
ولما كان راف مغرماً بالطفل — بل بجميع الاطفال — فقد اتى أدواته
وذهب الى يانس في الحال ، ان هذه مادة راف

فقال والد الشاب وهو يتبسم ابتسامة تشف عن الملل
— نعم ان هذه عادة التي ستسبب له كثيراً من المتاعب في المستقبل
ولكن لماذا لم نحمل السترة الى الكوخ يا فيني ؟ وعلى ذكر ذلك اقول
ان عمالك هذا مكرمة عظيمة منك لا يستحقها راف على ما اعتقد
تجاهلت الفتاة عبارات الشكر التي وجهها الرجل اليها وقالت
— أخذتها خفية من الكوخ دون ان يراني . وقد خفت الآن ان
احملها الى هناك خشية ان يقبض على وقتل اذا اتيت بها الى هنا حملتها
على ذراعي الى الكوخ لتضعها في مكان يراها فيه . لا اريد ان يعلم
انني اصلحتها

فأوماً صاحب الحانة برأسه وقال
— سوف لا يعلم شيئاً من ذلك . ولكن تخفين يا فيني ؟ ان
راف لا يفلظ في مماماتك
حولت الفتاة رأسها جانباً وعضت شفتها وأرخت اهدابها . وداء
الطويلة ثم تمتمت قائلة

— كلا ، ولكنني لا أريد ان يظن اني . . . انني مثل غيري من
الفتيات الاخريات اللاتي يتهاقن عليه

فقال الوالد وعلى نغمة ابتسامة ثم على كثرة التأمل والتفكير
— لا اريد انهم يتهاقن عليه لان راف ، لموه حظه ، قد ورث
محاسن الأسرة . . .

كف الرجل عن الكلام فجأة ولوم التكم فاجابته الفتاة في شيء
من الغضب

— ولكنه لا يشبهك في شيء

فضحك ضحكة رقيقة وقال

— كلا . اننى المحروف الاسود في قطيعنا ولكن اخبريني ،

اى بنيتى فينى ، لماذا تحملين نفسك مشقة اصلاح سترة راف ؟

امسك الشيخ ذراعها وحول جسمها نحوه في رفق ونظر في عينيها
فقابلت نظره في تحد وجراءة لحظة ، ارخت بعدها اهدامها وشددت
الضغط على شفتيها كأنها ارادت ان تخفى اضطرابها ، فترك السيد
ذراعها وهز منكبيه ثم قال وهو يخاطب نفسه اكثر من مخاطبتها

— حسنا ، لم لا ؟ ان فيك زوجة صالحة ماعدن ... او لنقل

زوجة معدن صالح . وهذه حالة راف وكل ما فيه

ابرقت عينا الفتاة وقالت بلهجة التحدى

— ليس لك ان تزعم ...

هز الرجل رأسه في ببطء وهو لا يزال يبتسم ثم مديده ليتناول

لقافة من التبغ قائلا

— لست ياعز زنى فينى شيخا طاعنا فى السن كما يلوح لك ،

ولكننى على كل حال قد بلغت من العمر ما يساعدنى على ادراك حال

فتاة تصلح سترة رجل ولا تريد ان يعلم انها هى التى فعلت ذلك

دفعت الفتاة رأسها الى الوراء وشرعت تقول بصوت فيه رنة الغضب

— اذا زعمت اننى اتوود الى راف كالفتيات الاخريات ...

فقاطعها في رفق قائلا

— لم افل شيئا من ذلك يا عزيزتى ، واقول الحق اننى كنت افكر
برأف اكثر من تفكيرى بك ، وهذا طبيعى لاننى والده كما تعلمين .
وهو مثل الجواد الجرح يحتاج الى من يسوسه ، ولا اكتم عنك اننى
اعتقد فيك تلك المقدرة بالرغم من صغر جسمك
مالت الفتاة نحو المصعدة وقد اذخت عينيها واضطربت شفاتها
ولعبت يدها النحيله بوشاحها ثم تمت بصوت متهدج قائلة
— انه لا ... لا يفكر فى ولا يشعر بوجودى على مقربة منه ...
ثم غضت شفاتها وانقطعت عن الكلام ، فقال الرجل
— الذنب ذنبك يا ميسى لانه يلهو بالعتيات اللائى يتهاقن عليه
كما تقولين

فقال الفتاة وهي تحجز على انيابها
— لست مليحة الوحه ثم ... ثم انى صغيرة الجسم ...
— تدلنى خرنق الطويلة يا عزيزتى فىنى على ان النساء الصغيرات
الاجسام هن اللائى يسنن شئون العالم . وما دامت الفتاة طويلة
بحيث تستطيع الوصول الى قاب الرجل ...
كف الرجل عن الكلام فجأة اذ فتح باب الخيمة ودخل شاب
نحامى الشعر — هو ابنه راف — وتقدم اليهما بخطوات واسعة
منعت الالهة هذا الشاب فوق ملاحظة وجهه ، جمعا قويا يحسده
عليه كل رجل وتعبدده كل امرأة . والواقم دخل راف الصالون
ينهادى بالخلوات خفيفة ثابتة مثل اسد القاب فكان كل من يراه وهو
يمشى برأسه المرفوع وحركاته الخفيفة لا يظن لحظة انه كان يعمل
ويكد طول يومه تحت حرارة الشمس المحرقة وانه جاء تواق من عمل

يقصم الظهر ويقت في المهد ، عمل كم اودى بحياة كثيرين وارسلهم الى القبر

مضى راف بخطوات واسعة الى ابيه وقد تجاهل الفتاة التي ارادت الانسلاخ خفيه لو لم يستبقها السيد حيم ويخطب ولده قائلًا

- هالو راف . يلوح لي انك على عجل اصغ لي . هذه فبني وقد جاءت الان - تتركك بعد ان اصلحتها . ان هذه مكرمة منها ، اليس كذلك ؟

تحول الشاب ووضع يده على منكب الفتاة وهو لا يعلم ان جسمها الصغير ارجف عند ما احست بيده وامتعق وجهها وحدقت النظر بعينيهما الخضراوين الى وجهه في شيء من الجراءة والتوسل وهو يخاطبها قائلًا

- شكرًا يا فبني على مكرمتك هاه . انك فتاة محبوبة ولكني لا اريد ان تكبدى نفسك مشقة لان لديك اعمالا كثيرة . هيا ، اجري الان

فادرت الفتاة الصالون ممرعة ولكنها وقفت خارج الباب واخذت تنصت فسمعت الاب يسأل ابنه قائلًا
- ما رأيك يا راف ! هذه فتاة صالحة ومستقيمة
فتال الشاب في شيء من الملل

- اى نعم ، ان فبني فتاة طيبة . لقد وقعت مشكلة في محلة « بلنكر »
- وهي محلة منافسة لهم في الجانب الاخر من التل - فقد كان بنمر يزورهم فآثار بعض العلاقات هناك بحيلة القديعة وقد علمت ان بعض الرجال ينوون رد الزيارة لساواثاره الفلأقل هنا . راغل انهم قادمون اقليلة

أوماً الوالد برأسه ولم يهتم بالامر اهتمام ابنه بل قال في هدوء
— لا تنزعج

رفع الغاب رأسه الى الوراء بحركة رشيقة وضحك قائلاً
— بل سيزعجوتنا . قسيأتون الى هنا طبعاً وسيكون واحداً واثنتان
منا هنا لقائهم
فقال الوالد

— لا بأس ياراف . ان بنمر شاب احق لاسياً اذا اكثر من ضرب
الحجر . كيف حال الحفرة ؟
فهر الشاب منكبيه وقال

— لم تأت اليوم بما يسد ثمقاتها
مال السيد جيم الى الامام مستنداً الى المنضدة واخذ يطيل النظر
الى ابنه من خلال عينيه اللتين اغمضهما قليلاً وأخيراً قال باهجة ذات معنى
— لا تستحق العناية ياراف ؟ لعمرى يخطر ببالي في بعض الاحيان
ان المهمة كلها لا تليق بك

جلس الشاب في رميل فارغ وبسط رجله الطويالتين قائلاً
— ما يليق لك يليق لى ياأت

فقال الرحمن

— املك من شاكلة غير شاكلى . . . اعنى ان هناك فرقاً شاسعاً
بين شاب على شاكلة قد دخل في مترك الحياة ويرشيق في آخر مرحلة
من مراحل حياته

رفع الشاب عييه وهو يتسم وتل في خشوة اراد ان يخفى
وراء حاجبه لانيه

لست طاعنا في السن يا أبت ولم فصل بعد الى نهاية مبتخاك
فهز الرجل رأسه وقال

— كدت أصل الى النهاية يا راف بل وصلت الى ما ساعدني على ان
ادرك ان ليس هناك ما يعوض الانسان من كده وجده في الحياة
لوم الرجل الصمت هنيهة ينظر الى ابنه في شيء من التأمل والتفكير
واخيرا قال

— كنت افكر بك في المدة الاخيرة يا راف وكما قلت لك ليس هذا
بجال يصلح للشاب مثلك فما قولك اذا اقترحت عليك ان ترحل من
هذه المنطقة وتحيا حياة جديدة في منطقة اخرى ؟
فاجابه الشاب على الفور قائلا

— اذا كنت قد مللت هذه الحياة يا أبت . . .

— انتى بعيد عن هذا المجال يا راف . لقد اخترت الاقامة هنا . أبقى
هنا لاننى ثور طعن في السن لا يستطيع ترك مزودى . لقد سئمت
الى فرصتي فجمعت منها خبيصة شائنة فمن الحق والصواب ان تحجب
حظك في الحياة . وليس هناك امل كبير يرجى من وراء التللكو حول
منجم . ولكن لا ، يجب ان لا انجسك حقلك فانت شاب نشيط تكدر
وتجد . ولكن اخبرني في صراحة كما يخاطب الرجل الرجل . الا تريد
ان ترى شيئا من حياة العالم ، وتعيش عيشة ارقى وتقوم بعمل ارفع
من عمل المعدن ؟

ضحك الشاب ضحكة قصيرة وقال

— لا ادري . ان الحياة هائلة قيضة ووسائل اللهو والتسلية متوفرة
على حين لا يوجد في العالم الخارجي غير المشادة والزراع . ومع ذلك اد

كنت تريد الانتقال الى مكان آخر فاني سارافكك اليه . اما اذا كنت
تتوى الائمة هنافساً بقي معك ولا أعلن أنك تريد التخلص مني سريعاً يا ابت
فأوماً الرجل برأسه وقال

- هو ما تقول . كلا يا ابني ، فان ثيومي الذي تفرق فيه يكون
هديد الوقع على . ونكس على انوالد ان يقوم بواجبه فهل تقنع بمسك
ان تقوم عمتي . تقف هنا حلف اليباء بعد ان أودع هذا للعالم وأودع
معه الحياة ؟

فاجابه رابن مريم قائلاً

- حسناً لا أعرف . يشا من أمي (المولود) هالاني لا أصاح
كما تعلم لهذا هذا العمل . ولا أستطيع اذرة لحانة وسيدة الفتيان
بالمقدرة التي تظهر حانات انيبرني يا ابت اني احياناً ، بر طائفاً يخطر
بمالي ان في رسعت ان تخلق من نفسك حفيداً عظيمًا لمعري في مقدورك
أن تقود فرقة من الجود

تورد ربه الشيخ الشاحب ومأله به جانباً وهو يضحك ثم قال
وهو يتظاهر بالمتعجب

- ليس من عادتي الا طراه يا فتى واني اشكرك على هذا التعمور
لقد فرقت من حديثي . فان كنت تريد لائمة ما كنت . وقد عشنا معاً
خير عيشة وكنت نعمة بين الناس المذبح

أكنه بر ربه راف . . . وحديثي قول أبي ما حيره ولا بكه ثم قال
- انما بخبري يا ابت . لا تمزع . سرف لا يمضي وقت صري حتى
اضيب صخوراً من صخور الذهب فمسا فرم الى الخارج للقسية
وتفرد مع النفس

فقال الشيخ في تردد وقد عقد حاجيه

— هل قصد السفر الى لندن ؟

— نعم اذا شئت ولكني كنت افكر بسان فرانسكو

فقال الوالد

— اي نعم . حسنا ياراف

ولكنه حول رأسه جانبا دون ان يراه ابنه وبذلت عليه دلائل

الهم والتفكير

قام الشاب وقال

— سأذهب لاغتسل . اين تلك السترة ؟

قدم لرجل السترة الى ابنه ثم قال وهو يتفحص في وجهه

— يا لها من فتاة رقيقة

فقال راف في غير اكتراث

— نعم ان فيني لا بأس بها

ثم حمل السترة على ذراعه وخرج

وثبت السيد جيم ينظر في تأمل الى باب الخبوة الذي اسدل خلف

جسم ابنه الطويل ثم انحول وتناول قارورة صغيرة من خلف صف

الترجاجات الموضوعة على الرف بجانبه ثم تناول منها ست نقطة أضاف

للبها قليلا من الماء وشرب المزيج وأخفى القارورة في مكانها

أخذ الرجال بعد قليل يصلون غرادي وجماعات الى المكان يحكي كل

منهم السيد جيم نحية منوها الود والاخلاص وهو ينفذ طلباتهم بكلمة

أو كلمتين رقيقة فكل ذلك ذلك دليلا واضحا على المسكنة التي

يشغلها في غلمهم .

زاد المكان ازدحاما بالوافدين واضيئت مصابيح الزيت التي ارسلت
أنوارها الضئيلة على جماعة المحدثين الذين تعالت اصواتهم وارتفع
ضجيجهم بالفناء قارة والضحك اخرى ولا عجب فقد كانوا يتمتعون
الآن بالراحة والهدوء بعد أن قضوا يومهم يجدون وبكدون فكانوا شبه
شيء بتلاميذ انصرفوا من المدرسة

وكان بارشمنت جو الحامى جالسا في زاوية فوق يرميل فارغ ،
يدخن غليونيه وينظر في تفكير الى جماعة العمال الذين جلسوا امامه
فمرا . وكان الباب يتحرك باستمرار لسبب تأديمين جدد فكانوا
يذهبون الى البار قوا فيتبادلون التحية مع صاحبه ويطلبون ما يريدون
من شراب ، ولكن دخل بعد قليل رجل شاحب ثلوز صغير الجسم
تقدم بخطوات خفيفة كأنه اراد ان لا يراه احد . فلما طلب شرابه
تمرس السيد جيم في وجهه وقال

— لقد تأخرت يا بنسر . هل قضيت وقتنا طيبا ؟

ثم الرجل بضع كلمات بلهجة ثم دلى اللقاق والاعتذار ثم حمل زجاجة
الى الزاوية التي كان الحامى الشيخ فيها جالسا

دعك ر ف به . حمر دقائق اشترى فاشتهه الجميع بالتحية

— كلا، لم أسمع أن أكون مثل رجل البوليس الذى يرشد الناس
الى ما يطلبون وفوق ذلك من اين لى معرفة ما يريد؟ ربما كان قادما
لاحد منا

فقال الخادم جوفى جفاء

— كلا، كلا، لو كان كما تقول لجاء يرتدى - فترة له ذيل أسود

طويل بدلا من ان يحل مظه

تعال اصوات الضحك وقال احدم

— ربما كان وكيل جديدا

فقال بللى على التمر

وكيل بيده الحذاء كلا، ربما كان مرسل

دهن تبيد رأسه رة

— كلا، اقرب الى الخادمة منه الى رجال الله

او ما بللى برأسه نحو الخادم الجالس فى الزاوية وقال

— أن الخلة تلتصق أكثر من حمام واحد

ارد الخادم أن يدمع عن نفسه هذا القول ولكن ربات الحديقة

نزلن الى - أنة دحى لومة دحله

كانت - له - دحله - دحله واحد على منهم عرطه لاهم وقته

ر دحله اكمار - دحله - دحله لاهم لاهم دحله دحله

لله - دحله - دحله - دحله - دحله - دحله - دحله - دحله

١٠٩١ - دحله - دحله - دحله - دحله - دحله - دحله - دحله

دحله - دحله - دحله - دحله - دحله - دحله - دحله - دحله

دحله - دحله - دحله - دحله - دحله - دحله - دحله - دحله

- سأتناول شيئاً من الشراب مع دقائق وفي خلال ذلك أرجو أن
تخبرني هل لديكم عامل هنا يدعى بنصر
اخترني بنصر في الحال خلف الترميل الفارغ الذي جلس عليه المحامي
فالتقى السيد جيم نظرة طويلة بطيئة على جمهور النمل امامه ثم قال في
هدوء وسط سكوت صديق
- لا أراه هنا

فرجع الرجل قائلاً
- ان هذا يدعو الى الاسف لاننا في حاجة شديدة اليه. اننا من
محلة « بلنكر »

او ما السيد جيم برأيه وقال
- من دواعي سروري ان اراكم اجلسوا هؤلاء المارة... كلا
لا اريد منكم تقودا لانكم غريباء يجب ان نستقبلكم على الراحب والسعه
فقال الرجل

- لا اريد الجلوس . لقد جئنا للبحث عن ذلك الرجل بنصر فاذا
لم يكن هنا يجب ان نخرج للبحث عنه . اصغ الى ايها السيد . بلوح
لي انك رجل صريح عادل فاعلم ان ذلك الرجل بنصر جاء الى محلتنا
وجرح رجلين من رجالنا بخنجره ولما كنا لم نعود ضرب الخناجر في
محلتنا فقد اعددنا له حبالاً للشنق

حدثت ضجة عند سماع هذا القول . وكان بنصر شاباً شجاعاً
ميالاً للفرار ولم تكن هذه أول مرة استخدم فيها خنجره بل حوكم
امام المحلفين في المحلة وعمقيب . فظهر الرجال استمداً هملاً لا يزال العقاب
(م ٢ - بين نارين)

به على فعلته هذه الاخيرة على شرط ان يحاكم امام محكمتهم وفلما قال بيللي
— اذ كان بنصر قد ارتكب ذنبا في محلتك فانتا منحناسبه عليه

فقال الرجل الغريب في استخفاف

— شكرا ، ولكن لدينا محكمتنا الخاصة وفي وسعنا ان نسوي

حسابنا معه

ثم رجال محلة « بلنكر » بالمخرج ، ولكن حدث لسوء الحظ
في هذه اللحظة ان داس المحامي على اصابع بنصر وهو مختبئ خلف
البرميل فصرخ وصخب ، فالتفت الرجل في الحال واراد الوصول الى
بنصر الذي قام من مخبئه واراد الهرب ، ولكن وثب بيللي من مكانه
واعترض الرجل قائلا

— سهر عليك الامر يا الغريب . ليس لك ان تأتي الى هذه

المحلة وتختلف رجلا من رجائنا كما كان فرعا لاقية له

لم يكذب بيللي ينطق بهذا التحدي حتى بدأت الضجة وأحاط جمهور
العمال بالرازيين الاربعة وقد ثار غضبهم لهذا العدل الذي عدوه انتهاكا
لحريتهم .

وكان زفاف تينتين الى لانا ، كذا . نفذ من كذا لانه كان
اول من رأى به و . يده . قدر في الاحبرن الاشارة ايضا فساد
التمكون تدور بها ، في حين وصال السيد حبه . رعيه الفوثرين
ومشيرا ر . بيللي

— في قوله صدق حق سمعتموه . رعيه الفوثرين .
الآن من توب ر لعلته في محماد . رعيه الفوثرين .
في محماد . رعيه الفوثرين . رعيه الفوثرين .

وكان المحامي جو يكره بنسر ومع ذلك قال

- سأتولى مهمة الدفاع

فقل الزعيم

- حسنا - منذهب وبلغ رفاقنا نتيجة مهمتنا .

كاد كل شيء يتم على احسن حال وينصرف الرجال في طريقهم
ولكن بنسر لم يكن لسوء الحظ قد تاب الى رشده فضحك ضحكة
عصبية ، وهي ثم لا مراء على الارتياح ولكن زعيم الرجال اساء
ادراكها ورسم انها سحرية بهم واستهزء فنهز مسدسه وكاد يقضى
على بنسر وشروده لو لم يكن راف واقفا على مقربة فضرب الذراع
التي صوات المسدس فأخترقت الرصاصه أسقف كالمو كان مصنوعا من ورق
انثنت صيحة غنيقة صمغ صوت راف من حلالها وهو يصيح

قائل صوت جهودي

- كوا أريك . ان تطعموا تبيروني . في هذا محض واما . ورا

معدسات

كانت الاشارة التي راغت سه سكام كينة وقف الرجال في
القاء على شكل حلقة وجميع الرجال سقرتهم - وكان راف يرتدي
الذرة التي املحها ميتو - ثم وقف كل منهم في م تربة . وقت
هو رمية ذيت فيه . ردة اس المون

مد الجليح صمغ ابراه في رفق الرجل ابراه حاء البهده
الرماء حرك شفتيه كذا اورد . يكلم ولكن راف في نظرة
لده من نمو على
الى راف في حاء

على شفتيه وازحى حفيه

وكان راف مثل معظم الذين لهم شعر نحاسى اللون سريع التعصب
ولكن كان قد تعلم في مدرسة المحلة كيف يكتم غيظه بالرغم من رغبة
الشباب . وكان رفاقه يعلمون أنه متى اتفقت عيناه الرماديتان وشدد
الضغط على شفتيه كان ذلك مذكرا بالخطر فعلى خصمه ان يتأهب عندئذ
للتنازلة أو يركن الى الامسكانة والمضجوع

وكان الدم قد ظهر الآن قليلا في عيني الشاب وهو واقف أمام
غريمه فرأى رفاقه هذا التذير فتبادلوا اشارات ذات معنى . وكانوا
كلهم يعطفون على الشاب ولو انهم لا ينكرون أن بنمر يستحق ما
اعيدته له رجال المحلة الاخرى من قصاص ، ولكن راف كان يدافع عن
المبدأ وحقوقهم في محاكمة رجالهم ومعاقبتهم

ساد صمت محقق عندما بدأ القتال . وكان الحظمان قويين فتقاتلا
بعدل كما يفعل المحصوم الشرفاء . وقد صوب الزائر ضربة الاولى
ولكن راف تحاشى شدتها وقابلها بمثلها في الحال ولم تمنع مدة وجيزة
حتى هبت المعركة واستمر لهيبها . وكان خصم راف رجلا بمثل الجمجم
قوي العضل ، فاذا كان ضربه كالها بقوة ، تولى حين كان الشاب
خفيف الحركة نشطا يكاد يعادل خصمه قوة

رأى النظارة وهم يراقبون المعركة في قلق ان الذوال سيطول ولكن
وقع حادث فجأة من الحوادث التي تغير مصير الرجال والامم فقد
اراد راف أن يتحاشى ضربة صوبها اليه فزاع فزاع قدمه وعندئذ
طوقه الرجل بذراعه ورفع يده ليكيل راف ضربة كانت ترسله الى
الارض لانه لم يكن قبل ان يوقع ذراعه بها شق حجاب الصمت

صوت غريب هو خليط من الصراخ والائين وكان الصوت مريعا
فكف الرجل عن ضربته والتفت الجميع الى مصدره فلم يروا السيد جيم
واقفا خلف البار كما كان لانه اختفى محالة فجائية فريبه
صاح راف في انزعاج قائلا

— ابت !

لم يتلق الشاب جوابا فوثب الى « البار » فوجد اباه ملقى على الارض
مغمض العينين لا حراك به فزعم الشاب المسكين انه تارق الحياة
ولكنه كان مغمي عليه

حمل راف أباه الى وسط المكان ، بحيط به جماعة من الذين تولوا
القلق والذهول ثم وضع قليلا من الحار بين شفتيه المتفتحتين وغسل
وجهه بالماء فانقذ الرجل في الحال ثم تكاف الابطمام وهمس قائلا
— احملنى الى الكوخ يا راف

حمله الرجل في عناية ورفق الى الكوخ ثم قادروه وهو في حالة
الموت لانه لم يكن ثمة ربيب في حالته — مع ابته راف والحامي جو —
وكان المريض بدمس في مشقة . تنفسا مضطربا قادرك الحامي الذي
كان اكثر خبرة من الشاب انه يحاول استرجاع قواه ليتكلم ، فسأله
راف في قلق قائلا

— ما انتظر يا جو ؟ ماذا اصابه ؟

وضع الحامي يده على قلبه واثقل

— اذ ، يشعر بضعف في قلبه منذ زمن مضى . وقد اغمي عليه مرة ،
ولم تكن حالته سيئة مثل هذه المرأة ، ولكن كتم حقيقة امره عنك
لانه لم يشأ ازعاجك

فسأله راف بصوت مبحوح قائلا
— هل حالته سيئة ؟ أبت ؟ ألا تستطيع مخاطبتي ؟
أوما للرجل إيماءة خفيفة وهمس قائلا
— حالا

استجمع الاب قواه الضائعة فوضع يده على يد ابنه وحاول ان
يمسكها ثم تمم في مشقة قائلا
— لقد حصلت على تذكرة السفر يا راف وكنت اعلم انها ستسلم
الى يمد قليل ، لاتزعج ابنا الذي فقد كتب علينا جميعا الرحيل من
هذا العالم عاجلا او آجلا . . .

أخذت افكاره تتشتت فعادت به الى الماضي كما يفعل الذين يحضرون
عادة ، عادت به الى احدى الخطايا ، الى احدى جهالاته التي هدمت ذمته
الماضي . وكان في هذه المسألة الخاصة مغريا لنيره كما فاز غيره مغريا له
ولكن الى الانتقام الذي يطاردنا بمعدات القدر لا يراعي نجاربنا
وضعتنا الموروث ، فيعرض عاجلا أو آجلا للتصاص الكامل الذي يجب
أن يناله الجميع على ما اقترفوا من ذنب وما ارتكبوا من مظالم

عادت أفكار الرجل وهو يحضر الى أيام شبابه وأوته عندما
كانت قلوب النساء تحرق وأعينهن تلمع اشدوده ، وكان رأسه يتحرك
يمنة وبدرة فوق الوسادة ثم ملل فاخذ يتمتم في توسل واستعطاف
وندم بصوت خافت مسمعه الرجلان اللذان يراقبه به بشق النفس قائلا

— لا . لا . لا . انكر . لا . انكر انني ظلمتك يا بولي لم يعد في لما اقترى
اصلاح الخطأ حاول أن تصفح عني . علم الله كم حزنيت وتغصبت
قلبي . لو وقف غيري موثقي لطاب محبتك عند ما هجرتني ولكني

لم أنس ما حدث ولقد حاولت أن أجذك والطفل ووددت أن أفعل ما
يجب على نحوك ونحوه إذا استطعت ولكنك ملكت عشارتي ولو سألتك
للمودة لى ما قبلت . لست الومك يا بولى لانه ليس فى مقدورك التغلب
على طبيعتك ولا تستطيعين التمسك طويلا بأى رجل . كلا، لا ألومك
ولا أريد أن التمس لنفسى المآخذ لأن الذنب ذنب الرجل دائما، اذ يجدر
به أن يكون أشد قوة وصلابة من المرأة ويجدر به أن لا يخضع أو
يلين . نعم يجب على الرجل أن يتخذ امرأته من نفسها . فمعدرة يا بولى
أننى أسألك الصنع والغفران

ازداد صوته اضطرابا وضعفا فامسك عن الكلام ولكن لم
يلبث أن عادت إليه حواسه ففتح عينيه ونظر الى الوجه المجعد الذى
مال نحوه وقال

— من هذا ؟

فقال الحامى جو بصوت مضطرب

— انا يا جيم . هل تشكر الما ؟

هز الرجل المحتضر رأسه وقال بصوته الخافت الضعيف

— كلا اننى أسير بخطوات هادئة أبها الرجل يجدر بك أن تقف بجاني

وتساعد راف فى تشييعي

وفيا كان السيد جيم يتكلم اذ فتح الباب ودخل رجل تنقأ أوصافه

مع الاوصاف التى ذكرها تيد واثارت اهتمامه ، فنظر راف إليه فى
هفوة وسأله الحامى : لا

— هل انت الطبيب ؟

فاجابه الرجل الغريب فى انفعال قائلا

— كلا . كلا . لست الطبيب ولكنى سمعت ان حادثا وقع وان رجلا جمل في حالة برئى لها فانيت لعل اقدم خدمة انفع مما يستطيع هؤلاء الرجال الفلاط تقديمها . اننى عمام لا طبيب تقدم الرجل نحو الفراش ومال فوق المريض ولم يلبث ان ارتجف وصاح قائلا

— والفريد رحماك يا الله !

سمع السيد جيم الصيحة ففتح عينيه وحدث النظر الى المتكلم وسأل قائلا
— من هذا

فاجابه المحامي القريب قائلا

— أنا فردون . هل تذكرنى .. يا الهى ، كيف التاك في النهاية على فراش الموت .. في هذه الحالة

تكلف الرجل المحتضر الابتسام وقال

— ان هذا مضحك مبك فردون . نعم اذكرك الان . . . راف (محولا رأسه نحو ابنه) ان هذا السيد صديق قديم لى وعنده ما عيخبرك به يائى . . . في الحال راف ، ولدى لما سألتك بعد ظهر اليوم مما اذا كنت تميل الى ترك هذا العمل والبحث عن عمل آخر ، كان الماضى قد تمثل امامى فاردت أن أقوم بواجبى نحوك كما اخبرتك . لم أخاطبك بكلمة واحدة عن ذلك الماضى وموخيته الحذر فلم تبدر منى إشارة صغيرة تفهم منها أننى غير ما عرفتنى — رجل طريد منبوذ ، صاحب حانة حقيرة في محلة . وقد تأملت نفسى في البداى ، عند ما سمعت التفتيان بطلقون على ، في لعبهم وزاحهم ، اسم « السيد جيم » لا اننى

كنت فيما مضى « سيدا » ياراف بل كنت : « ضابطا وسيدا »
 كانت كلمات الرجل متقطعة يتخللها فترات سكوت حتى تهدأ أنفاسه
 فشدد راف الضغط على اليد النحيلة وقال

— لقد كنت دائما رجلا تقى القلب يا أبت. لقد عرفت هذه الحقيقة

كما عرفها الجميع
 فقال الولدان

— شكرا ياراف . نعم ، لست سيدا فقط ، بل أنا من أسرة
 شريفة نبيلة . ربما يحتاج الى معرفة السبب في انحطاطي وتدهوري
 ولكنها قصة طويلة سيطلعك المعتر غردون عليها بعد رحيلي . . .
 ويكفى أن تعلم اننى تخاصمت مع الزمان فقهرني كما هي عادته دائما
 فاضطرت الى ترك الحياة لتقديمه وهبطت من تلال الحياة الى وديانها
 التى ربما واقفتى خير من مرتفعاتها وهذه حال بعض الناس : لقد
 فزت من عليائى على كل حال فلم أحاول مرة للصعود ثانية . . . وئو
 فعلت ما جيتت فائدة تذكر

صاح راف على كره منه قائلا

— أبت . لقد كنت دائما من خير الالباء

ولكن تهد الرجل وهز رأسه المتنب قائلا

— كلا بل ظلمته ياراف . فقد كان يجدر بى ان اهيبى لك فرصتك

من زمن بعيد فأرسلك بعيدا . . .

فقاطعه راف قائلا

— لو فعلت ما اطمنتك يا أبت

— ان قولك هذا مكرومة منك ولعمري لا اظن انك كنت

لطبعنى لانك كنت دائماً مغرماً بابيك ولو أنه علم الله لا يستحق ذلك منك . راف ، ان هذا الرجل جاء يبحث عنى... أليس كذلك يا غردون؟
 اوماً المستر غردون برأسه وقد بدت على وجهه دلائل التأثير من هذا المشهد ولكن كان يشوب هذا التأثر ما يشق عن الدهشة والحزن والواقع اجابه الرجل قائلاً
 — نعم اتيت للبحث عنك لان لدى نبأ خطيراً ... خطيراً جداً
 ياوتفريد

فقال الرجل المحتضر وهو يتنفس تالماً
 — ها قد وجدتهى ... ولكن بعد فوات الفرصة . ماذا تحمل
 من الانباء؟ مهما تكن فانها ليست مهمة فى نظر رجل فان مثلى
 تقدم المحامى جو وامسك بذراع المستر غردون قائلاً
 — هل يستحق الامر اطلاق راحته

تحول المستر غردون نحوه وهو يكتم انفعاله ثم تال باسطة يديه
 — نعم لاجل ذلك وانى اكره فكرة ازواجه الا ان وهو على
 فراش ... ولكن ايسر هذه حيلة . يجب ان احصل منه على شيء
 قبل ان ... قبل ان ... ان الامر على أعتاب جانب من الاهمية والخطورة
 وقد جئت من لندن على جناح السرعة لكي اخبره
 تحول المحامى نجر الفراش وخاطب الرجل قائلاً .
 — ولتفريد .. ها اسمعنى وتذكر ما اقول

حرك الرجل اتى نداء باسم «وتفريد» رأسه فى ببطء فامتأف
 المحامى حديثه قائلاً
 — حسناً . بدت لكي اخبرك ان ... انى ادجار وولديه توفرا -

في حادثة يخط - وانك ، انك ... حسنا . لا اخافك تجهل انك تليهم .
حاول السيد حيم ، أو بالحرى وتريد ، ان يرفع نفسه ولكنه
سقط ثانية وأخذ يلهث الى ان استطاع تحريك شفثيه في النهاية قال
المحاميان نحره ومعهما يترن

— مسكين ادجار ... وولده ! كم أنا آسف نعم اننى آسف
ياغردون بالرغم من الماضي . هذا نبأ ربيع . وانا الوارث التالى ؟ فلا
ريب لم يخطر هذا ببالى فقد كدت اُمى ... لدم ان هذا نبأ غريب
ياغردون . ولكن جاء بعد فوات افرصة كلا جاء بعد فوات الفرص
بالنسبة الى لا بالسبة اليه

زاد صوت الرجل قوة ونحوات عيناه في حنان وحب الى وجه
الشاب الجانى أدمه ثم قال

— هذا ولدى ، هـ اولدى الوحيد ياغردون

نظر المحامى في دهشة وحزن الى الشاب الجانى بحانه فراش أبيه
بشباب الرقة وقد سال الدم من شفثه المقصودة واناب اكدم فاهرة
على وجهه ثم تتم قائلا
— نعم . نعم . عذما أدركته

— ستجد وثيقة الزواج . شهادة ميلاد وجميع الادراق التى تحتاج
اليها في العدة الصغيرة تحت اقراش ... هذا رالف ولدى

تحول المستر غردون الى الخصى حو وتعل بصوت خافت ومضطرب
— دون هذه الملاحظات سأحتاج الى شاهد بأوامر المسترجو وقل
وعلى يخرج داترا قذرا من حبيبه
— لا احمل لك . انى محم

ثم شرع يكتب في دفتره فقال الرجل المحتضر وهو يلبث
— انه ابني الشرمي ... ان كل شيء حسن وحق ... لن نجد ...
لن نجد معقبة . نعم جار الامر متأخرا بالنسبة اليه ولكنه لم يأت متأخرا
بالنسبة اليه ، شكر الله . راف

وضع الشيخ يده الاخرى على يد ابنه وقد فاضت عيناه ببعز آخر
من الحنان والفرق وهو ينظر الى وجهه ثم خاطبه قائلا
— راف ، ستحدد منك قبالة لا نجعل منها خبيصة كما . كما فعلت
ارتخت الاصابع النعيلة الضعيفة وثرى الرجل شهقة طويلة ساد
بعدها على وجهه سكون الموت وسلام الله

ساد الصمت العميق بعد ذلك ولكن لم يلبث ان صرخ راف
صرخة شديدة والتي رأسه على جسم أبيه على حين حول جو وجهه
المجعد جانبا وجعل المستر غردون يمسح وجهه بمنديلته الى ان التفت الى
جو وأومأ برأسه نحو الرجل المتوفى وقال بصوت خافت مبهوح
— من ... من هو ؟ كان يخطر دائما انه اعظم مما يتظاهره وان
هناك قصة ... سرأفن هو ؟

تصنع المستر غردون ورمع حاحيه ثم هر رأسه كانه قلبت عاينه
عواطفه وأخيرا تحول نحو المحامي حو وأجاب في بقاء قائلا
— انه لورد سترافير . ولكن لا

ثم التفت في ذهول الى المعلن الشاب بشعره النحاسي وجروح
وجهه الدامية واستقر في حديثه قائلا

— لا . ان هذا هو لورد سترافير . يا الهي !
كان الاسم صحيحا بعد هذا الاسلاق الخطير — لأن المحامي جو

وكان المحامي جزو يرتدى بذلة قذرة سوداء جلس بجانب راف ووضع على ذراعه يداً مجعدة ترنحت حزناً وضعفاً بسبب ادمانه على الخمر . وكان المستر غردون قد جلس أيضاً عند دخولهم ولكنه وقف الآن وأخذ يقلب بعض أوراق تناولها من صندوق عتيق مضغوط وضع فوق المنضدة التي امامه

وكانت تبدو على الرجل سياء من لديه شيء كثير يريد قوله ولكنه يجد مشقة في البدء به فوقف يقلب الطرف فيما حوله ينظر الى الشاب الخشن بشعره النحاسي تارة والى الشيخ الاشيب الجالس بجانبه تارة اخرى كأنما وجد نفسه في ورطة لا يدرى كيف الخلاص منها
أخيراً جاء المحامي جزو الى مجده فقال مخاطباً الشاب

— لدى المستر غردون شيء يريد قوله لك ياراف . شيء هام فابذل جهدك لكي تستجمع قواك أيها الشاب لأن عليك أن تحتل المصدة او ماراف يرأسه وقال

— حسناً . ما الخبر ؟ هل كان والدي مديناً لك بنمود أو لديك شيء له . انني مستعد أن أوفى لك كل ما عنيه . انني أقوم مقامه مهما يكن الامر لأن أبي كان طول حياته رجلاً أبيض (يفصل حسن السيرة) نهديج صديقت الشاب وحطمت يده عن عينيه وتمرس في وجه المستر غردون الذي تملكه التقى وخاطبه قائلاً

— لا شيء من ذلك . لم يكن والدك مديناً لأحد بمال بل الامر بالعكس . أظن أنك لم تسمع ما دار من حديث عند ما كان والدك يحتضر ، وهذا طبيعي بلا مرأى . على أنك نه . انني جئت لأبحث عنه ، وأنه ليس كما أراد أن يظهر للناس ، رائى مركزه يختلف اختلافاً تاماً

عن المركز الذى كان يشغله هنا

هز راف كتفيه فى شئ من الملل أذ وجد من المشقة ان يصنع
الى هذا الرجل الذى يرتدى ثياب أهل لندن ويتكلم بصوت جاف
مضطرب لم يرق فى اذنى راف التين كانتا لاتزالان ترددان صدى
الكلمات الكبيرة المنجعة التى القاها القسيس على قبر أبيه

طاد المستر غردون الى حديثه فقال

— هو ذلك . والآآن يقضى على واجبي أن أطلعك على الحقائق
بصورة جلية ما استطعت . فاعلم ان أباك كان يحمل اسم المستر برون
هنا فى المجلة ولكن اسمه الحقيقى ، اسم اسرته هو هلعريف
فقال الحامى جوفى شئ من الحماقة والزهو

— كانوا يسمونه باسم السيد جيم

فأمن المستر غردون على قوله قائلا

— بالضبط . ولا عجب فان الدم الشريف يظهر فى أشد التجارب
والحن . وقد كان دم أبيك — ودمك أبها الصديق الشاب — من أشرف
الدماء . فأمرة هلعريف كما تعلم أبها المستر ... المستر ...

ثم سكت ونظر الى الحامى الرث فى حيرة فقال الرجل

— خير لك أن تدعونى باسم . جو ولكن أعرف اسرة هلعريف ،
أو عرفت عنها شيئاً فيما مضى ، فسي اسرة نبيلة كما تقول

فقال المستر غردون

— بالضبط . وأتعب من أقدم الألقاب وأشهرها لان أفراد الاسرة

من مشاهير ارجال فيبينهم القواد ورجال السياسة ...

وكانت أسكار راف بدأت تسبح فى الفضاء لتمود به الى والده

المتوفى ، فالتى المحامى جون فطره تم على التحذير وقاطع المستر غردون قائلا
- دعنا من كل هذا

تنصيح المستر غردون وقال

- كما نريد . انما حاولت ان اعطى صديقى الشاب العزيز فكرة
عن المركز الرفيع والمنصب السامى الذى ارادت العناية الالهية ان
يدعى الى ... الى ملته . والآن ترى بما ذكرته ايها القورد
سترافير ...

رفع راف عينيه وحدق النظر الى وجه المتكلم ثم الى وجه جو
وسال الاخير قائلا

- اينما يعنى

فقال المستر غردون وقد رند قلبه من ذى تمل
انتى اخذت بك ياسيدى العزيز . لاشك انك لم تدرك الحقيقة
الخطيرة وهي ان والدك كاذب قورد سترافير وراثت خليفته
عقد راف حاجبيه ثم اومأ برأسه وقال

- اذكر انك كنت تقول انك من بل ...
عندما ولكننى ماذا اعني . طر و
الطريق اذا لم كما
غير لم
ان
... .
... .
... .
... .
... .

أخيراً جاء المحامي جو الى نجدة ثانية فقال

— أصغ الى ياراف ... معذرة اذا كنت أخطبك بهذا الامم الى الآن ... اعلم أن لدى هذا السيد أنباء خطيرة لك . لقد حصلت على كنز ثمين من الذهب وهو يحاول أن يقهرك قيمته ... الآن اعرفني صمك واصغ الى . لم يكن والدك سيداً فقط بل كان نبيلاً . فهو لورد أى واحد من الاغنياء والعطاء الذين قرأت عنهم . ولما كان قد توفى الآن — وهنا تهديج صوته ولكنه تلك عواطف — فقد ورثت مهمته عليك القيام بها . دعى مهمة هائلة كبيرة لا تستطع أن تتصورها . وستجدها مهمة شاقة متعبة ومع ذلك لا مندوحة لك من القيام باعبائها . انها أشبه شئ بمنجم يجب أن نحفره الى آخر قدم . هل فهمت قولى ؟

فقال راف فى شئ من الخشونة والملل

— كلا . ماذا فيها ؟ وماذا نصنع ؟

ثأوه المستر غردون وقال

— حق أننى أرى ما تعنيه من ، شئ . اورد ترا فير ورفى وسعى أن أرى أنك لا تدرك الحياة الجديدة ولا الواحات التى تتعين عليك القيام بها . لا تستطع أن تكون فكرة عن أولئك ستدرك كل شئ . دعى دانت لحسن الخط شئ ، ولا يجب سوى انك ... دنت زكي نبيه ، فعليك أن تدعى قومه اليك كل من يدعى قومه . دنت زكي نبيه ، فعليك أن تدعى قومه اليك كل من يدعى قومه . لقد كنت أنا وأبى وجدى من قبل المستشارين القضاة الذين لا يعرفهم فيجب أن تتخفى لك مرشحاً وإيما . وصداقة الدكاك . ان أقول (١ - ٣ - بن ماري)

ذلك . يجب أن تهاجر الى لندن في الحال . . .

فقاطعه رافى في سكون وعدم اكتراث قائلا

— كلا . لست أنا . انتى واحد من أهل هذه الحلة ، ولدى خفى
أشتغل فيها ومن المحتمل أن تأتى بشرة طيبة ، ثم لدى الحالة أيضا نعم
أخبرت أبى أنتى لا أهتم بها ، ولكن الآن وقد رحل فانتى بدأت
أنظر إليها في ضوء آخر ولعمري يلوح لى أن من دواحي شرفى ونفارى
أن أقوم مقامه . . .

فصاح المستر غردون قائلا

— رحماك يا الله . لقد حرت في أمرى فلا أدري ماذا أقول ولا
ماذا أفعل . كيف تستطيع يا عزيزى الورد سترافير أن تبثى في
هذه الحلة تحمى اسما سخيفا مضحكا وتعيش بين هؤلاء القوم الغلاظ
وتدبر حاة . . . أواه ، ان هذا مستحيل . . . لا أطيق له ذكرا . . .
اعلم يا صديقى العزيز أنك لم توث لقبا رفيعا فقط بل وراثت معه ثروة
طائلة من المال وأملاكا وضياعا لا تقدر . انك لا تدري . . . منى
أأملاكت ويستحيل على أن أعطيك أية فكرة عنها في هذه اللحظة وفى
مثل هذه ا ل ريف

ضجعت المحمى حو صيحة حرة ثم شرع بشرح . شاب ما شكل

عليه همه مدد

— ان ما ليس به راف هو أنت تمام . ثروة لا تخصى رافه صابر
لديك انك لا يمكن . . . عشرين مائة مائة مائة مائة مائة مائة
ثم رافى حتره رافى رافى رافى رافى رافى رافى رافى رافى
رود فخفى رافى رافى رافى رافى رافى رافى رافى رافى

قصر نغم في الريف عدا القصر المشيد في ميدان جرسفينور
ارتاح المستر غردون لهذه المساعدة فقال بلهجة الامتنان
— هو ما تقول . نعم توجد بضعة أما كن يداع ايادها . . .
حسنا ، حسنا أنك لا تستطيع ادراك الارقام . فقد اشترى جدا اللورد
ستراثير منطقة واسعة من الارض في لندن تالت رقبيا عظيما مطرداً
ونظراً لاحمال المضاربة ولايرادات الامرة الضخمة فقد صار اللورد
ستراثير في الوقت الحاضر في المرتبة الثالثة بين أشراف البلاد
صفر جو وتتم دهشة قائلاً

— غنى « فاحش » الى هذا الحد ؟

فتحول المستر غردون اليه وقد استاء لهذا التعبير وقال
— نعم يا سيدي . وعلى ذلك فالت الذي خبرت شئون العالم ترى
أن وجيرد اللورد ستراثير في لندن أمر لا مفر منه اذ لا يمكن التقيام
بعمل ما يدونه وهناك لا ريب أصحاب عديدة . ن الحاجة تاسيه اليه
حتى في هذه اللحظة : نعم يجب أن أوافق - في لندن بدون ابطاء
فقال المحامي الرث

— أظن أن هذا ما يجب عليك منه ثم الشاب . يجب أن تصافر .
نعم من غير حرجة وشوق وسبب كثر في العراق . . . تليت وعلينا
ولكن سيع . . . يارائه . ثم . . . روة . . . ثمة حتى تائه
مهمة خطيرة يجب أن . . . ثم . . . ثم . . . ثم . . . ثم . . .
الآن . . . ثم . . . ثم . . . ثم . . . ثم . . .
وتم . . . ثم . . . ثم . . . ثم . . . ثم . . .
وتم . . . ثم . . . ثم . . . ثم . . . ثم . . .

الميدان ، والا فان ظنوني تخيب فيك

فقال راف

— ساسافر اذا جئت معي يا جو

احمر وجه الحامي جو وحرك قدنيه وهز رأسه وقال بصوت مبهرح

— ان هذا لا يكون يا راف ، فان لدى من الاسباب ما يمنعني

من اظهار وجهي في تلك البقاع الالهة باسكان وهي البقاع التي تقصدها

فاكتف مني بهذا القول

تنفس المتر غردون الصعداء ، جمع أوراقه ثم نظر الى ساعته وقال

— عمت ان عربة من عربات المسافرين تجتاز عباء المكان في

الساعة السادسة من صباح الغد . وهي ساعة غير مألوفة لك . اكون

ها كرا للورد ستر فيغير فضلاءنا ذا تأهب لاسفر معي تلك العربة

فقال راف بلهسة الاستملاء

— قل الى أين نحن مسافرون ؟

— الى لندن . الى اللورد سان اينزأر لا بطبيعة الحال

فقر راف دية كثرات

— ومن رددت ... من اين

فأجاب ستر في زدة فقه

— رافعه ... الى على

صاح ... من ... الى ...

... الى ... الى ...

... الى ... الى ...

... الى ... الى ...

لاتجاوز العشرين عاما بكثير . وعلى ذلك سيهتمون بك فيلبس ونك
ثيا باجيلة ويمشطون شعرك حتى تلمع الحدية والعشرين ...
فقاطعه المستر غردون قائلا بلهجة التأييب
- هذا طيب

فاعتذر هو قائلا
- انني أسف . وانما حاولت ان اشرح له الامر
بدت دلائل الملل على وجه المستر غردون وقال
- ان الامر بسيط . فالورد سترافير معدن ...
فقاطعه راف قائلا

- نعم 'انا معدن ، وهذا ما اود أن اكونه
- المعدن شيء آخر بالمرءة يا عزيزي الورد ومع ذلك اذا كنت
معدنا كنت تحت ومباية 'الورد' ان ايفز وستعيش معه فتحنى قائلة
كبر من عذبة : فخرته ومي يذك كما يتقربون تدر 'المركز' الذي
الذي ينظر في 'ا'

فقل الشاب في ارياب
- 'ما ادري' . قد لا أحب هذا الورد . ما اسمه ... لماذا يطلقون
عليه اسم 'ست' ايفز ؟ هل هو قديس ؟ ثم ربما لا يميل هو ايضا الى
زججه . وفاره المستر غردون قائلا

- 'ست' يا عزيزي . الورد ان الورد ان ايفز من رجال المحبرين
الذين يأمرون القلوب وسوف لا يسمعك الا تعديروا كاتمه وجهه واقفي
واقفي من ان يغتمه ...

انتطع رجل عن الكلام عن . ما رأيي . يبي الشاب المملوئين مللا

وتحدياً وشاهدته يهز رأسه بشعره النعاسى وتصور ما سيتولى الورد
سان ايفز من البهشة عندما تقع هيئاه لأول مرة على الورد ستراثير
الشباب . على أنه لم يقطع الرجاء ولم يلبث ان استطرد في حديثه قائلاً
— متى وصلت الى انكلترا يا عزيزى الورد ستراثير واحاط بك
اناس من مرتبتك وطبقتك فستعود فى الحال على الحياة الجديدة التى
تنتظرك وستفلم الاشواك التى نبتت حولك فى هذا المكان الوعر
الموحش ، وفى وسط مثل هؤلاء التوم العلاء الذين تعاشرم
حديق راف النظر الى الرجل فى استياء وحيرة وقال

— هل تعنى بقولك هذا الفتيان ؟ ماذا أصابهم ؟ اصبح يامستر .
لا تمتص اصدقاؤى باوصاف كهذه . انهم اخوانى ورفاقى الذين فاصرونى
كل هذه السنين . ولعمري لولا أن أبى اعرب لى عن رغبته فى القيام
بهذه المهمة الجديدة لما ذهبت معك ولكن أرى أن لا مندوحة لى
من الذهاب

التفت المحمى جو عندئذ الى المستر غوردون وهمس فى اذنه قائلاً

— حير لك ان تدع الامر عند هذا الحد .

وغملا الى هنا انتهت المفاوضة

ذهب راف بعد ذلك الى الحانة ليودع رفاقه . وقد اخبرهم بعزمه
على السفر ولكنه لم يطاعهم الى السبب الذى دماه الى الرحيل الى
تغيير مجرى حياته هذا التغيير الذى لم يرق فى عينيه . لم يندج قلبه
وقد تألم « الفتيان » نأ عزبه من الرحيل بألف شديد لانه راف
كان محبوباً جداً بينهم . وانواقع عز عليهم فراق الشاب بعاه وتاييه
وزاد فى حزنهم كما زاد محب السكينة فى خيمته على المكان ظلمة

وحلقة

وفي صباح اليوم التالي احتشد جمهور كبير عند زاوية الطريق لتوديع راف . وكانت حفلة الوداع مؤثرة جدا . فكان رفاقه يصاحفونه المرة بعد الأخرى ويتمنون له حياة سعيدة ولو أن بعضهم أعرب له عن اعتقاده علانية فقال أنه سوف يعمل الحياة في لندن ويعود إليهم قبل مضي زمن طويل . وقد ودع الحامي جو الشاب وداعا قلبيا حارا فنظر إليه والدمع يترقق في مائيه ثم خاطبه قائلا

— دع رأسك عاليا دائما أيها الشاب ولا تدع لاحد التلبية عليك اغرورقت عينا راف بالدموع سند ما صعد الى عربة المسافرين وركب بجانب شارلي السائق ونظر الى جمهور المودعين الذين جعلوا الآن يهتفون له ويلوحون بقباعهم وهو يتأهب لمغادرة الحياة القديمة ورفاقه الذين كانوا له أصدقاء وأعوانا واستقبال الامال التي تنتظره والتي لم يجد فيها مريحه آيها

اخيرا دارت العربة حول منعطف في الطريق واحتجبت الحلقة عن الانظار فتنفس المستر فردون الصعداء وتمتم قائلا

— شكرا لله

فلأنه لم يكذبك بنائز الكلماتين حتى جذب شارلي تنان الجياد مرة واحدة فالتفت . انه يرى السبب في وقوف العربة فرأى نيني واقفة بجانبها الصبية خافتة من الصرخ بجانب الطريق

سأل المستر غيدوني بلهجة اللال قائلا

— ما الداعي الى وقوفنا هذا ؟

دتمل شارلي وهو يكذب

— فقف هنا دائماً لتتمتع بجمال المنظر
احمر وجه راف ولكنه لم يتردد لحظة فوثب من العربية وتقدم
الى فينى ، وهى واقفة شاحبة اللون متقلصة الشفتين ، فقالت الفتاة فى
جرأة واهتذار

— لم أقصد ايقاف العربية. وانما ... وانما أردت ان أراك قبل الرحيل
فقال راف

— هذا حسن يا فينى لقد سررتي قدومك الآن لاننى لم أرك ليله
أمس عند ماودعت رفاقي وقد بحثت عنك فلم أجده فى أى مكان
عضت الفتاة شفتها وقالت

— لم ألق الا احتلاط بالجواهر ، ولمعنى يسرني انك لم ترفني
ياراف . ليس بين الجميع من هو أشد حزناً منى . وقد أحببت السيد
جيم ..

فقال راف بصوت مبجوح
— نعم ... نعم لا أجهل انك كنت شديدة الميل اليه دائماً .
لا تاحينى يا فينى . انى مسافر الى لندن ...

فقالت الفتاة

— اعرف ذلك

ولكنها عضت شفتها واستدركت خطأها قائلة
— سمعتمهم يقولون ذلك لن أنساك ياراف ولو انه ... ولو انه
بجتمل جدا ان لا أراك ثانية مدى الحياة . يجب ان لا اعطى شارلى
والا تار غضبه

دفع راف رأسه استخفاً وقال

— دعيه ينتظر . اصغى الى يافئى ، بلوح لى اننى أصبت شيئاً
عظيماً ... أو هذا على الأقل ما يقوله ذلك السيد الذى جاء من لندن ،
فاذا صحت امورى فأننى لا أتأخر عن مساعدة احد من اصدقائى
القدماء ... فبنى ، اذا أردت القدوم الى انكلترا ...

نظ هر شارى بأنه استيقظ من سبات عميق ونظر بها حوله منكفئاً
الدهشة ثم قال بصوت مرتفع صممه راف

— تبا لى ، لقد زعمت اننى فى فراشى

زجر راف وتناول يد فبنى فوجدتها جافة حارة وقال

— استودعك الله يافئى . لا تنسى

وكان الشاب والفتاة قد انحولا خلف الكتلة الصخرية ففقدت
الفتاة قوة ضغط النفس فى هذه اللحظة المثولة مطوقت عنق الشاب
بذراعيها المرتجفتين ورفعت وجهها اليه ، فتورد وجه راف ومال فوقها
وقبل الشفتين اللتين رفعتها اليه ثم لم يلبث ان قولاه الحجل فابعداها
عنه فى رفق ووثب الى مكانه بجانب السائق

لم يبد المستر فردون أية اشارة وربما احسن صمماً لانه لو فعل

لالقاء راف من العربى على الاربع



الفصل الرابع

النار الثانية

لم تمض عشرة أيام أخرى حتى ركب المستر غردون وراف سيارة الى قصر اللورد سان اغز في ميدان بلجراف . واذا كان المحامي المسكين قد وجد مشقة في سفره من محلة « حنة الراقصة » فقد وجد الآن اضعاف مالتيه هناك إذ يجب الاعتراف بأنه يعاني وقتاً شاقاً متعباً .

والواقع وجد الرجل ان راف جواز جوح يصعب قياده ، فقد ظلت وفاة ابيه عبئاً ثقيلاً على كاهله فتقضى الشاب المدة التي مكثها على طهر الباخرة في اجتناب المستر غردون وغيره من المسافرين على الباخرة وشغل الساعات الطويلة بين البحارة أو في غرفة الآلة . ومع ان رفاقه من المسافرين كانوا لا يعلمون شيئاً عن مركزه فقد جذبهم شخصيته وطلبوا وده ولكن راف تأبل توددم هذا بجمود دونه مجرد الصخر لما وصل الرجال الى لندن توفى المستر غردون الى حين راف على ان يستبدل بدلة المدينين الخشنة الرثة ببذلة أخرى تدق بالحياة في العاصمة الكبرى لذلك . على ان البذلة الجديدة التي ابتاعها لم تغير الا المظهر الخارجي لراف وظلت طباعه وأخلاقه هي طباع المحدث الفظ الذي وجدته في محلة « حنة الراقصة »

وكان المستر غردون يتوقع ان يظهر راف شيئاً من التمتع حتى وصل الى لندن ، ولكن الشاب لم يهش ولم يجب لشيء لان لعين التي تعودت انظر الى التلألؤ السريعة والنوديان الواسعة في امير كالانخل

بالشوارع المزدهجة ولا بالقصور الشاحخة

• فيما كانا في طريقهما الى ميدان بلخراف أخذ المستر غردون يشير الى الاماكن التي تلقت الانذار في العاصمة الكبرى ولكنه عجز عن ايقاد اقل جنوة من الحمية في صدر الشاب المتوحش ، وهو الوصف الذي نعتة المحامي به في نفسه سرّاً . و لواقع نظر الرجل الى القصر الفخم الذي وفقت امامه السيارة وتقم قائلاً

— هذا قصر اديع بما كنه وصيك أيها اللورد ستراثير

ولكن راف اوماً برأسه ونظر في اهتمام الى صبي من باعة الصحف يسير في الناحية الاخرى من الشارع

نزل الرجلان من السيارة ، فتمد المستر غردون للشاب وصعد درجيات السلم الاول ، ففتح أبوابها وتقدم بها عدد من الخدم الى غرف الاستقبال فجمع راف يحدق بنظر الى شعره الذي عقره بمحرق أبيض قائماً ينظر الى اشكال غريبة . وهناك المستر غردون في انفعال — سأذهب الى اهرور ساني ايفز وانخرم ذباً وصوراً

فقال راف

— حسناً

ثم أتى نفسه على مقعد ذهب واحد ينظر في شيء من الاهتمام والذهمة ، ثم سرى المفيدة في زين الحدائق والاشجار التي تميز التي تترجوله في القفزة

دخل استر غردون ذريعة استقبال صغيرة حيث كان اللورد صان ينظر في انتظاره . وكان خدمته حارساً بي مقدم ذي زواحي أمان المدفأ لانه لا يفسر كاذب شهر مايو والحو بارداً وطياً فذر المحامي الى جسده

الصغير وشعره الذهبي وثيابه الانيقة وهو جالس ينظر الى قدميه
الصغيرتين في شيء من التفكير

حرك اللورد سان ايفز يده البيضاء للصغيرة تحية للمستر غردون
وأشار اليه ان يجلس على كرسي في جواره قائلا

— ها قد عث يا غردون . هل صادقت وقتنا طيبا !

حبس المستر غردون قأواهاته في صدره وقال

— بل لاقيب وقتنا مزعجا يا مولاي

فتبسم اللورد وقال

— اذن في الامر شيء . . . لم أجد وقتا مزعجا منذ أعوام وعي

ذلك أمريك على ماثلت ثم هتيتك على وجه دابن ولعريد المسكين . أظن

الك جئت ! معاك

— انه في غرفة الاستقبال يا مولاي

— حقا ؟ وماشكا ؟ انني اذكر والده فتد كان شقيا كبيرا . سمع

لاصرفته المتائب . حياة غريبة هذه التي مجها يا غردون . لقا . . . ب

وامريك اللام والمتعاب فجمع وقد حثى من زمان بعيد حتى

كدت أنساه . ولم يخار بين ان يرث القاب ولكن ما اعرب دُرق

الله يا غردون ، وهذا المتائب . . . بل انتمى ما اسمه

— اسمه رالف يا مولاي وتسمه يراق . تسمه اسم راف

— نعم . ان هذا الشاب ، بروكس ، انه . كينز ، هو لود صغر نمبر

الجديد . أليس هذا من الدهسات ؟ ولكن ليس لي ولانك و .

لاحق في اوجردان يدرك عاية الله يا غردون أحمر في ماشكا ؟ ع . ل

هو عيظ

حبس المستر فردون تأوهاتة في صدره مرة أخرى وقال

- على شيء من المخلوطة والفاطمة يامولاي

لقد تاري بلا مرأى في ظروف تختلف عن ... ولكن ستراه بعيني
رأسك . لقد جئنا الى هذا مباشرة لان هناك احد لا عديدة تتطلب
الانجاز ان راف - انني فضامته - ينتظر في غرفة الاستقبال الصغرى
فلك أن تراه وتحكم نفسك أرحم ان تكون خطائى التي اعثت بها
اليك قد اعطتك فكرة ...

فقال لورد - ذايغز - ستسلام

- أى نعم - اننى اتوقع شيئاً غير مادي بالطبع انه غاب ترى في
برارى اسيركا بين قوم غلاظ

غلاظ جداد يمولاي

فاه المستر فردون به - لم يزل على كرهه - من اللورد

- هو - لول - قال - نه - فردون

- هذا - ارجو - ريت - ت - تاس - وت - وت - وت

يامولاي فهو شب عرس لما - حتم - مثله

تس - يترحش - فترقه ذ؟

سرع - هن - تاس - تاس - تاس - تاس - تاس - تاس

أولا - تاس - تاس - تاس - تاس - تاس - تاس - تاس

اليه - تاس - تاس - تاس - تاس - تاس - تاس - تاس

يحدث - تاس - تاس - تاس - تاس - تاس - تاس

ربيع - تاس - تاس - تاس - تاس - تاس - تاس

- تاس - تاس - تاس

— هذا اسم المحلة التي وجدته بها .
— حسنا : انه اسم غريب على السمع « حنة الراقصة » أليس
كذلك

— ومع ذلك وجدته شديد التعلق بالمكان وأهله .
— هذا طبيعي بلاربيب . لقد أخبرني ثقة ان الفقراء يسوءهم
الاتقال من الاقدار التي يعيشون فيها الى المنازل النظيفة التي بليت
لهم أخيرا . ولكن لا عجب فهذه سنة الطبيعة البشرية يا عزيزي فردون
ذكر المستر فردون للتجارب والمتاعب التي احتملها أثناء الرحلة
الى الوطن فقال في تأفف

— نعم ان المررد مترافير شيء كثير من غرائب الطبيعة البشرية
فقال للورد : ان انجز بلهجة الاطمئنان
— ولكنك ستصبح من شأه يا عزيزي فردون وستجدانه سينضم
الى سفوفنا في سهولة . سرعة
لم يسع المحامي ان قال بلهجة الارتياب
— هه ما سمعنا يا مولاي

دورادور

— فقه حارب فقه . انتهى معا ضحا ؟
وكان مستر مررين : « انه من دغيا را حجاب الحنا امطرقة ل
— ان ظن انك تمشي حزنا يا مولاي . » قضيت ما تموت
بغير ان ...

— هه ما سمعنا يا مولاي . هه ما سمعنا يا مولاي . هه ما سمعنا يا مولاي .
نعمي : رقي الى روية الورد . رقي الى روية الورد . رقي الى روية الورد .

— نعم أما الوصى عليك . أوجو ان تكون قد تمت برحلتك

فقال راف

— كذا كذا

لم يفه الشاب باكثر من ذلك اذ خيل اليه من الفرفة امتلائت
بالخدم الذين عفروا شعرهم بالمسحوق الابيض والذين كانوا يصنزون في
حديثه ويتظاهرون بمكس ذلك

قال القورد سان اغفر

— حساً . ستقص على كل شيء عن نفسك . اجلس ... هل نصر

على الانصراف يا غردوز ؟ كذا تر ... يا تلمي في اقرب كنت تستطيع

ثم تحول الى رئيس الخدم وسأله قائلا

— هل اللادي مود هنا ؟

فاجابه الخادم قائلا

— ان اللادي مود غرنتها يا مولاي

فقال القورد

— حراً . اللادي انتنازه . لانهم من الاشخاص الذين لا يتعامل

على مواعيدهم . . . في تمتعت رقتك يا رحلتك يا غردوز

ستراشير ؟ ان هذا زبد تره رحل . من الذي كان قد فضل السفر

على باخوف سر ؟ . حرة لعدة ثمان ؟

وكان راف قد جاء على يدى الخادم الى الباب

بمرتبة من اللادي مود . . . يا تلمي في اقرب يا تلمي في اقرب

عن ا . ر . ش . . . يا تلمي في اقرب يا تلمي في اقرب

ومع انه اراد ان يتركهم . . . يا تلمي في اقرب يا تلمي في اقرب

ترتدى ثوبا أنيقا كشف عن قوامها اللدن الرقيق ، ذات شعر كستنائي
أملس ، وعينين رماديتين جذابتين تتحولان إلى لون بنفسجي إذا انشغلت
صاحبتهما أو اضطربت نعم كانت الفتاة مليحة بلا جدال ولكن كان
في جمال وجهها ونظرات عينها شيء يفوق الملاحظة .

وقعت الفتاة في مدخل الغرفة وأخذت تنظر من أحد الرجلين
إلى الآخر ، وأخيرا استقرت نظراتها على وجه الشاب ، على حين صاح
الورد سان إيفز قائلا

— مود . هذا أنت ؟؟ يسرني قدومك . لقد وصل سترافير

الآن سترافير هذه اختي مود

محركت عواطف راب لأول مرة منذ وجوده المسترغدون . والواقع
لم يتأثر الشاب من ضخامة الباخرة التي ركبا أو يعجب بجمال قاعها
أو بعلاحة بعض المسافرين معه ولم تتحرك عواطفه لشيء ما بل كان
ينظر إلى كل شيء كما تقع عليه عيناه بفتور وجود لم يدهش المستر
فردون لها فحسب بل حار في أمره لأنه كان يتوقع أن يرى الشاب يحملق
بعمية . بفقر فاه لكل جديد تقع سواه عليه .

أما الآن فإن رؤية هذه الفتاة التي بدت كأنها غادرت غرفة التدريس
والتي كانت مع ذلك تنحها مهابة حاراف بالرم من حمله بها ،
جعلته يرتجف قائما برعنة مرة وهيهاتة فريدة شات كارد
فلم يعد طنته جمع شيئا . وكيزم في دله وحده وقديدها
طريتها ولا عجب أنه يرسم تمرة إلى الزهر الجملة
التي تبتت في حور سة تدار كذا كذا في ته اق ز اسماء
أصاية كحرق الرضان الدسة ر ز يه الا ه راني س كة جيز

وسط المصخور - نعم لم تقع عيناه من قبل على ملاحه فتانة تأمر القلوب
مثل هذه الملاحه الفاتقة التي زاد وقعها في القلوب عدم شعور صاحبها
بألمه الثمينه التي اغدقها الالهة عليها اغداقا

واذا اردنا التعرق في بحث الاسباب التي تغلبت على عواطف راف
قلنا ان في اطوار الفتاة مائثر فيه تأثيرا لا يقل عن تأثير جمالها . نعم
لم تكن اول شابة رآها وكان بعضهن جيلات - خذ مثلا فينى التي
كان الرجال يتشاحنون من أجلها - وكان على ظهر الباخرة شابات جيلات
خطبن وده ، ولكن اطوار هذه الفتاة كانت تختلف عن أطوار جسيم
الفتيات اللاتي رآهن من قبل

والواقع لم يتبسم اللادى مود ولم ترخ اهدابها الطويلة دلالا ولا
طأطأت - سها حياء بل وقعت في مكانها وجعلت تنظر اليها في رزانه ،
نظرات لا تخلو من الحنان والعطف ، نظرات هادئة بريئة احمر راف
عندها بان كل فكرة تدور في رأسه قد انكشفت لها وصارت بمثابة
كتاب مسطور نقرأه الفتاة بعينها 'لومديتين

حديق راف النظر الى الفتاة في صمت وقد تولاه الدهول وانقطع
عن الضعاف ، فقل الموردي نفسه انه لم يدرك رايكن نخسته كان على
خطأ ان حكمه ، لان « الملاحه » لم تكن اللادى في صمت الضباب وجوده
بل هي الزينة التي ملك قلب العابد الخالص اد مارشف امام تمثال في
مقهورة شدة طيبة وحسن

احير وعبدى احترامه ، ثم قد يدور رغبته مستحسنة
انما ان رغبته رغبته بغيرها تية من سحره - انما
فتنات ليه وده ياديه لصرته دلب سحره مع ملاحته

— اذا انت ستراغير . يسرفني ان ادراك ، لقد كنا في انتظارك
كانت هذه كلمات طادية ولكن خيل الى راف انها ذات اهمية
عظيمة حتى وجد نفسه يكررها في رأسه . ذماول اليد الصغيرة لرفيقة
وابقاها هنية في يده ولم يجرأ على هزها لانها بدت في عنقه صخرة
ثامة تخشى ان يسبها باذى . اما الفتاة فقد احسست ضساة يده وحرمتها
— خشوتها التي جاءت من أثر المطرقة والمعول وهو يحدث و يطن
الارض مما تخفيه من كسوز — ولم تكرر مود قد بدت مرفقة بطال
ولكن ظل وجهها على ملاحظته عند ما كانت هذه الفتاة ، وحاسست
في مقعدها امام المائدة

قال راف بصوت سبحوح غير حارته للجمهور :

لقد تأخرت الباخرة عن موعدها

فقالت اللادى مود

— وهل هذه أول مرة شهدت فيها انكرا لالديتي ؟

في عينيك ولعمري أكاد أحسدك على أحسنائك

عجب راف كيف ان هذه لخلقوة الحيلة لمجد في راف
فلم يسمه الا الابنساء وقد اذنت هذه الفتاة لار راحة ظاهري
الحظة التي تنام حامدا كالحمار ، ثم ان راحته لا تنسوة لاذنحت
الفتاة عند رؤيتها اذ ربه وسيم الظلمة حمير المح

وكان الورد ساني في راف راف في راف راف

احدثته ملاحظة انتبه في التاثير في قلب راف

— ان أمام مقرا غير الشئ . كذا . في راف راف

يامود : هذه الفتاة في راف راف . في راف راف

فأجابته الفتاة قائلة

— أم، مهمة جميلة . أظن أنك لم ترمسها

هز راف رأسه سلباً فقالت الفتاة

— ولا حفلة غنائية موسيقية ؟

وكان الشاب لا يزال في ذهوله فقال بلهجة ميكانيكية

تعمدنا ان نرسل بعض انظاري وأما شيدى « الصالون » . وفي وسع

واحد او اثنين مر الفتيان ان يهزا « صندوق الموسيقى » بمهارة

بدت دلائل الحيرة والارتباك على وجه الفتاة وحدق الوردسان

انظر انظر الى الشاب فاحمر وجهه خجلاً وقال على الفور

انى اعنى البيانو . وكان بعض الفتيات يفنين ، وكنا نقيم دائماً

حفلة غناء لكل فتى حانه الحظ ولكن هل هذا هو النوع الذى

تسنيه ؟

وقال الوردسان ايعز ردمر تسم

— ليس هذا بالصسط . ان مود تعنى « ابترت هول » وما شكلها

وهى مولعة بالموسيقى وسنريك كل شيء

وقالت مود

— نعم ف هذا جميل ، ولكن « هذا » الصالون ، الذى

ذكره الآن ؟

فقال ولها على الفور

— أصغى انى يا مود . ليس من اللياقة ان تشغلى كاهل سترافه .

يمثل هذه الاسئلة الآن

ولكن راف لم يقبل هذ المساعدة فقال بلهجة بطيئة دهره الحجل

لا تزال تخضب وجهه

— اعني « الصالون » الذي كان يدبره أبى في « حنة الزافعة »
الآن تعرفين ذلك ؟

فاسرع الورد سان اينز مرة اخرى قائلاً

— لم يمض وقت طويل حتى نسمع كل شيء عن ابيك يا عزيزي
ستراشير . وقد انصرف غردون الآن على عجل كما تعلم ولكن ، كما
قلت لك ستقص علينا كل شيء بعد قليل ...
— نعم ماذا ؟

انقطع الورد عن الحديث عندما اقترب رئيس الخدم منه وامر اليه
بعض كلمات اجابه الورد عليها قائلاً

حسناً . سأتى لرؤيته . انه ذلك الرجل الذي جاء الجواد الجديد
بأمود . اسألك المعبدة ، لحظة واحدة . اننى شديدة الرغبة في الحصول
على الجواد لان هناك كثيرين يسعون وراءه

فادر الورد سان اينز الغرفة وترك الشاب والفتاة منه دين بساد
انصمت هزبة كان راف في خلالها يراقب الفتاة وهي تدل ، يراقب
الآنامل الدقيقة البيضاء وحركة ذراعها كأنها يراقب حفلة غير مألوفة
وكانت عيناه لا تزدلان على التفكير لانه كان لا يزال مستاء من نجيب
الورد سان اينز الكلام عن الحياة القديمة في محبة « حنة الزافعة »
اخيراً رفعت اللادي مود عينيهما فرأت نظراته معسوبة اليوم فقامت
— حدثني عن ... أبيك

قدمت الفتاة هذا الطلب في رقة ولطف ولكن وجد راف فيه
ما يشعر بالامر فقطب جبينه قائلاً ولكنكم لم يحرجوا نظراته عن وجهها

وهو يجيبها في شيء من الجرأة قائلا

— كان رجلاً « أبيض »

فكررت كلمته في رفق فأنا ارادت أن تقف على معناها قائلة

— تقول أبيض ؟

فقال راف يعسر قوله

— أعني انه كان رجلاً مستقيماً بقي القلب لم يؤذ احداً في حياته

ان كل « الفتيان » يقولون لك ذلك وقد كانوا يحبونه ويحترمونه
ويطيعون كل اوامره فكانوا له كالاطفال وكان لهم كالوالد تكفيهم
كلمة واحدة منه . هل فهمت معنى قولي

فقالت الفتاة دون ان تبدي اقل إشارة تدل على الدهشة أو

الاستغراب من اللمحة العادية التي اعرب بها عن آرائه

— نعم فهمت

— حسناً ، كانت هذه صفات أبي . وكان يدبر « الالدرادو » وهو

الحانة الوحيدة في « حنة الراقصة » . املك لاتعلمين ما اعني . هذا اسم

الحلقة . وقد عشت هناك طول حياتي وكنت لابي وكان ابني لي كل

شيء . فكنا والدًا وابناً . كنا شقيقين ... رفيقين

تهدج صوت الشاب ثم سكوت غركت مود رأسها قليلاً واطاأت

اليه النظر بعينين خيل الى راف انهما نجهان لاهمان . وأخيراً قالت

— الآن عرفت ماتميه بقولك « أبيض » فانت تعني بقولك هذا

أن اباك كان رجلاً طيباً سيّداً

طوماً راف برأسه وقال بلهجة الاعزاز والفتخار

— كانوا يسمونه « السيد جيم » ولم أره يعتدي على أحد طول حياتي

فقلت الفتاة في تفكير

- يجب ان تحدثني اكثر من ذلك عن المحبة والرجال والحياة هناك .
لا بد أنها تختلف اختلافا عظيما عن الحياة هنا بحيث تشعر بغربة
او ما راف برأسه امتنانا لأنها أدركت حقيقة حاله وقل
- هو ماتقولين . ان الحياة هنا غريبة بحيث اشعر كأنني ممسكة
خرجت من الماء . أنها صفقة جديدة لأدري هل اوفى شروطها
هل تعني ... ؟ نعم . نعم فهمت . ولكنك لا تستطيع التخلي عنها
سيذهب عنك ما تشعر به من غربة بعد قليل وستعود الحياة الجديدة
وستجد مساعدة من الجميع

- هل تعنين بقولك هذا انك ستساعديني ؟

ألقى راف عليها هذا السؤال وهو يحدق النظر اليها في لفحة كأنما
يلتظر جوابا على سؤال هام ، فقاطبت الفتاة نظرتها في ثبات ثم فكرت
هنيهة واجابته قائلة

- سأفعل بلا ريب . ان ابني وصي عليك وستعيش معنا في منزل
واحد وسأساعدك طبعاً - أنا وابني - لكي تكون سعيداً

مال راف الى الامام ومد يده اليها قائلاً

- بالشرف ؟ هاني يدك

قبضت الفتاة . ومع ان ابتسامتها لم تكن لتدل على شيء الا هم الا
تلذذها بطباعه ، فقد سحب راف يده وقد تورد وجهه حياء وقال
- معذرة . أن هذه عادة اللقيان إذا اتفقوا على أمر فيا بينهم
واسكني أراها تخالف عادة القوم هنا . هاترين أننى اجهل قواعد اللعبة
لنى اتقدم للعبها

فقالت اللادى مود فى رفق

- لنعبر أننا تصالحنا على هذا الاتفاق . ثم لنعفى مدة وجيزة
حتى تتعلم القواعد كما تسميها لانك لاتبدو ...
فاتم راف جلتها قائلاً

- ... غليظ الرأس ، هذه حقيقة حالي . أننى لاعرف شيئاً ومثل
مثل دب صغير ماتت أمه قبل ان تعلمه كيف يلحق بخالته . ان امامي
هيئاً كثيراً أريد ان اتعلمه ويلوح لى أننى سوف لاصل الى شيء
فقالت الفتاة

- كلا ، بل ستصل الى كل شيء
ثم اطرفت هنيئة وطادت فقالت
- وعلى كل حال هذا أمر سهل ، فقط على المرء ان يكون
طبيعياً ... صادقاً

فقال الشاب بلهجة الامتنان

- هذا قول جميل . وعلى كل حال سأجرب الامر ، فاذا وجدت
الامر مريضاً شاقاً عدت الى المحلة وتوليت إدارة الحانة كما كان يفعل
ولدى العزيز

- انك لانتطيع ذلك . نعم لاعرف عنك شيئاً كثيراً بعد ،
ولكنك لست من الرجال الذين يولون الادبار ويركنون الى القرار
من مهمة تلقى على عاتقهم مهما كانت شاقة
نظر راف اليها هنيئة وقد خيل اليه أنها نبية أو عرافة وأخيراً
اعترف قائلاً بلهجة هادئة لطيفة

- هذا صحيح لم اتعدد الهرب ولو اننى لأأدرك كيف عرفت

ذلك ... ولكن يلوح لى انك تعرفين كل شىء عن الرجال . ان هذه
أول مرة رأيته فيها ومع ذلك أشعر بانك تعرفين كل شىء عنى
لم تجبه الفتاة على هذا القول . ولم تمض لحظة وجيزة حتى ماد
الورد سان اينز فاحس راف كأنما قام بينه وبين الفتاة حاجز متين
لا يمكن اختراقه

لما دخل الورد خاطب ابنته قائلاً
— جئت بالفرس ولكيك لانتطيعين ركوبها الآن يا مود لانها
لم تروض بعد الترويض الكافى
فتمضت الفتاة قائلة
— هذا مما يرثى له . كم يستغرق ترويضها من الزمن ؟ اريد ركوبها
فى الحال

— أسبوعين أو ثلاثة . يجدر بك ان تدعيها حتى يتم ترويضها
على الوجه الاكمل
فقالت بلهجة الاسف
— هذه أمد طويلة

ثم غادرت الغرفة تسيحها نظرات راف
التفت الشاب بعد ذلك الى الورد سان اينز وتل
— سأروض تلك الفرس واعيشها لها فى أسبوع واحد . كن
واثفا بذلك

مال الورد فى مقعده الى الوراء وهو يتفرس فى وجه الشاب ثم
قال وهو يهحك مرورا
— لعمري انك رجل غريب الاطوار يا سترا فير

لم يعلق راف على هذا القول بكلمة وزم الصمت هنيهة ثم رفع
عينيه وقال
— سأروضها في أسبوع ولكن لا تخبرها اننى أنا الذى فعلت ذلك

الفصل الخامس

في المنزل

لما فرغ راف من تناول الغداء تبع الخادم وصدهمه للماعريضا
الى دهليز بديع مزين بالصور ومن ثم الى جناح فى أحسن جزء من
القصر . وكانت خطواتهما صامتة لأنهما كانا يسيران فوق طنافس
مميكة . وكان الخادم بديع الشكل فى مشيته وهيبته على حين خيل
الى راف ان الصور المعلقة على الجدران تنثر اليه دهشة وتعجب لوجوده .
ولم يكن فى تلك الدهاليز هواء كثير وكان ما فيها منه شبيها بالرائحة
الثركية التى لاحظها عند دخوله لقصر لذك رأى ان المكان والهواء
الذى فيه تدو عليه دلائل الرقة والانونة فتضايقت نفسه

والواقع كان أول عمل قام به راف بعد أن أدخله الخادم غرفة
الاستقبال فى الجناح ان فتح النافذة وأطل منها وهلاً رثته بالهواء
العلق . وكنت خرفة تعالى عى انيدان نه وقت عيناه على الاشجار
والحشيش الحضره ! تعشت نفسه قليلا
وكان الخادم واقفا بجانب الباب مثل تمثال من الشمع فالتفت راف
اليه وسأله قائلاً

— ماذا تنتظر ؟ .. يا مملوك ؟

وكان الخادم يشعر برهبة من هذا الشاب الضخم بشعره النحاسي وطريقته الغريبة في الكلام وعينيه اللامعتين ، فاجابه قائلا
 - اسمي جيمس يا مولاي ، اذا سرت فحمتكم فقد راف في رفق
 - نعم أسر . ان جيمس اسم لا بأس به ولكن جيمي خير منه .
 انه أسهل في النطق ، ألا ترى ذلك ؟
 بدت امارات الملح على وجه الخادم وحال اضطرابه دون جوابه
 على انه قال

- هل أنت في حاجة الى شيء يا مولاي ؟
 - كلا ؟ سأقاديك انا احتجت اليك . انك على مقربة من هنا على
 ما اعتقد ؟

- يوجد جرس يا مولاي
 - حسنا . سأستعمله متى فكرت به ولكن النداء أسهل . الى
 أين يؤدي هذا الباب ؟

أشار راف الى باب في طرف الغرفة ، فاجابه جيمس قائلا
 الى مخدعك وغرفة الملابس يا مولاي
 - حسنا . لئلا تنصرف الآن

لما انصرف جيمس فرحا ، أخذ راف يتفقد الغرفة وما فيها
 في نفسه انها أصالح منة منها رجل وعجب كيف تكدر - رد - لا قد
 مود اذا كانت هذه - غرسة رجل - تحتوي على كل هذا الاثاث الخريف
 والواقع كانت الغرفة تحتوى على بضعة كراسي لين ومسكأ جين
 ومنضدتين صغيرتين ودولاب جميل لا يكتب ومجموعة يدوية ، وفي أحد
 أركانهم . ضلة للتدخين بجانب دولاب صغير مملوء ببقايات التبغ

حفظ اسمائكم جميعا اذا كان هناك غير الدين رأيتهم وهل ستولى
الاهتمام بشئى وادواقي ، هل هذا كل ما عليك عمله ؟ اذا كان الامر
كذلك فان مهمتك سهلة ايها الرفيق
تدعج ولسن وطاد الى الحقيبة قائلا
— ندى اعمالى العادية يا مولاي ثم على ان أساعد فقامتكم على

ارتداء ثيابك

فقال راف بلهجة عنيفة

— ماذا تقول ؟ تساعدنى على ارتداء ثيابى ماذا تظننى ؟ هل تظن
ابنى ميتوه أو طفل . لمرى أكاد أعتقد اننى شخص آخر . ما الفائدة
من تعيين وصى رخادم خاص . . وهل هذا ما كنت تصنعه طول
حياتك

فقال ولمون بلهجة الاحترام

— بعض هذا يا مولاي . وقد بدأت حياتى كغلام فقال راف فى

دهمه . بعيدة

— لماذا . كنت ميمته . أيها الشيخان

دهم الخدم رد راف

— كيف نظر غلاما يا مولاي ط لحياتى ؟

— سبح . اى وفات فى زمرته لانسليم الخروج منها ولكن
عليه . زادت فى بهتاج من هوا . ترقى يا رسول الله اننى حلت من
الدية الاحدى . نعم ، من بركة ردة فى مريكة ، جئت نرى
فى . زدتهم به . ليس فى . ما . دل لان لا
. ذلك اخرى

فقال ولسون

— أرى أن لديك ثيابا قليلة

تقول ان ثيابي قليلة ؟ لماذا ، ان في هذه الحقبة ما يكفي ستة أشخاص هل تعني اننى سأحتاج الى غيرها ؟

فقال ولسون في رزائه

— بلا ريب يا مولاي لا أرى بين ثيابك ما يصلح للسهرة ولا ممطفا للصباح . .

فقاطعه راف قائلا

— ماذا تظن ان افعل بالثياب الاخرى ، هل أعرغ ام انام فيها
انك في حاجة الى ممطف الصباح لكي تتمشى في البستان يا مولاي
أما ثياب نومك فهي وسعي ان اجد لك « بجاما »

— ما هذه ؟ ان اسمها يشبه نوما من الافاعي . آه انك تعني الثوب
الذى أرثديه عند نومي هل انا في حاجة الى غيرها ؟

فتمهد الخادم اذعانا وقال

— أى نعم يا مولاي

— أظن ان هناك مخازن عديدة في جوار هذه « المستعمرة » .

سأذهب الخراء ما احتج اليه منها

بدت دلائل الهدى على وجه ونسبتي وتتم ثلا

— ان هذا لا يابق امامك يا مولاي سيدنى خياط الورد عدن

اننى اريد هنا غدا ويحفى مع عينات من الالوانه تشينى منها ما تريد
ويأخذ مدقك

فادعنى . . ثلا

— حسنا ، ولكن يلوح لي ان هذه طريقة طويلة للحصول على الملابس

— ولكننا طريقة تضمن حصولك على ثياب انيقة يا مولاي متى تريد ان ايقظك في الصباح ؟

فقال راف اعتباطا

— حوالي الساعة الخامسة

نظر الخادم اليه في دهشة وقال

— ان الساعة الخامسة بعد الظهر يا مولاي ؟

كيف ذلك ايها الغبي ؟ هل تظن انني سارق قد في نراشي بلول يومي مثل فتاة مريضة ؟

كلا يا مولاي ولكن الوقت يكون مبكرا

— اذن في منتصف الساعة السادسة . متى يستيقظ الآخرون ؟

— يستيقظ فخادة اللورد في الساعة التاسعة ويتناول فطوره

الساعة العاشرة

فقال راف بهجة انه سعيد

— هذا لا بالأمي . انني تصور جوعا قبل هذا اليوم . دعاني

— في داعم فقامت ان . ذاول الشاي متى شئت . . . اطي

ان اعطاه . استيقظ في الساعة السابعة يا مولاي

— حتم ؟ ردا هو " طهي " ردا شافي ، على كل حال .

فقال رافون مسكبي

— طعمه هو " طعم " يا مولاي . دوكن في رسعي ان نعم

حسن . رائحة ت لدمع يا . قلب . من " شاي " وخبز " ناعم .

دار راف فوق السرير حتى استوى في مجلسه ثم خاطب ولسون
بلهجة الحزم قائلاً

— يلوح لى أننى لا أعرف شيئاً من قواعد العيشة في هذا المنزل
ولا القواعد البسيطة منها . لا أتناول الغاى في الصباح وإذا ذهبت
إن نأني الى بقىء من الطعام فأحضر معك شريحة من اللحم
و« شوب من البيرة »

فقال ولسون في ذهول

— وأنت في فراشك يا مولاي ؟

— كلا ايها المعتوه . ضعها في الغرفة التالية حوالى الساعة الثامنة
وسأنجول قبل ذلك حول المدينة ثم اعود ولى شربة للطعام
ماذا تصنع !

التي راف هذا السؤال لان ولسون كان قد تقدم اليه وشرع يخلع
معظمه — فاجابه الخادم قائلاً

— سأخلع معطفك لتفتسل فضاءمك

فرقم الشاب عينيه نحو المنقف وقال

يا الهى . ان من يرى هذه الاعمال يظن اننى مفلوج

ثم نزع معطفه وانناه على رأس ولسون فتخلص الخادم منه وتقدم
الى منبذة التنسيل ووقف بجانبها يحمل « نشقة » (فوطة) فدفع راف
رأسه في اوعاء الكبير ولم يلبث ان نظر الى الخادم سزرا وقال

— أيها الشاب ، انك تهمل واجباتك : لم تغسل وجهي بأصابون
ولا قفاى وسأضطر الى تغريمك ريالاً . هات هذه انقوطة وانصرف

(م ٥ - بين فارين)

نظر ولسون المسكين الى الشعر النعاسى ثم الى الفرشة ولكن نظرة أخرى الى وجه راف حملته على مفادرة الغرفة والاسراع الى غرفة الخدم حيث جلس على كرسي اعياء وأخذ يقص على رفاقه الذين التفتوا حوله ما أصابه قائلا ان اللورد سترافير الجديد لا يقل عن وحش ضار وانه يخشى على حياته منه

لما «تخلص» راف من خادمه شرع يرتاد على مهل الغرف التي خصصت له ثم زل الى البهو وأبالحرى حاول الوصول اليه فضل الطريق وسار خطأ في دهليز وفيما كان ينظر فيها حوله بشيء من الحيرة اذ سمع اصواتا نمتحه فنزل بضع درجات وعندئذ وجد نفسه في القسم الخاص بالخدم وكان خادم وخادمة يشتغلان بتنظيف الادوات الفضية اللامعة فقال

— أرى لديكم بضاعة جميلة هنا . من أي شيء صنعت ؟
ارتجفت الخادمة وحولت وجهها اليه وقد هالها ان تراه . وكانت تعرفه طبعاً من الاوصاف التي سمعتها عنه من ولسون وغيره من الخدم ؟
فاجابته بصوت خافت قائلة

— انها من ٠٠٠ من الفضة يا مولاي

فصاح راف دهشة قائلاً

— ماذا ! انكم هبة في منيع الاشياء هنا . ثم لا بد انكم اشتهرتم بالامانة . الا لا تخفيتم بيع بعض هذه الاشياء

فتبسمت الخادمة ابتسامة لا تخلو من الاحترام لان في أطوار الشاب زهيته ما يشعر بالاحترام بالرغم من خشوته ، وفوق ذلك كانت كل خادمة في القصر متدبئة بحيث لا تحاول ان تقرب الى شخص عظيم كاللورد سترافير مهما يكن قليل الخبرة والدراية . والواقع

اجابته الفتاة في هيبة قائلة

— ان المستر بارك رئيس الخدم يحصي جميع هذه الادوات صباحا ومساء ، وهذه العرفة من حديد فقال راف

— هذا أقل ما يجب عمله

ثم ضرب اسفل ذقنها بلطف وهو يتكلم فاحمر وجه الفتاة دهشة واستياء ولكن استياءها لم يلبث ان ذهب عند ما نظرت الى عينيها فلم تجد فيها ما يشف عن العداء ، على حين قال راف — لقد ضللت طريقى لان هذا القصر كبير كالمدينة . اخبرني أيها الرجل أين تربطون جيادكم ؟

بدت دلائل الحيرة على وجه الخادم هتية ثم أجابه قائلاً — ان الاصطبلات على مقربة من هنا يا مولاي . سأرافقك اليها تقدم الخادم راف الى الاصطبلات . وكان احد السواس جالسا على صندوق فارغ وقد شمر عن ساعديه يدخل غليونيه فلما ظهر راف انزع من بين أسنانه ودسه في جيب سرواله ثم وقف ورفع يده الى رأسه بالتحية فقل راف

— هل حرقنت لسانك ايها الرفيق ؟ لست ممن يرتاحون الى مثل هذا العمل وغوق ذلك فان التدخين لذيذ هنا في الهواء الطلق . وانا جيادك ايها الشاب

رفع السائس يده الى رأس ثانيا ثم فتح بابا من أبواب الاصطبلين ولم يكن به جياد . مديدة قيد ما خصص للمركبة وركب 'الادي' مود واتورد سان ايفز . وكان راف مغرما بالجياد فاختار يتنقل من مزود

الى مزود ويرمق كل جواد بعين الناقد واخيرا قال
— انها صينة قليلا لكثرة السكلا هنا وويرنه . انكم تقدرونه
عن سعة أما في البلاد التي أتيت منها فان الجياد هزيلة نحيلة ابن القمرس
التي اشتراها اللورد سان اغنز ؟

فتح السائس بابا خاصا وقال
— هاهي يا مولاي . انها فرس جميلة ولكنها صغيرة غير مدربة
ألتي راف على القمرس نظرة دقيقة فوجدها جميلة كريمة الاصل .
ونظرت القمرس بدورها الى الشاب ولم تلبث ان حركت اذنيها وجعلت
عند ما وضع راف يده على رأسها ولكنها هدأت وهو يمر بيده على
جسمها برفق ومدت انفها نحوه فتدل راف
— لا بأس بها . اصغ الى . سأتولى الاهتمام بها فاعيدها في الصباح
وفي المساء وسأروضها أن فروتها خشنة ، ليس كذلك

فقال السائس
— وصلت اليها الآن ولم يكن لدى وقت لتنظيفها
نزع راف سترته وصدريته وشعر عن ساعديه وقال مخاطبا السائس
— اعطني فرشة

دهش الرجل ولكنه جاء بالفرشة قائلا
— دعني اتولى تنظيفها يا مولاي . ان فروتها قدرة وأخشى
ان تلوث ملابسك

فقال راف
— اذا قمت بتنظيفها فان هذه ستكون أول مرة
ثم أخذ يداعب القمرس قائلا

— هيا يا جميلة . اثبتى يا حلوة . سأضع عليك ثوبا من الحرير .
دعها أيها الرجل . سنكون صديقين بمد قليل ، أنا وهذه الشابة الصغيرة
ثم شرع يسوسها وينظفها بمهارة فائقة ويد مدربة ، وهو يخاطبها
قارة ويفنى لها أو يصغر أخرى فلم تلبث ان مدت عنقها الى كتفه
فقال الشاب

— انها حلوة . هات بضع قطع من السكر لها
ذهب السائس فسمع راف على اثره صوت اللورد سان ايفز في فناء
القصر ولكنه لم يكثرث به واستمر في مهمته فجاء سان ايفز ووقف
جامدا في مكانه ، يمدق النظر في ذهول الى السائس الغاوى ولم يسمه
الا أن صاح قائلا

— قل ماذا تصنع يا عزيزى سترافير ؟
فاجابه راف في هدوء
— لا شيء غير انى ازيل انذار هذه القرس انها من الافراس الجنية
اليس كذلك ؟ أرى انك ماهر في استقاء الجياد الكريمة
فتلعثم . ان ايفز قائلا

— ولكن . . . ولكن لماذا تقوم أنت بتنظيفها ؟ يوجد رجال
عد يدركون هذا يا عزيزى سترافير . ولم يسبق ان . . .

فقط اطعمه راف قائلا

— لا بأس مطلقا

ثم ارتد الى الوراء وارتكن الى جدار الاصطبل ومسح بذراعه
العارية العرق المتصبب من جبينه وهو ينظر الى ماصنعتة يدها بعين
الارتياح والاعتباط ثم استطرد في حديثه فقال

— الا ترى ان على ان اهيء هذه القرض للانسة الشابة في خلال اسبوع وانه يجدر بي ان ابادر الى عملي ؟ انظر كيف صرنا صديقين من البداية ، اليس كذلك اى فروع الجميلة ؟

ثم ضرب القرض بلطف على عنقها وحك خيشومها الاماس ثم ارتدى سترته وغادر المكان بخطوات ثقيلة فصاح الرجل وقد هاله مارأى قائلا

— تعال الى القصر باهه لىكى تغتسل

فقال راف

— لا بأس

ثم نادى أحد سببان الاصطبل قائلا

— ائتني أيها الصبي بمجردل من الماء وقطعة من الصابون ومنشفة صدع الصبي بالامر فاضطر المورود سان ايفز ان يقف وعلى ثغره ابتسامة تطارد عبوسة وجهه علي حين كان لورد سترافغير يغتسل في جردل من جرادل الاصطبل يحيط به جماعة من السواس والخدم الذين هالهم مارأوا ولكنهم مع ذلك لم يسمهم الا الاعجاب به

ولما فرغ راف من الاغتسال وارتاد سترته خاطبه سان ايفز قائلا — اصنم الى . انى ذاهب قائمضى فهل لك ان ترافقنى الى النادى وكان الرجل يخشى أن يدع راف منفرداً لانه كان يستقد ان هذا الدباب الغريب لايد أن يأتى بعمل آخر لا يليق بكرامته فبتقدم على تنظيف المركبات أو اطقم الجياد أو يجاس للتحاث مع السراس

على ان الشاب قبل طلبه في ابتهاج قائلا

-- هذا حسن انى أريد أن أرى المدينة وقد اصر المستر غرديون

على أن يأتى الى هنا فى عربة فلم أر شيئا
تأبط اللورد سان ايفز ذراع الشاب وقلبه يفيض عطفا على المحامى
لمسكين ثم سار الاثنان معا فلما وصلا الى أول مخزن الملبوسات اعرب
سان ايفز عن رغبته فى شراء قماز له فدخل المكان وهناك جالس راف
على كرسي وأخذ يراقب سان ايفز وهو ينتقى القماز من الصناديق التى
جاءت بها شابة وعرضها عليه فقام راف من مكانه وخطب الفتاة قائلا
— اسمي أيتها الفتاة . انتقى لى زوجا منها

تبسم اللورد سان ايفز فى نفسه ولما سألت الشابة عن المقاس الذى
يلبسه راف لم تظهر شيئا من الدهشة عند ما أخبرها أنه لم يلبس فى
حياته قمازا ووضع يده الضخمة أمامها فقاستها الفتاة بالطريقة العادية
وفيا كانت تقدم اليه زوجا منه قالت بصوت رقيق خاله راف من مميزات
بنات لندن

— هل تريد قمazات بيضاء ياسيدى ؟

عندئذ حملق راف فى وجهها وقال

— ما فائدة هذه اذن ؟ اذا ارتديتها ظهرت كالغلام النرجسي

وتعزقت على أثر لبسها

فقال اللورد ايفز

— كلا . كلا . ستحتاج الى واحد منها لاجل حفلات السهرة

فقال راف فى نية من البلاهة

— حقا ؟ هل لك أيها الأئمة أن تعطينى واحداً كبيراً ؟

أخرج راف من جيبه كيسا كبيرا من الجلد ولكن سان ايفز مزم
اليه يده قائلا ان الاشياء التى ابتاعها ستفيد على حساب ، فقال راف

— هذا حسن . لا تقلق أيتها الآنسة اننى اقيم مدة وتقوى
كافية . اخبريني كم ساعة تشتغلين هنا وما هو أجرك ؟
هز سان ايفز رأسه اعتذارا للفتاة التى غلب عليه الحياء الآن .
ولما وصل الوصى مع الشاب الى الخارج خاطبه بلهجة رقيقة قائلاً
— اصم الى يا سترانغير . اننا لا ندمو الفتيات التى يشتغلن في
المخازن باسم « الآنسة » لانفس ذلك . لا أقول انه يجدر بنا أن لا نفعل
ذلك ولكنى أقول اننا لم نتموده

فسأله راف قائلاً

— من أين لى أن أعرف انها متزوجة ؟
أقطع اللورد سان ايفز عن الحديث وقد تملكه القنوط ثم سارا
في طريقهما الى بىكادلى واتفق ان مر على بأئمة زهور عرضت عليهما
بعض ورود فوقف راف أمامها وصاح قائلاً
— هذه ورود جميلة ، انها أول ما شاهدته هنا انظر كيف تقدم
إليك فتاة كهذه وروداً جميلة !! اعطى بعضها منها أيتها الآنسة ...
لست متزوجة أليس كذلك ؟

فاسرع سان ايفز قائلاً

— كلا . كلا لا نستطيع أن نحمل مجموعة كبيرة كهذه معك .
خذ ورود منها فقط

فقال راف في تبرم

كما تريد . كنت افكر بالسيدة الصغيرة فى القصر اذ يحتمل انها
بححتاج الى بعض منها
— هل تعنى اللادى مود ؟ اعلم يا عزيزى ان هذه مكرومة منك

ولكن مثل هذه الزهور ترسل الى القصر يوميا بكثرة لا حد لها
فقال راف

— ان مدينتكم جميلة . اظن ان بعض هذه المخازن تساوي مبلغا
كثيرا من المال ولعمري يلوح لي ان هذه المخازن ما يكفي لسد
حاجات العالم أجمع ثم ان قصوركم فاخرة . اخبرني من يقطن في ذلك المنزل؟
ثم أشار الى ناد من السوادي الكبيرى فاخبره الورد سان اينز
باسمه وقال له انها ذاهبان الى ناد مثله

فقال راف

— أعلن ان النادى عندكم هو مكان تذهبون اليه لتعضية شطر من
التهار والتدخين والشراب اتنا نسى مثل هذا المكان « سالونا »
لدينا في الغرب

الفصل السادس

مقابلة خطيرة

وفيما كان الرجلان يعرجان الى شارع ضيق اذ تقدم اليهما رجل
تبدو عليه دلائل الشقاء والتعاسة وطلب منهما احسانا . فطلب راف
جيبينه ونظر في حيرة الى سان اينز وسأله قائلا

— انه يتسول ، تعالى أيها الرجل

تقدم الرجل وقال فى استكاة

— لم أذق طعاما منذ يومين يا سيدي

فـأله راف لهجة قائلا

— ما هذا ؟ ألم تذق طعاما منذ يومين في مكان كهذا ؟
ثم رفع قبعته الى الوراء ودم يديه في جيوبه ونظر حوله في
حيرة وعاد فقال

— اذن لماذا لا تساعد نفسك ؟ اذن لابد أن تكون محتوها حتى
تسبر يومين بلا طعام وحوالك مثل هذه الاماكن . اخبرني من أي
طراز من الرجال انت ؟ خذ هذا واشتر لنفسك شيئاً من الطعام
ثم اتي اليه جنبها من الذهب فالتقطه الرجل وهرب مسرعا على
حين قال راف

— ان هذا انغرب ما رأيت منذ وصولي الى هنا . ان مدينتكم
هذه تظهر بمظهر الغنى والثروة ولكن ما قد رأيت هذا الرجل يأتي
اليك ويقول انه يتضور جوعا

فاستحنه الفورد سان ايفز على السير قائلًا

— ان الرجل كاذب على الارجح يا عزيزي سترافير ، ولكن هل
تظن أن ليس لدينا فقراء هنا ؟ ان لدينا ألوفاً من النساء والبؤساء
فقال راف في رفاة

— لا اجهل أن هناك فقراء ولكني لم أتوقع رؤيتهم وسط
الشوارع الكبرى في مدينتكم

فقال سان ايفز ، وربما كانت هذه أول مرة أدرك فيها حقيقة الامر
— انهم في كل مكان . ما حياها ؟ ان المدينة فاسدة بالسكان مثل
خلايا النحل . ليس هناك عمل ما . وعندى أن معظم الرجال الذين رأيتهم
الآن لا يجمعون عن الاشتغال اذا وجدوا عملاً ، ولكن عليك
يا سترافير ان لا تأتي ذنوبك بهذه الحلة فقد كان يكفي أن تعطي بأمة

الزهر شلنا واحدا ومثله لذلك المتسول ولكن لاتفاق فستقف على كل هذا في الوقت المناسب

فقال راف بلهجة الارتياب

— قد يكون ذلك ولكن لماذا لاتشحنون مثل هؤلاء الاشخاص إلى الخارج ؟ اننا في حاجة تاسية اليهم في الغرب (امريكا) هل تقصدون أن تتركوهم هنا يتضورون جوعا ؟

فقال اللورد سان اينز في ببطء وهدوء

— لقد طرقت يا عزيزي مترا تثير مشكلة حيرت اكبر ادمغة في بلادنا . وسترى في لندن أموراً عديدة تدهشك . فكلمنا ادركت انك لاتستطيع اصلاحها كان ذلك خيرا الى ذلك . هاقد وصلنا الى النادي كان نادي جرين من أعظم نوادي لندن الارستقراطية الفاخرة . ومع أن بناءه لا يجازي القصور الحديثة التي شيدت في لندن مريحة أبهرتها ونخامتها إلا أنه كان من الابنية التي تبعث الرهبة والجلال في النفس فتأثرت نفس الشاب الذي كان كل شيء في لندن جديداً وعينه فوقف في هو النادي ، داساً يديه في جيوبه ودار بعينه فيما حوله وأخذ ينظر الى الاعمدة الرخامية والقاطات الواسعة والرواق القميص زائماً في نفسه أنه اذا جاء اليه وحده ظله كنيسة . وأخيراً اتلفت الى الماررد سان اينز وقال

— هذا « صالون » فاخر ... لا . انكم تسمونه « نارياً »

فقال سان اينز وهو يتقدم الشاب الى الغرفة التي يجتمعون فيها

معاطفهم وقبعاتهم

— انه مكان جميل لا بأس به

وبعد أن تناول الخادم منها قبعتيهما ومعطفيهما قال سان ايفز
 - تعال الى قاعة التدخين
 وكانت القاعة من اجل القاعات في المبنى فنظر راف حوله وقال
 بلهجة الاستحسان

- بديعة . لديكم غرفة تستطيعون أن تمدوا أرجلكم فيها
 وكانت القاعة غاصة بأعضاء النادي فرفعوا أعينهم عن الصحف
 التي كانوا يقرأون فيها أو اسكروا حديثهم ليحيوا سان ايفز . وقد
 حالت آدابهم دون احداق النظر الى الشاب الطويل ولكن علم اللورد
 سان ايفز انهم يتوقرون الى معرفته فوضع يده على منكب راف وجذبه
 الى جماعة من اصدقائه ومعارفه وخاطبهم قائلا

- هذا مترافير وقد وصل أخيراً ، وهو الذي حدثتكم عنه من قبل
 فأوماً بعضهم برؤوسهم وقام اثنان أو ثلاثة منهم ومدوا أيديهم
 وليتهم لم يمدوها لان راف ضغط عليها بشدة عدها بعضهم خدوشة منه
 أخرزعي راف الى الجلوس فجلس على كرسي ثم مد رجليه الطويلتين
 وأخرج غليونه وعلبة التمتع النحاسية ، فآخذ الرجال يراقبونه من
 طرف خفي باهتمام غير عادي ، الى أن قال للسرد روبرت ارفر - ستراند ،
 وهو سيد متقدم في السن ، له ابتسامة حلوة .

- اذن وصلت . لأأيد ان أسألك رأيك عن لندن

فقاطعه راف قائلا

- كلا . لا فعل . لقد سئلت هذا السؤال المخبى عشر مرات
 أو اكثر منذ نزولي الى البر ، ولكن لا يهني اذاذات لك أن مدينتك
 هي أغرب مكان رأيت ولو انني لم اشاهد كثيرا من المدن

قاوماً الرجل برأسه وقال

— اسمع لي أن أقول أيتها الورد سترافير انك على حق في اعتقادك
أن مدينة لندن من المدن الغريبة التي لا مثيل لها
فقال راف

لا أدري معنى هذا القول ولكني أقول انك على حق . ان سان
هذا — وهو الوصي على — يطوف في حول المدينة . وقد وقعت عيناي
على أشياء ادهشتني : يلوح لي أنكم جميعاً في هناورخاء تهتمون براحة
أنفسكم . والواقع لا بأس ان يكون للمرء مكان كهذا يقضى فيه برهة
من وقته

وكان هناك شاب قد مال في مقعده الى الوراء مغمضاً عينيه ،
يحمل سيجارة في زاوية فمه ، فقال

— تقول برهة من وقته ؟ ان بدعنا يقضى طول يومه هنا

تحول راف اليه وتفرس في وجهه ثم زجر قائلاً

— حقاً ما تقول ؟ اظن ان هذا مؤلم لكم إذ كيف تقضون بقية

يومكم وأين تعملون

استطاع الشاب ان يرفع عينيه فنظر الى راف في دهشة ثم خاطب

رفاقه باهجة تشف عن الاسف قائلاً

— لا افهم ما يقول

فقال المرء روبرت

— اعلم يا عزيزي الورد سترافير ان السيد الذي يخاطبك هو

المستر بونسبي جونز وقد جمع والده من ائمال مايرنل — أو هل مليونين

يا جونز ؟ — من تجار المخطاط ... أو النجاس ، أليس كذلك ؟ فكأت

مجرد فكرته عن المجهودات التي بذلها والده سبباً في سلب قواه فلم
يستطيع القيام بشيء اللهم الا أن يميل في كرسيه الى الوراء ويدخن
سيجارة وراء أخرى كما تراه الآن

التي راف نظرة على جسم الشاب الممتد امامه ثم هز رأسه وقال
— لا انهم هذا. وبقيتكم ، الا تفعلون شيئاً ؟ الا تقومون بعمل ما ؟
— مه تعلمنا لا يفعل شيئاً . وعلى كل حال لا اظن ان تناول العشاء
في الخارج والذهاب الى حفلات الرقص والممارح وركوب الرافعات
والصيد ، يعد عملاً

فقال راف في تفكير

— لا ادري . اذا وفقتم عليكم على كل هذه الامور فمن المحتمل ان
يتولاكم الملل بعد زمن قليل
فقال رجلى آخر

— لقد نسيت «بردج» يا اوفرسترايد

فقال الرجل

— أي نعم . غداً عمل نستغل به كلنا

فقال راف المسكين وفي نحيب على وجهه دلائل الدهشة

— هـ . اتعلمون كلكم ببناء الكباري (هي اللفظة التي تدل عليها

كلمة بردج التي تدبرهم ؟

ضد ذلك الجموع من سداجة الشاب فلما خفي ضحكهم قال اللورد

ساذ بفكر

— أنهم يعمنون بكلمة «بردج» نوطاً من أنواع ارباب الورق وراف

خيراًة . بعضهم

— هيا نصعد به الى فوق لنريه

نهض راف من مكانه قائلاً

— نعم هيا . اننى هنا لارى كل شئ ولعمري سيتولوا كم المال قبلى

تأبط لورد سان ايفز ذراع الشاب وصعد معه الى قاعة اللعب .

وكانت هناك بضع حمامات من الرجال ملتفين حول الموائد يلعبون

فأعطى راف قمعداً ليتفرج ، وكان الصمت شديداً واللاعبون منهمكين

فى اللعب حتى نعى الجميع الشاب

ومن الغريب أن راف لم يكن مغرماً بلعب الورق بالرغم من انه

قضى حياته فى عشرة رجال لهم ولم شديد بالمقامرة . ولما ظهر أنه شهد

مشكلات ومنازعات عديدة عجبت عنها وفوق ذلك كان لحسن حفظه

راغب عنها فقد كان يعتقد دائماً من ان من العار والنذالة ان يخاطر

المرء بمال جمعه بعرق جبينه فيضيعه أو يبتز ما لا جمعه غيره بالوسيلة

عينها . وعلى ذلك لم يلبث ان تملكه الملل من مراقبة اللاعبين فقام

وسار بخطوات ثقيلة الى النافذة وجعل يطل منها على المارين تحته فى

شارع سان جيمس

شاهد راف الشوارع غاصاً بمركبات الخاصة وسياراتهم الفاخرة

وقد تلى بعضها بعضاً فى خططها يملأها نهاية ورأى الرجال بثيابهم الانيقة

والنساء بلباسهن الملوحة لبديعة يسرون على الارصفة نخيل اليه أنه

انتبه الى عالم آخر يختلف اختلافاً تاماً عن العالم الموحش الذى كان

يعيش فيه أو انه وقف يشاهد حركات هذه الاشباح العديدة

وكان الذين يرتعدون أعينهم الى النافذة اثنتائى زعمون أنه شاب

غريب يسكن به بالشهد الذى امامه ولكن راكض فى الواقع يقلب

الامور في رأسه ، يتلمس الطريق مثل رجل يخوض مجرى من الماء ليصل الى أرض ثابتة مأمونة وكان راف يعد نفسه غريباً عن الذين اجتمعوا خلقه يلعبون الورق فأحس بأنه فقد اتصاله بالحياة القديمة وأنه لن يتصل اتصالاً وثيقاً بهذه الحياة الجديدة ، لذلك حن الشاب الى وطنه وآثر ان يتخلى عن ائقب والمال والاملاك التي آلت اليه مقابل رؤية المحامي جو أو مصالحة واحداً من العمال الغلاظ الذين كانوا يشتغلون معه في التعدين

أخيراً شاهد راف سيدة جلوسة في سيارة فاخرة فصعد السلم الى وجهه عند رؤيتها ولا عجب فقد كانت هي اللادي مود فتعنى ان ترفع اللقطة عينها لئلا تراه ، ولكن لم تكد هذه الرغبة تتحور ، الى صورة جليلة حتى حوات مود رأها ، ورأته واقفاً في النافذة ، لحية ، بإمءاة من رأسها وابتنامة من ثمرها . والظاهر ان ائقطة لاحظت ما تجلى في عينيه من دلائل الشوق والهمة فمرت السائق بالوقوف

اجتاز راف الغرفة بخطوات واسعة نحو الباب وقبلياً في ١٠٠ ، صاحب سان ايفز - فلا

- الى أين أنت ذهاب يا سترامير ؟

فأجاب راف عند ما لمغ الباب : فلا

- اننى ذاهب

صاح سان ايفز غصبا وألما ثم نهض من مكانه قائلا

- لا أدري ماذا صله : اننى معطرا الى الذهاب إليها لراق ٢٠٠ ذرة

فتبسم المرار غر سترامير قائلا

- اجلس يا عزيزي سان ايفز . هل تظن ان في ذلك ان تعاق

ذلك الشاب في سلسلة ساعتك طول الوقت ؟ اذا كان هذا مما يدور
بخطبك فانت مخطيء . - يجدر بك ان تدعه وشأنه أو تسوسه وانت ترخي
له العنان والا جميع منك

فزعير سان ايفز قائلا

- كل هذا حسن ولكن أقول لك اننى لا أدرى ماذا يصنع وقد
تملكتنى الحيرة منذ قدومه وهو لا يدرك شيئا من آداب السلوك ولا
مما يجب عمله ، فهو يخاطب العائلات في المحزن التجارية باسم «الآنسة»
ويخاطب كل شخص من العامة باسم « رفيق » ، انه لا يدرك شيئا
من واجبها ،

فقال المرء اوفر ستراند

- وهل تظن اننى وسعت تعليمه ليس ات . بل سيعلم نفسه بنفسه
ذهب مان ايفز الى المائدة فلما رأى اذنته فى المائدة طاد وهو
يقنفس الصعداء قائلا

- اذ كان الامر كذلك فهذا حسن شكروا . - أى ناقش
سياستها هناك .

فقال المرء اوتو ستراند ملهجة جافة

- ستكون له معلما جيدا منك يا سان ايفز . مع القبول وشأنه
فزعير . كما على وكبقته . اجلس بين الرجلين . - المرء درك
وقف راف يجنب اسيارة بلعاز عتيقه لا يزال موجودا وحررة
وجهه ظاهرة ، فقالت مود

- هل جاء أبى بك ار هذا ؟ ارى ؟ ار حوأس . - وقد حدثت

(م ٦ - - - - -)

فيه شيئاً من التسلية وانك تتمتع بما فيه؟
فقال راف

.. نعم انه مسل ولسكن لا أقول اننى تتمتع بشئ فيه . لا أخالك
تجهلين اننى أشعر باننى غريب عما فيه .. ولكن أخبرينى الى أين أنت
ذاهبة فى هذه « الماكينة » ؟

فاجابته الفتاة قائلة

.. اننى ذاهبة للتجول فى البستان . هل تريد موافقتى ؟

الى الشاب عليها نظرة سريعة ملؤها الفرح قائلاً
.. وهل تحب القطة القشقة ؟

فتح السائق الباب فجلس راف فى الديارة الفاخرة يشعربايتها
عظيم ولم يلبث ان قال

.. هذه نزهة فائقة . ان هذه أول مرة ركبت فيها « ماكينة »
فاخرة مثل هذه . لقد ركبت احدى مركباتكم طبعاً ولكن هذه
تجبرى كالبرق . اننى أميل اليها . ليس فيها غير عذب واحد وهو ان
المرء لا يستطيع مخاطبتها أو اذا فعلت فأنها لا تحببك أما الجراد
ففى وسعك أن تخاطبه . اذا سمعت « طويجر » فهناك فى « العيب »
جوماً أو يومين منفردة فانك تتعدين محطبة كـ لو كان من البشر وفى
أغلب الاحيان تحطبت باسمه له بتحريك « اليد » . وكل حال أرين
الى هذه « الماكينة »

فقالت الاى . د

.. يجب أن تكونى راسخة فى راسك . وانك تذاكر ذلك دائماً

.. ذم هذا امة تادى بالكر . وانهم ذالك . انهم ذاك . انهم ذاك

ما أعتقد . من المضحك أن يسير الإنسان دفقها دون قتل المركبات
الآخرى . سألتني بعض دروس . أن هذا القتي يسوقها جيدا فساطلب
اليه أن يلعني . أظن انكم تتعلمون غرامة عظيمة اذا دسّم أحدا
من المارة ؟

عاجبته مود وهي تبسم
— بل شر من القرامنة انا كان الذنب ذنبك ولعمري أخشى أن
يرسلوك الى السجن
فقال راف

— حقاً لا أدري كيف يتجنب السائق ذلك لأنه يسير في بعض الأحيان بمقدرة عظيمة
— بل أقول إن جاكسون السائق على شيء من التهور. ولعمري
يجدر بي أن أوصيه بزيادة الاحتراس والحذر
مات اللادي. هود إلى الامام لكي يخاطب السائق ولكن وضع
راف يده في ذراعيه وقال

لا تفعل - ، اذ ربما يظن أنك خائفة فتأثر أعصابه . أرى أن أعصابه
قوية حتى استطاع أن يسير بك . أما أنا فلا أعتقد أن هذا في مقدوري
نظمت نكتة عليه في شيء من الدهشة وذات
مررت به ، تعرفه ، هو الخفيف : سترايند

[illegible]

فالعادة في فصل الصيف، فقال

— هذا مكان جميل . لقد نسقوا هذا المكان تنسيقاً بديعاً . انه

فسيح ولذلك أرى السائق يجد السير هنا

أطلق جا كسون العنان للسيارة ولكن لم يلبث ان اعترضته ركبة
محاول دخول البستان من أحد أبوابه فاراد ان يشجنبها فاصطدم برجل
كان يجتاز الطريق ، فوقعت العربة فجأة عندئذ كادت اللادى مود
تصطدم بمقدمة السيارة ويصيبها شيء من لاذى، لولم يدر فذراعه
القوة امامها وينقذها من هذه الصدمة ، لان الشاب كان قد ملح الرجل
وتنبأ بالحادث فبادر الى حماية الفتاة التي خطفها في هدوء مثلاً :

— امكثي هنا ولا تتحركي

لم ينتظر راف حتى يفتح باب السيارة بل وثب منها الى الخارج .
وكان الرجل الذي صدمته السيارة قد هض ودق على جانب الطريق،
تبدو عليه دلائل الارتباك والحيرة . ولم يكن الرجل قد سيب بخر
يذكر لان جناح العربة كان قد التفت على حيز كان جاكوز قد تصدع
من اندفاع السيارة

ذهب راف الى الرجل ثم وضع يده على منكبيه مدله أنه

— هل اصابت ضرراً فيها الرفيق ؟

وكان ضحية تم . . . يا كسون ، مشي برتدي ثياباً جميلة جداً عايتها
دلائل العناية . وكان وجهه قد ذهب من أثر الصدمة . ورجاه مرور
اللون ، عاينين حادثين فيهم شيء من الجوع درجيم استغفرت ، مود
الفسر والحاجين

لم يجيب ، انه به ربه ل سؤاله في الحال

عن ثيابه ثم تناول قبعته من أحد الذين التفتوا حوله وأخيراً قال
— لا اظن أنني أصبت بضرر يذكر . شكراً . ان الذنب ذنبى فقد
كنت مشتغل البال ... شارد التفكير . . أى نعم الذنب ذنبى
على حين مالت اللادى مود من السيارة وخاطبت الشاب بلهجة
القلق قائلة

— قل بالله انك لم تصب بأذى
تتسم الشاب الى السيارة ، ورفع قبعته ووجهه لا يزال شاحباً ثم
قال فى هدوء وهو يتملك عواطفه تماماً
— شكراً جزيلاً . لقد أسعدني الحظ فلم أصب بضرر جدى جزاء
إهمالى . لقد سقطت على الارض ، هذا كل ما هنالك
فقدت اللادى مود

— عذامى دواعى سرورى . ولكن الذنب ذنبنا . ان سائق
سيارتى كان يسير بسرعة . هراً . انتق من انك لم تصب بأذى ؟ هل
تتفصل بالركوب . هذا ، فقلك الى منزلك ؟
وقال راف

— نعم ، هذا ما يجب عمله ، اركب ، دعنى اساعدك . اما امستر
جـ كـ نـ . . سيكرن لى سمـ حـ بـ . اركب فيها الرفيق
بدأت الاثني الدهشة على وجه الشاب عندما سمع راف يخاطبه بهذه
الطريقة التى يألفها وقال
— ليس هناك فى الواقع ما يدعو الى ازعاجك . أننى قادر تماماً
على المشى

ثم نهضت الى اللادى مرة وخاطبها قائلاً

اخشى ان اكون قد سببت لك شيئاً من القلق والانزعاج

فقالت الفتاة

— نعم كثيراً . هل تسكرم على باسمك وعنوانك؟ أريد ان اعرف،

ان اسأل ...

فقال الشاب

— هذه مكربة منك . ان اسمي زافرس ... سأعطيك بطاقتي

ونجا فان الشاب يخرج محفظة حيبه قالت مود

— ان اتسمى سان ايفز ونحن نقطن في ميدان بلجريف . وهذا

الورد سترانغير

وكان لمستر زافرس يخرج بطاقته من محفظته فجمدت يده فجأة

وحمل ينظر من أحدهما الى الآخر في حيرة ودهشة لا تفلان عما اعتراه

منهما عند ما قام يتعثر من كبوته ، وأخيراً حلق النظر الى وجه راف

وتقلعت شفاته الرفيعتان وتوترت عضلات وجهه الشاب ثم كرر

الاسم بصوت خافت وهو لا يدري ماذا

— سترانغير !

على أنه مهما تكن هذه العميقة فقد كبح الشاب جراحها بمرعة

كما ظهرت كذلك ، ويوقف هنيئة مهابة وقد أرخى عينيه وأخيراً قال

بسطه وبصوت خافت وهو يتكلف الانقسام

— على كل حال ليس لي ان انا لك اكثر من ذلك ثم صمب انضرد

ولست في حاجة الى السؤال عنى . سترانغير كما اتق

ثم تحول وسار في طريقه قبل ان يستطيع ان يحاط به بكلمة

الفصل السابع

راف لا يزال يتعلم

حدد راف ومود النظر خلف الشاب الذي سار يهرول في طريقه
ثم نظر كل منهما الى الآخر في دهشة على حين قالت مود
- ياله من شاب غريب الاطوار ! لماذا ذهب هكذا فجأة ولماذا
رفض ان يعطينا عنوانه ؟

هز راف رأسه وخلع قبعته ثم دفع شعره النحاسي اللون عن
جبينه وقال

يلوح لي انه وقع فجأة في هوة عميقة . لقد بدا في حالة طادية الى
الاحلثة التي خاطبنا فيها ثم غير فكره فجأة . ربما لا يريد شرف التعرف
بنا . خير لنا أن نسير الآن في طريقنا

ثم اتى نظرة على الذين كانوا لا يزالون منتبهين حول السيارة وقيل
بلهجة تشف عن الغرابة والاستخفاف

- ماذا تنتظر هذه الجماهير ؟ لا ادري ماذا ينتظرون رؤيته ؟ ربما
زعموا ان « الماكينة » ستنتحر ، أو انه سيفنى على عليك . انتظري
حتى أقول كلمة للرجل الجالس في المقعد
ثم ذهب الى جاكسون وخطبه ثلاثا

- في رأسك فكرة سادة ، اذ تظن انك لا تقوم بواجبك اذا لم
تسرب هذه « الماكينة » كالأكبريس . ان هذا حسن اذا كنت
الشخص الوحيد في السيارة ولكيك تحمل معك بضاعة ثمينة ولا
تفنى ذلك . اذا وقع حادث آخر يتماق بهذه « الماكينة » فستكون

انت أول من يصاب اعنى انه ستكون هناك جثة هي جثتك . هل فهمت معنى قولى ؟

فقال جاكون وهو يتلثم رعبا وفرة
- نعم يا مولاي . اننى آسف يا مولاي ولكن اعترض الشاب طريقى
فقال راف

- هذا حسن ، ولكن يظهر انه يوجد فى هذه البلاد قانون يحرم قتله من أجل ذلك

ركب راف السيارة ثم نظر الى الامام فى تفكير وقال
- لا أستطيع ان ادرك بالضبط ماأصاب ذلك الشاب فقد ظل وديعا كحماة الوادى الى أن سألتاه عن عنوانه لو أظهر هذه المحسونة من البداية لاستطعت أن أفهم ما هناك . خذى مثلا انه لو كنت أنا الذى التقاى المستر جاكون على الارض لذهبت وحملت عليه فى الحال ولكن هذا الرجل قابل كل شيء باقتسام الى أن استمعنا معه واحب اللياقة والادب . . آه ، لقد فهمت السر . لاأرى عليه مظاهر الغنى فربما زعم اننا سنعرض عليه تقودا لارضائه

فقال مود فى شيء من الحيرة

- كلا . لااظن أنه خفى ذلك . انه رجل مهذب دمث الاخلاق لايمتد اننا اردنا اهانتة بهذه الوسيلة لقد تغيرت أطواره فجأة عند ما سمع اسمك بإستراثير
فقال راف بلهجة جافة

- ليس فى هذا ما يدعو الى الدهشة . انه امم غليظ ، ولعبرى
لست واثقا من اننى أستطيع كتابته حتى الآن

وجدت مودى قوله هذا تسلية ولكنهما لم تقنع برأيه وسألته قائلة

— هل سمعت اسم ترافرس من قبل ؟

— كلا

— ولا أأما . لو كنت مكانه لفعلت فعلته هذه على ما اعتقد اذا

كنت احملا فى تعمى غلا أو ضغينة لاسررتك

فهز راف رأسه وقال

— لأدرى . ان الامر لى مثل لنز معي

سكت راف هنيهة ثم ماد فقال

— اننى آسف لا تقطاعه عن الحديث وانصرافه هكذا فجأة لاننى

شعرت بشئ من الميل نحوه . فقد سلك سلوكا حسنا الى النهاية تقريبا

ألا ترى أنه وسيم للطلعة ، له وجه يصعب على المرء نسيانه ؟ ليتنى

أراه ثانية .

فسألته مود وهى تبتم قائلة

— وماذا تصنع اذا لقيته ؟

— اسأله ماذا يعاملنى معاملة « الداجو »

فضحكت الفتاة وقالت

— و« داجو » « الداجو » ؟ يجدر بك أن تضع قاموسا لفتك إذ متراثير

فشرح راف لها معنى قوله قائلا

— الداجو هو الاجنبى الوضيع . نعم اسبب لك شيئا من الحيرة

فى بعض الاحيان ولكن لا اخافك مجهلين اننى لم أتعلم لهجة أهل لندن

بعد ، ولكننى سألتقطها فيما بعد

فقلت الفتاة وهى تبتم

- لانتعجل اننى أميل الى لهجة حديثك هذه
- هذا ما أظنه إذا حاظت على لهجتى ولكن لا تخافى لانتى اضبط
تقضى دائماً مادمت معك . اخبرينى يامس مود ... اعنى أينها اللادى
مود ... هاترين مرة أخرى ان من الصعب على ذكر لتيك قبل اسمك
ولوح لى أن لديكم هنا عدداً لا يحصى من المائدة والسيدات اللذين
لا يرين لهم شيئاً يعزيم عن بقية الناس . كنت اعتقد وأتافى محلة « حة
الراقصة » ان اللوردة وزوجاتهم يابسون على رؤسهم نوماً من التيجان
وهذا مما يرنى له لانكم لو فعلتم لسهل على المرء أن يميزكم من غيركم .
ان ما أردت أن أقوله لك هو اننى اكون لك شاكرآ اذا رأيت مى
شدوذا فيما يتعلق بالالفاظ والالتقاب وأرشدتنى الى العوالب

فقلت : ود فى رزاة

- بل اريب يسرى أن أفعل ذلك . هلى تفضب اذا أرشدتك
الى خطأك ؟

- كلا بالعكس ، اكون ممتنا . اذا قبلت ذلك فستجدين أمامك
مهمة شاذة طويلا

فسكرت الامة هيبه رفات

- لا أظن انى سأفعل ذلك وحير لك أن تهتدى الى الامور بنفسك
وفوق ذلك . وسكرت الامة . رفق ذلك مردوعى التسمية ولا تعاش
أن بلتنى اناء بشخص فتتأب «أواه الميلا عن «أخرين . - «ممرى
اننى أميل اليك كما أنت

تورد وجه رف وحوون عيابه عن وجهه المنيح بحبه وأجابها
بشي من الراجح - فلا

- لا تقولى هذا القول لى لا أشعر بعزائى عن الآخرى ولا
اسمى لتحسين أحوالى . وإذا كان هذا يرضيك فإن أباك لا يرضى به
ولعمرى سببت له اليوم شيئاً من المناعب ثم إن الرجال الذين رأيتهم
اليوم فى النادى كانوا يمتقدون انى واحد من العامة . نعم لم يظهروا
شيئاً من ذلك وقد حالت آدابهم دون إبداء أقل إشارة ولكنى مع
ذلك ادركت مايجول بمخاطرم من نحوى
فقال اللادى مود

- انى أعرف ما ترى اليه . ففيك بلا ريب ما بلغت الظن ولكن
السبب الاكر فى ذلك انك لا ترندى ثيابك مثل أهل البلاد هنا تماماً
فقال راف فى شىء من الاستياء

- سيجهز لى ولسون بعض الثياب ولوانى لأدرى كيف استطيع
السير بقبعة مائة وسترة طويلة

فاكدت له مود انه سيجد كل شىء اسهل مما يزعم فدفع راف
رأسه جانبا وانتقل الى حديث آخر

قضى الشاب والفتاة بقية الوقت فى حديث سار . ومع أن راف
التقى على اللادى مود اسئلة لانهاية لها مدفوعة بموامل حب الاستطلاع
التي تتملك نفس الغريب ، فقد أجابته عايتها كلها فى صبر وعقول اناة
بل وفى اهتمام افهم قاب راف بروح الامتنان لها

ولما وقفت السيارة امام المتجر فى ميدان بلخريف مد راف كلتا
يديه الى الفتاة لمساعدتها على النزول كما هى عادة اذا ما ساعدتة على
النزول من احدى عربات النقل ، ومع ذلك اعطته مود كلتا يديها
للمخيرتين كما لو كانت هذه هى العادة المتبعة

دخلت مود القصر فالتفت راف الى جا كسون وخاطبه قائلاً
 - اسمع . اريد أن أتعلم كيف أسوق هذه « الماكينة » وسأركب
 الآن معك لاف لفة . اخرجها الى مكان فسيح حيث لا يوجد
 كثير من المارة

أخرج جا كسون للسيارة الى طريق « كيو » فجعل راف يراقبه
 بعين الدقة وأخيراً قال

- انها أشبه شيء بتمبير احدى السفن اليس كذلك ؟ اعطني الموجه
 ودعني أنظر كيف تسير .

اعطى جا كسون الموجه لراف بقلب مضطرب . لكن لم يكن ثمة
 داع لانزحاجه لان الكتب أخذت يسوق السيارة بضء وحذر ويسأل
 عن علة هذه الحركة ولك ولم يلبث ان عرف ان يضع يديه ورجليه
 على حد تمبير سائق السيارات . وقد وجد راف لهشتا ان تسيير
 دفة السيارة سهل من الاعمال المنيذة ولوانك لا تستطيع مخاطبتها
 ولا تستطيع الرد عليك اذا خاطبتها

أخيراً عرج راف بالسيارة حُرُوراً وهدوءاً . وجاءه ثم قال
 - انها شبه شيء حتى . انها مثل حبل مجرى في عروق نحس
 لاقط حركة من العذ . وهذا المأزق من الطريق مستقيم فسادطبق
 بها . احسن من امتا و... ثم يكلمه حتى ترقى اني ارتكبت خطأ
 فأجابه جا كسون بـ « انا ارجو »

- حسناً يا مود

انطلق راف بسيارته الى أن وصل الى نهاية الطريق .
 - ماذا تقول ؟

فقال جا كسون بلهجة الاحترام
 - هذا حسن يا مولاي . ان لقخامتكم يدا ثابتة وعينا حادة ،
 واكثر من ذلك امك شديد الجراءة
 فقال راف في شيء من العهشة
 - حراً ! ما هذا القول ايها الرجل ؟ هل تقول امك في حاجة الى
 حراً لكي تسوق هذه السياة ؟ كلا مطلقا . انك لا تقول هذا القول
 اذا ركمت جوادا هزيلا في أحدرود وقد اختفى لصان خلفك وراء
 الصخور واخذا يصوبان اليك غدارتيهما . . ساعود بها
 ثم أخرج علبة سيجاره وقدمها الى جا كسون قائلا
 - هل لك ان تدخن ؟

فقال جا كسون في احترام
 شكرا يا سيدي . ولكن لا بد مني من التدخين مادمت أسوق
 السياة في الخارج
 - هل التاخير . . . انزع ؟ فربما ؟ حسنا ، يجب ان نحرس
 على هذه لمباديء لكي لا تنزع . . . يمكن ضم السيجار في
 جيبك ودخنها متى وصلت الى منزلك
 وصل راف بالسيارة سالمة الى القصر فذهب جا كسون الى
 المكان الذي طأه ذات مرة . . . ثم حيث قطع على روافد الماء ،
 من ممرات راف وحيد .

أما السيد فذهب الى غرفته فوجد في مكتبه رسالة من
 غسك كان لا يزال . . . راف . . . انزع . . .
 يلزم ان لا تنزع . . .

ذهب راف الى المراكاة ونظر الى صورة
 في استياء كان يزداد كل لحظة واخيرا قال مخاطبا نفسه
 - انتى فظ غليظ ، هذه حالتى . انها تعاملنى كأننى ملك من السماء
 وتحسن معاملتى فليباركها الله
 ثم نادى ولسون خادمه ولكنه تذكر الجرس فضنط على الزر
 ولجهله لم يرفع أصمعه عنه حتى جاء الخادم المسكين بلمت مخاطبه راف قائلا
 - أريد الرجل الخياط فى الحال لأستطيع الانتظار الى الغد .
 اذهب واحضره

ذهب الخادم فأتى راف نفسه على مقعد فى غرفة الاستقبال ثم
 اشغل غليونه واستعرض الحوادث التى وقعت له فى يومه الى أن جاء
 الخياط فاضرب عند ما ابتدره راف بلهجة شديدة قائلا
 - هل انت الرجل الذى تصنع الثياب البديعة ؟ اصغ الى أريد بذلة كاملة
 فقال الرجل - نعم يا مولاي
 ثم أراد أن يعرض عليه « عينات » الاقصة ولكن راف نظر
 اليها بعين الارتياح وقال

- لا حاجة من عرضها نظرا . امضى منها ما شئت فقط عليك أن
 تصنع لى ثيابا جميلة . هل نهمته تقول ؟ انتى ادع الامر لك ولولسون
 الذى يعرف هذه التواضع . اريد أن تكون لى حاتية كاملة من
 ادوات : قبة طرية ، نفاذ . حذاء بلون بكنل شوى . اريد أن
 اعمل الدس - بل مصبح . انى يجيىح
 لم تصمم الخياط ، لان اضطرابه برهسته حالى دوزن ذلك ، وشعره
 يأخذ . قدس غلامته

الفصل الثامن

من ذوى قرابه

خرج الشاب الذى رفض أن يعطى اللادى مودعوا انه من البستان وهو ينتفض اشمالا من صورة نفسه تمزج عليه كبح جاحها فتقلعت شفتاه وماد الى وجهه امتقاعه الى أن وصل الى مكان من الاماكن العموميه فدفع الباب وكاد يدخل ولكنه لم يتحرك ووضع يده فى جيبه يقلب بعض النقود النحاسيه ثم لم يلبث أن عدل عن فكره وواصل السير فى طريقه ، رافضا أن يجتمع نفسه بكاس الشراب التى أراد تناولها

سار الشاب الآن بخطوات بطيئه فاجتاز الحى الارستقراطى من المدينة ووصل الى شارع قذر فى حي « باميكو » وهناك قرع باب منزله من مساكن الحقيقه انفتحت له خادمة نحيلة الجسم صغيره تبدو عليهم دلائل لتدبير الشتاء فدخل الشاب المنزل ثم صعد الى فوق السطح واغلق عليه باب عرفة خلفية منعزلة

وكانت غرفته احقر غرفة فى هذا المنزل الحقير لا تحتوى على شيء اكثر من ثلثة عتيقة مهشمة وكرسى من النوع الرخيص الذى يطوى رسمه على الجدران ، وقهارى القبول كانت الفرقة اخبرته على الهدوء حتى لا يسمع احد من لائى لوحيدته التى بها على غير المطع والاحياء من حي « باميكو » من مدنة لندن الكثيرين بطريقه من حوله ، وفى هذا المساء رافضه ثم يتى قسمه من الاشرار ، اما عن الاشرار ثم نظر الى

المدفأ الخالي من الوقود ولم يلبث أن أصبحت افكاره الى أن صحان
 ثققلته على صوت وقع اقدام تلاء دق خفيف على الباب
 دخلت امرأة نحيفة الوجه ثم وقفت تنظر الى الباب في شيء من
 الجراءة قائلة

— اصنع الى يا مستر ترافرس

على ان هذه الجراءة لم تلبث أن ذهبت عندما رفع الشاب اليها عينيه
 السوداوين وتلاشت روح الثقة التي جمعت المرأة شتاتها وهي تصعد
 درجات السلم وقد اغيرت لهجتها في الحال قائلة

— جئت لاسألك عما تنوي عمله فيما يتعلق بدفع الایجار المتأخر.
 لست من قساة القلوب وليس من عادتي أن أضايق احدا من مستأجري
 منزلي ولكني اريد ان اعيش وأنا امرأة مع اطفالي الثلاثة. لقد
 تأخرت ثلاثة اشابيع عن دفع فايزيد أن تخبرني عما تنوي عمله
 نهض ترافرس من مكانه في ترانخ وقطع خيط حزمة اخرج منها
 عددا من غلافات بيضاء وكتابا بجلد احمر عنوانه « اسماء المتربعين
 لجمعية الخيرية بلندن » ثم قال بلهجة تنم عن التألم والحزن

— نعم. نعم ثلاثة أسابيع. اليس كذلك؟ زحمت انهما اسبوعان
 فقط. اني آسف ولكني كنت في ضيق شديد في المدة الاخيرة.
 وقد كان من المتعذر علي أن أحصل على عمل ولكني حصلت هذا الصباح
 على عمل بسيط. ثم ان المراسلات هذه الخطابات فاسأصل بين مساع
 من المال أتقدمه إليك. — لم تستطع الا كبر منه لأنه لا بد لي أن احتفظ
 بشيء من النفود ابتع بها خبزي. يحزنني اني اطلب اليك أن تقترض
 ولكن اظن انني سأف غ من ه المهمة قد ا

زجرت المرأة ثم تحولت ، فرافقها ترافرس حتى رأس السلم قبل
أن يجد من نفسه الشجاعة فسألها قائلاً
— هل لديك قليل من الفحم لأنى أريد أن اصنع لنفسي فنجانا
من الشاى ؟

فتمتت المرأة وهى تدفع رأسها استياء ولكنها جاءت بعد فترة
وجيزة بقليل من الفحم ، فأوقد ترافرس النار وصنع لنفسه قليلا من
الشاى ثم جلس أمام المنضدة وأخذ يسمون الخطابات من الدليل ذى الغلافة
الجراد . نعم كان هذا النوع من العمل لا يمود بأجر يذكر مثل غيره ،
وعلى المرء أن يكتب بسرعة وساطات طويلة قبل أن يكتب بضعة
شلتات ، ولكن لم يلبث ترافرس أن كف عن العمل بالرغم من حاجته
القاسية الى النقود كان المسألة التى شغلت باله جعلت من الاستعجال عليه
أن يستمر حتى فى حمل ميكانيكى كهذا .

أخيراً قام الشاب وهريزجر . ثم فتح حسيمة دقيقة رآه يخرج
منها جريدة مضى عليه ثلاثة أيام . « لم تكن تحب رغبة فى قضاها ولكن
سددت عيناه رغبته وأخذ يطالع بقرة طويلة عن وجود اللورد
سترترير وعودته الى اسكترا

ولأن أحد مكاتب الصحف قد أيقن النبأ الى جريدته يذ - اسعده
الحظ برؤية رف فبعث بوصف دقيق اسمنى الشعب الذى يدرث هذا
الناقب الرفيع . وكانت الاوصاف تدرزة حتى وردت فى الزمان التى
بطبيعة الحال الى جسم راف الطويل الضخم وشعره الكثيف الذى
يذكر القابله للعديلة واحصاء عن « كوكب »

قرأ تافريس المقال ، أو بالحرى الوصف الطويل ، وتلاه على مهل وهو يتدبر معنى كل كلمة ولو أنه كاد يحفظ كل عبارة منه عن ظهر قلب ولما فرغ من تلاوة المقال مال نحو المدفأ وجعل يحدق النظر الى النار التي أوقدها فيه وهو يفكر . دون كبير مشقة . في مركز هذا الشاب الذي ارتفع فجأة من معدن عادى الي مصاف النبلاء والاشراف في البلاد واصبح ذا ثروة لا تحصى وحاملا لقب من اقدم القاب الدولة واقدما .

والواقع لم يكن لدى ذلك الشاب رغبة يعجز عن تحقيقها أو أمنية لا يستطيع الوصول اليها أو باب في العالم يتعذر عليه ولوجه ، له أن يطمح الى نيل اجل امرأة في البلاد وأعظمهن نبلا ، فهو اشبه شيء بأمير تبناه « الحظ » وتركه يرقل في حلل من البهاء والجلال ومنعه بكل شيء ما يشر تافريس بأنه في حاجة قاسية اليه

ومب تافريس واقفا على قدميه ، تشدد يده الضغط على الصحيفة التي يحملها في يده ثم أخذ يلمن لورد سترافير يصيب عليه جام غضبه لا بلسان طلق ، ولكن بصوت مبحوح متقطع وقد تجملت في صوته وعينيه وعى شفثيه دلائل لبعض المتت

أخيرا جالس الشاب أمام المنضدة ثانية واستأنف مهمته القاسية ولكن لم يلبث أن عادت أفكاره الى ما كانت عليه ثانية فقال ان اللورد سترافير كان يتريض في سيارة مع حدى النobileات ، وهما الآن يضحكان بلاريب من السلوك الغريب الذي سلكه الرجل الذي اتقته سيارتهما على الارض ، الرجل السقي انكود الذي يجلس الآن في غرفة العذرة الحظيرة فوق السطح يكتب عناوين أهل بر ليحصل

على بنسات قليلة من كل واحد في الف منهم
أدرك ترافرس الفرق المائل بين الحالتين وقلعه يجرى بسرعة
على الورق فامتلاً قلبه غلا وحقدًا وهو يقول في نفسه ان جميع القوانين
الطبيعية تقضى بان يكون هو أى ترافرس حامل القتب وصاحب كل
هذه الثروة الطائلة

لم يقل ترافرس هذا القول اعتباطاً لانه كان أخى راف الطبيعى
ابن المرأة التى اخطأ معها والد راف ، وهى المرأة التى ذكرها الرجل
وهو على فراش موته وحادث إليها ذاكرته قبل أن يسلم الروح !
جز ترافرس على نواجذه وقال وهو يش

— كلمات قليلة — كلمات فارغة يفوه بها رجل يرتدى بردة بيضاء
تجمل كل هذا العرق ! ان ظلامتى هى شرما تحمله العالم اجمع من مظالم
فانا نحن غفل من كل اسم ، مهجور منبوذ على حين يعد ذلك الشاب
من نبلاء البزد وصراتها يتقلب فى ضروب الرخاء والنعيم . ولعدوى
لست أدري لماذا لم أخذ بتلايبيه واخذت أتعاصه الا ان أدركت السبب
الذى حمل قايين على أن يقتل أخاه وبنى لئيم الحق له المذنب .
اخ ! كيف يستطيع المرء ان لا يفيض اخ' شمل المكان الذى ينفى
ان تملاء انت راستولى على كل ما كان لك أن تستولى عليه نعم يوجد
وجه لمطاع عن قايين . فقد ذهبت وأنا أنظر الى وجهه بتمسم بروح
القدر تملاً فلي وأمرى في جميع صريان الدم فى عروقى . اتمنى على
الله أن لا أراه ثانية

مرح ترافرس حرق البزد الذى نصيب من حبه ثم نهض عن
مكائه يتوجه قدراً جريئة من اللذات ثم وقف حذراً مضح في يده

بمصدق النظر الى الامام وهو يتمم فائلا

— اظن اننى غرأ به . كان يجدر بي ان اخبرها اين اقطن فرما
عرضا على شيئا من المال لاننى علم الله فى أشد حاجة الى التعمد ولكنى
لم أستطع . أليس من الغريب أن يشعر شقى منبؤذ مثلى لحقه النار
منذ يوم مولده ، بقىء من الكرامة ؟ لا أدرى من أين جاءنى ذلك
انه ليس من ناحية الام . وهنا تقصصت شغفاه احتقارا لانا لم يرد
للاسف من نحوامه بحب أو احترام . بنا رعا كاذبا من ناحية الاب
لان الدم النبيل لا يمتحنى فانا من أسرة هنية ، وأه لى على الأقل
ثم رفع صدره افتخارا . كلا . ليس الله يأنى . انما أريد . .
ما يمكن ان نسميه اتقاعا أريد أن أعو ضرة الى لحة عثها أريد
ان أضربه كما ضربنى ولكنى لا أدرى هل متاح لى . . . انهم
يقولون من صر ظم . ولكن لا أدرى

يوم ترافرس الصمت هنيئة وأخيرا هز رأسه وقال

لا، ان هذه اصفاء احلام . ستمثل الرواية الى النور . . .
املاكه لصفته لورد ستراتوير . وعنى به أخى الصنف . . .
بثروته ونزوح ويخاف بعده امما رفيما غيبا . . .
أموت كالكلب في هذه الفرقة الحظيرة لرب في غيره ، هاء اذا . . .
الحظ ومت تحت سقف بطنى وبينى . . . ان تحببى

أخيرا أبدى ترانيس اشارة لكما أراد بها ان بعد ذلك تركه
عن رأيه ثم جلس على الكرسي بجانب المضادة وناقش عمله اشارة

في قصر الوصي عليه ، وهو لا يدري شيئاً عن الامنات التي كان يصيها عليه أخوه من ابيه ، بل وهو لا يعلم حتى بوجوده وكان راف لا يزال يرتدى بدلته ولكنه لم يكثرث لانه كان بعيداً عن الغرور ، على انه قصد على كل حال ، كما أخبر الخطاب ، ان يرتدى ثياباً انيقة اصوة بالرجال الذين سيحتلط بهم

دق حرس العشاء فنزل راف على مهل الى ان بلغ الجزء الاخير من السلم فمحب اذ رأى بنتاً صغيرة تنزل في خفة على أطراف أصابعها وقد أمسكت الحاجز الخشبي بيدها الصغيرة البيضاء . وكان راف من ارجال الذين لهم ولع شديد بالاطفال والذين تتحلى بحبهم في قلوبهم الرقيقة الطيبة . فرأى الآن فتاة من أجل الفتيات الصغيرات وارتفعن ذات شعر كثنائي اللون ، تدلى على ثوبها الحريري الناعم القصير ، تلبس زرجليها الصغيرتين حوياً بابيض جليلاً ينتهي بمجاء ابيض من السترة المصممة . وقد زعم راف انها شبيح ملائكي لا يجوز مخاطبته فجأة فنزل هو ايضا على أطراف أصابعه راعها الى أن صار على مقربة منها فمد يده وداعب في رفق شعرها الكستنائي فوقفت البنت الصغيرة ونظرت اليه من فرق منكها نظرة تشف عن الدهشة والثوم ولكنها شامتت في وجهه الجليح ماحول دهشتها وتأنيدها الى ابتسامة يشوبها شيء من الغرابة ، على حين خطبها راف بصوته الذي ينفذ دائماً كالسهم الى قلوب المتفان قائلاً

— مساء الخير أيتها الصغيرة : لقد زحمت في البداية أنك شبيح ملائكي ونسكن أرى الآن من امت . اين عربتك وعرافتك ؟
— لت ألفت أو حاجز السلم ، نظرت اليه ذرة ثم من الحيرة وقد

عقدت حاجبيها وأخيرا قالت
— ماذا تعنى ؟

فتظاهر راف بالدهشة والاستياء وقال

— الست انت سندرلا فى طريقها الى حفلة الرقص ؟ لقد زعمت انك
الشابة التى قرأت عنها فى أكاڤيىس أولاد الجن
فتبست الفتاة وقالت

— لقد عرفت الآن . انك تعنى العربة التى صنعتها الساحرة من
يقطين لسندرلا

— هذا ما اعنيه . واذا لم تكوئى انت سندرلا فعليك أن تعترفى
يان غلطى هذه مادية لان ثيابك حملتنى على الاعتقاد بانك ذاهبة الى
حفلة رقص

وكانت الفتاة الصغيرة تزداد كل لحظة اهتماما بهذا الشاب اللئيم
الجسم النحاسى الضعيف قالت
— حقا ؟ اننى أرتدى هذا الثوب دائما فى المساء كلما أقمت مع ابنة
عمى مود . هل تظن اننى جميلة ؟

جلس راف على درجة السلم وجعل ينظر الى الفتاة فى استحسان
وامعجاب ثم قال

— جميلة ، ليست الكلمة الصحيحة . فأنت أشبه شئ بعد-ودة
بديمة خرجت من دفتر الصور . اذن أنت ابنة عم اللىدى مود ،
— شئ من هذا القليل . اننى أدعوها فى بعض الاحيان «بحاللى»
ولسكها ليست كذلك . اننى مغرمة بها
— كذلك انه ... لا يدهشنى أن أسمع منك هذا اتول هل تتيبين

في هذا القصر ؟

— نعم جئت في زيارة كعادتي

فقال راف في حماسة

— شكرا لله على ذلك

تبسمت الفتاة وقالت

— لقد فهمت بهذه الكلمات بصورة تدعو الى الضحك ، فلماذا

فاجابها راف في ببطء قائلاً

— ترين انني مغرم بالاطفال وقد رأيت ان هذا القصر قد توفر

فيه كل شيء ولا يتقصه الا طفل أو طفلان . ولا اكنم عنك انني أنا

نفسى طفل

رفعت الفتاة عينها في ببطء ونظرت الى جسمه الضخم ومنكببيه

العريضتين وأخيرا قالت وقد ظهرت غيرة في خدها الرقيق

— انك طفل جميل

ضحك راف ابتهاجا وسرورا وقال بلهجة تم على الاعجاب

— بالعكس اظنك تعديفني من العماقة ؟

فقالت الفتاة بلهجة الاعتذار

— نعم انك ضخم الجسم ولكنك لست مثل بلندبور

تظاهر راف بالحزم وقال في شيء من الجلد

— ولكنني مثله . لقد نطقته بحجر وصف لي ، فانا أكبر بلندبور

بأيته . ان هذا أرل اسم مستعار لي . ولما كنت قد اخترعته فالاجدر

لك ان تسمى به . ولكن ما اسمك أيها الطفلة ؟

رفعت الفتاة وجهها وأرخت عينها ثم قالت كأنها تلتقي درسا حفظته

— أنا اللادى ايجلين دى فير نومانى فيركس فقال راف على القور
— ماذا تقولين ؟ كرى الاسم ثانية ولا تنسى الوقوف عند كل مقطع
ذكرت الفتاة اسمها ولقبها على مل وهي تحرك أصبعها الصغير على
أرجل يدها ، فقال راف فى ذهول

— كذا ولكنى أراك صغيرة على حمل مثل هذه القائمة الطويلة
من الاسماء . يحزنى أن أقول اننى رجل غبي . وهذا ليس ذنبى لاننى
ولدت هكذا . فاذنا تقولين اذا أطلقت عليك اسم سندو لامدة وجيزة ؟
لاننى أخشى ان لا نرى ذا كرى في هذه الاسماء الطويلة
تورد وجه الفتاة ابتهاجا وقالت

— نعم افعل . اننى أعرف بالطبع ألقابك ، فانت لورد سترافير
وبارون بيتون وفيكونت كاسل هل ...

ضرب راف جبينه بيده كأنما وقع فى حيرة

— وهو الواقع . وصاح قائلاً

— هيا ، كفى ، هل تعنين ان كل هذه القاني ؟

فقال الفتاة بلهجة التأكيد

— أى نعم . أطلعت على جميع هذه الاسماء فى الكتاب الاحمر
الكبير فى المكتبة . لقد علمت انك قادم الى هنا فاردت ان أعرف
كل شيء عنك ، اذ ينبغي على المرء دائماً ان يعرف كل شيء عن الشخص
الذى سيقابله لا سيما اذا كانت هناك صلة قرابة تربطه به
فقال راف

— هو ما تقولين . وهل انت قريبتى ؟

— نعم ولكن قرابة بعيدة . ليس لسلسلة أظربك نهاية بالضبع

— حقا ؟ أظنهم جميعا من العوردة ؟ يلوح لى اننى لن اقبل أحدا
لا يحمل وراء اسمه سلسلة من الالقاب . ان فى هذا ما يدعو الى الحيرة
فى البداية لا سيما اذا كان اصداؤك القدماء والقوم الذين تعودت
عشرتهم كلهم من العامة الذين يطلق عليهم اسم ييللي وجاك . ولكن
اصغى الى . اننى اطهرك على أن أدعوك باسم «سندرا» اذ فاديتنى
باسم « بلندور »

فاظهرت الفتاة ارتياحها وصدقت على هذا الاتفاق قائلة
— حسنا . اننى أحب اسمك الجديد

— هذا حسن . يجدر بك ان لانى لا أكنم عنك انى أشعر
بميل نحوك

فقالت الفتاة فى ابتهاج

— هذا جميل

— هذا من دواعى سرورى . هل ستأتين معى للعشاء ؟ إذا كان

الامر كذلك فسنتطير معا

فقالت الفتاة فى امتعاض

— آتى الى للعشاء ؟ كلا . أننى صغيرة السن فلا يجوز لى ان اجلس

مع الكبار لى ااول الطعام ولكن يحتمل ان اشترك معكم فى تناول

الفاكهة والحلوى . هذا اذا أرسل لى طلى

فاخت الفتاة بالجلطة الاخيرة وفلترت الى راف فاجابها الشاب على

القدور قائلا

— كما تريدن أيتها الرفيقة . ففى نه سير لى طالبك

فه لت الانتاة

— ما غرب لفتك . لماذا تدعوني رفيقة ؟

حك راف جله رأسه وقال

— هل أتكلم بلغة غريبة حقاً ؟ نعم هذا ما اعتقده . ترين اننى لم
أُرب التربية الصحيحة وقد دعوتك باسم رفيقة لاني اميل اليك
ولعمري أراك «بيضاء» في كل شيء
فقلت اللادى ايفلين

— هل تقول ذلك من اجل ثيابي ؟ ان مربيتي تلبسني دائماً ثياباً

بيضاء في المساء

في هذه اللحظة جاءت اللادى مود فوقفت ونظرت الى الرجل
والطفلة وهى تبسم في اهتمام ولكن كانت تبدو عليها دلائل ذلك
الترفع الذي جعل راف يصعداً دائماً بأنها بعيدة جداً عنه
قالت اللادى مود

— أرى انك تخطب ودايفيلين يا ستراتفير

قام راف ووقف في شيء من الصمت والحياء هنيئة . وكانت هذه
أول مرة شاهد فيها شابة ترتدى ثيابها كاملة فلما وقعت عيناه عليها
انجذبت انفاسه لحظة ولا عجب فقد رآها غاية في الملاحه والجمال لا يجوز
لمسها لذلك ارتجف عند ما شاهد البنت الصغيرة تهرع اليها وتطوقها
بذراعيها قائلة

— كمت انحدث مع ستراتفير . اننى احبه أيتها الخاله مود وهو
مضحك ولكنه جميل وقد اخبرني أنه سيدعوني الى غرفة المائدة أثناء
تناول الفاكهة .

زعم راف أنه لم يرفى حينه احلى من الابتسامه العذبة والحركة

الرفيقة عند ما تناولت اللادى مودوجه الفتاة الصغيرة بين يديها وقبلت
الشتين الجيلتين وهى تخاطبها قائلة

— إذا كان سترانير قد طلب اليك القدوم فعليك ان تأتي ياينا
وفيا كانت اللادى مود تتكلم أخذت تهبط درجات السلم فسار
راف بجانبها صامتاً لانه كان لا يزال مأخوذاً بجملاتها ورشاقة قدها فى
ذهول من تأثير تلك العاطفة المجهولة التى تملكته فؤاده عند ما وقعت
عيناه عليها لأول مرة

وكان اللورد سان ايمز فى انتظارها فى غرفة الاستقبال فخطب
راف قائلاً

— هالو ! هذا أنت . ارجو ان تكون قد تمتعت بوقت جميل

فقال راف فى ابتهاج

— جميل جداً . يحزننى أننى هربت من ناديك ولكن لعبكم لم يثر
اهتماما لى وفوق ذلك رأيت اللادى مود
ذهب الى الجميع الى غرفة الطعام . وكان هذا أول عهد راف بمأدبة
عشاء رسمية فى منزل رجل نبيل . فعجباً أولاً من كثرة الخدم والمظاهر
الرسمية التى يظهرونها اثناء قيامهم بالخدمة وتنوع أصناف الطعام
والوانه ودهش لكثرة الاكواب والكؤوس التى صفت بجانبه والخفة
التي يظهرها رئيس السقاة فى مثلها

لم يكن راف بالغراً الا بله كما يتبادر الى الذهن أولاً فلما ذق طعم
الحمر التى لم ياتمها توخى الحذر فى الحال ولم تمض لحظة وجيزة حتى رفع
يده رافضاً زجاجة الشمباني التى امتدت بها يد الخادم نحوه . وقد
تأملت نفسه عند ما أدرك انه لا يحسن استخدام الالعاق والشوك

والسكاكين التي خصصت له ، فخطأ في استعمالها أو لا ولكنه كان يراقب
اللورد سان ايغز من طرف خفي ولم يلبث ان قلده في استعمال الادوات
المختلفة التي رآها امامه على المائدة

خاض اللورد سان ايغز في حديث طويل أثناء تناول الطعام، وهو
يحاول ان يعطي راف فكرة عن أهمية مركزه والمجهودات التي عليه
ان يبذلها لقيام بالمهمة التي سنلقى على طاقه بحكم لقبه ومقامه. والواقع
شرع الوصي يتحدث قائلاً

— اما فيما يتعلق بحلف اليمين فانك لا تقسمها طبعاً ولا تتبوأ مقعدك
في مجلس اللوردية حتى تبلغ الحادية والعشرين من عمرك، ولكن
خير لك ان تهرع الى مكانك في اسكتلندا في اقرب وقت وستجده
مهملًا في حاجة الى من يشغله . ثم هناك قصور وكثير فاه لم يذهب اليه
أحد منذ وقت طويل . نعم أنه مكان مهجور شديد البرد ولكن
عليك ان تدبر شئونه لقد تلقيت خطاباً من غردون يطالب فيه اليك ان
تراجع بعض الاوراق والحسابات

احذر راف المسكين يشمر بالسامة والملل وخيل اليه أن اللوردية
ستكلفه متاعب ومشاق أكثر مما كان ينتظر ، فنظر الى اللادى مود
فراها تنتظر اليه في تكبر على أنه لاحظ في عينها ما ارسل روح الطمانينة
الى قلبه والشجاعة في نفسه فقل

— حسناً . سأعوى كل هذه الاعمال في احوال . . . هل هذا
ما تسمونه بالفاكهة ؟ اذن لتلك الطقة أن تأتي ؟

التي راف هذا السؤال عندما شاهد الخدم يضعون إطباق الفاكهة
انفضية ، فسأله لورد سان ايغز قائلاً

— آية طفلة ؟

فقال اللادى مود

— ان سترافير يعنى ايفا ، فقد وعدنا بان يرسل اليها
ثم خاطبت أحد الخدم فجاءت اللادى ايفا بعد قليل . وكانت الفتاة
تسر خطوات صغيرة منسقة فحنت رأسها لورد سان ايفز وابتسمت
للادى مود ثم ذهبت رأسا الى الكرمى الذى وضعه الخادم لها
انقسم راف للفتاة الصغيرة واومأ لها برأسه ثم تناول يرتقالة من
الطبق اتبرأما به وصنع من قشرتها صورة خنزير بخفة ومهارة ، والفتاة
تراقبه فى اهتمام وابتهاج الى أن صاحت قائلة

— هذا جميل . أرنى كيف اصنع مثلها ان هذا صعب جدا

فقال راف فى فرح

— بل سهل جدا . تعالى الى

نظرت ايفا الى اللادى مود تستأذنها فلما منحتها ماطلبت ، هردت
الى جانب راف ثم ماتت اليه ووقفت تراقبه وهو يصنع صورة اخرى
الى أن صاحت فى ابتهاج قائلة

— أواه ، انك ماهر . اليس كنت أتيتك الخالة مود ؟

فقال راف وقد رأت ابتهاجا

— هذا لا شئ . راقبني حتى اصنع لك صفارة من هذه البندقة .

فخرى انفسها هذا واعظمي نداء منك ثم انفخي فيه هكذا
تخبر راف فى صفارة قد ماتت ردا جدا طامحا جعل لتشد الصبيرة
نومه ابتهاجا ولم يكنه كاد يحسم اللورد سان ايفز الى الرب راقبه
رائدا ردت ابتهاجا شديدة ثم تفرقت لخطا حتى تارت الغرفة

الجميلة بصغير يخرق الاذان

مال سان اينف في مقعده الى الوراء ثم ضحك على كره منه ضحكة
تشف عن اليأس والقنوط ، ووقف الخدم يحاولون بشق النفس اخفاء
ابتساماتهم ، على حين جلست مود تنظر الى الشاب والعقلة في غرابة
وتفكير . وكان راف لم يفرغ من طهوه ولمسه فلم تمض دقائق معدودة
حتى جلست ايضا على ركبته ، تمسك برتقالة باحدى يديها وتلف الاخرى
حول عنقه وقد رفعت وجهها الصغير الجميل اليه بعينين ملؤهما
الاعجاب والسرور

نسيت الفتاة بلا ريب كل شخص آخر في الغرفة فأنبتها اللادى مود
في وفق تائلة

— ايها ، انك تمنعين سترانغير من تناول شيء من الفاكهة . يجدر
بك أن لا تضايقي أحدا

حوات الفتاة وجهها الصغير الذي كان يهزل انتهاجا وقالت
— اننى آسفة أيتها الحاتة مود . ولكن اليس جميلا ؟ اننى أحبه .
ولا تحبينه ؟

لم يتورد وجه اللادى مود حياء كما كان راف يتع عند سماع
كلمات الفتاة الطائسة . ورافقته مود بالهجة تنطوى على الحزم
والرزانة خيل الى راف انها اقربت حازا دون لا يستطيع اقتحامه
— اذا كان سترانغير قد لعب معك فانه هذه مكربة عظيمة منه .
والان قد حاز رقت اذهب الى نواشك
فولت ايضا عن ركة راف ولكنها ماتت بمجرد ثم رفعت عينها
وعلى اليه .

— لقد ضحكت كثيرا يا بلندر بود بحيث اشعر بتعب لا استطيع معه المشي .

فقال راف

— حقا ؟ حسنا . ان الذنب ذنبي وعلى ذلك سأحلك الى مخدعك
ثم حملها بين ذراعيه فاستسلمت الفتاة اليه في الطمئنان وثقة وفادر
الفرقة بخطوات واسعة

حك اللورد سان ايتمز ذقه ونظر الي ابنته في حيرة واستسلام
ثم هز رأسه مرتين أو ثلاثا وقال

— لعمرى انه شاب مدهش . ستحمل شيئا من المتاعب مع سترانغير
يامود . لاحظي قولي . انه اشبه شيء بدب . فترس خرج من القاب
فقال مود في ثورة

— نعم ، ولكنه دب جميل . اليس هذا اعتقادك يا ابنتي ؟



نام راف تلك الليلة نوما هادئا صعبا كالطفلة التي ظلت قبالتها برهة
معه الى أن غاب عليه النعاس ، فنام درن أن يشعر بروح الحقد
والكراهية التي كانت تتأجج لظاها في الغرفة الحظيرة في حي باليكو
أو يقترب ظلها منه وهو في نومه فتندره بتا ينظره من سر

على أن ذلك الظل كان يقترب منه بخطوات سريعة اذاء افترض

بعد الساعة الحادية عشرة من صباح ليوم التالي الى القصر في يدن
بلجريف وسأل عما إذا كان يستلزم مقابلة اللورد سترانغير . كان
رافرس ، على عكس راف ، لم يذق للنوم طعما . بات ليلته يتهاب في
فراشه يتجاذبه طملان : طامل الكرامة وطامل المصباح الدائمية . وقد
اشتد الضال بين هذين الملمين الى أن كانت الساعة في طامل الاخير

خيل الى ترافرس أن « الاقدار » مدت اصبعها اليه تدعنه الى الانتقام وما هو أكثر منه فلا بد له من الذهاب الى اخيه هذا الذي يرى ترافرس انه اغتصب منه ماله ومركزه . فيكنم عنه حقيقة علاقته به ويعمل لاكتساب ثقته . وهذه مهمة ليست شاقة لان لورد سترافير هذا لم يعض على قدميه من البلاد الموحشة التي جاء منها غير فترة وجيزة فهو جاهل بشئون العالم ، من السهل خداعه واخضاعه . أما ترافرس فكان واثقا من قدرته ومهارته وانه يفوق سترافير في كل شيء اللهم الا في قوة الجسائية

نقض ترافرس العياد عن ثيابه البالية في عناية ثم سار في بطء وهو يدرس مشروءه ويقلبه في رأسه الى أن بلغ التصر ، فقال البواب رداً على سؤال ترافرس ، انه سيتحقق مما إذا كان اللورد سترافير في الداخل ، ودعا الزائر في احترام الى الجلوس في جهو القصر ثم سأله عن اسمه فأجابته ترافرس قائلاً

— قل ان سيدا يريد رؤية خاتمة

بلغ البواب الرسالة الى احد الخدم فجلس ترافرس ثم وضع رجلا على رجل ومال الى الوراء ودار بعينه حول البهو . وكان يديما تدممه اهدمة حمية من رخام وزين جدرانها صور نفيسة واللمحة اثرية ، فزكت هذه المظاهر المتخمخة روح نلتق والحسد في قاب ترافرس ، ولسكن ظل وجهه جامد لايم على شيء مما يحفقه في مسره

نزل الخادم من الدور الاول وقال

— هل لك أن تسكرم ياسيدي بالسير عني ؟

نزع ترافرس الخادم فصعد معه درجات السلم العريضة ثم سار به في شوارع الطويل التي التي « هيب » من قبل في قلب ريف « أن

وصل الى غرفة الاستقبال فوجد راف مستنداً الى النافذة يدخن غليونه وقد دس يديه في جيبه . على أنه لما شاهدوا اُخرج يده اليمنى ومدها في ترحيب اليه قائلاً

— آه ، هذا أنت ؟ هذا من محاسن الصدق هل تدري أيها الشاب اننى عولت على البحث لك لولم أت اليوه ؟ نعم اعترف أن مهمة البحث مهمة شاقة متعبة لاسباً في هذه المدينة الكبرى ولكن متى وضعت هموزى شيء لا انحول عنه حتى اماله . على انك كفيتنى مشقة البحث ، التقييب وبرهنت على أنك رجل « ايض القلب » هيا اجلس . ماذا تطلب ؟ كأساً من الوسكى ؟ كم أما فرح بروثيك

حاول ترافرس أن يضبط نبرات سوته فاعتذر من قبول ما عرضه راف عليه فقال للشاب

— حقاً ؟ انى لأذوق شيئاً من الخمر في الصباح ولا اكتم عليك انى لأميل اليها كثيراً مؤذية من كل حاء . هرك في مسجرك حاء راف اعلمة من مؤلف سبع هذالة حرك وندم الى ترافرس فتناول هذالمنها ثقافة . وهيا كان راف يشعل عود من الكبريت مع عدة حذائه للعاويل . لانه ركب القارس في الصباح . إذا لاحظ أن يد لؤثرة تحف خطاطه في راق وتودد قائلاً

ان ربك هذه كربة كدة منك . اظن انك لو كنت و الامر قليلاً لرأت لك د ملتة لشيء من الخدمة . لقد رأت أما انسيقة الشابة أن تعرف هل أصابت بغير آه ؟ فهل تعتقت ذلك . . . هن أنت واثق من أنك لا بد شيئاً . بلشع اب ؟ حاء اذن سجدت

معا . لا أخالك تجهل من أنا وما هو نصيبي . لقد التقيت على مهام
الوردية التي أرى بيني وبينها بونا شامسا . لذلك أخشى أن أجعل
منها خبيصة لأنني لم أنل ما نلت إلا اتعانا ولم اصع اليه وانما القته الاقدار
على طائفي القاء . الا ان لا أريد أن استأثر بالحديث لنفسى . فغيرني أنت
عن نفسك وقل لي ما هي مهمتك

بلل ترافرس شفتيه بريقه وأرخی عينيه اذ وجد أن الشاب قد
جعل مهمته سهلة فقال وقد غطى رماد الارتياح جنوة الحقد والحسد
التي تتأجج في صدره

— هذا ماجئت لاطلمك عليه أيها الورد سترانغير . إذا أردت
الحقيقة الخالصة فانه لا يسمعني إلا أن اعترف لك أن مزة النفس هي
التي اكروهني على أن أرفض اعطائك عناواني وأن آمحول عنكما بفتة
بهذه الحال . انني فقير جداً أيها الورد سترانغير ومع ذلك خشيت
أن

فقاطعه راف وهو يرمي برأسه قائلاً

— لقد أصبت الهدف بأول رمية . هذا ما فسرت به صمك وهذا
ما كنت أسلكه أنا نفسي ، ولكنك على خطأ لأن الميدة الشابة
ما كانت لتقدم على جرح احساسك ولو كان في ذلك حقيقها . أما أنا
فقد جئت من بلاد يقتل القتيلان فيها كل من يتجرأ على أن يعرض
عليهم تقوداً مقابل ضربات اصابتهم . لقد قلت انك من طبقة طيبة
وقد صدق فيك ظنني

فقال ترافرس بالهبة عينها وهو يزن كل كلمة يفوه بها
— أني سأكرئك حسن ظنك بي أيها الورد سترانغير . ولمبرئ

رأيت اننى اخطأت فى حكمي عليكما فأتيت الآن لاقدم مايجب على
من المماذير

فقال راف فى ابتهاج

— ليس ثمة مايدعو الى ذلك . لقد فهم كل منا حقيقة الآخر ، كما
يفهم الرجل الرجل والآخر أخاه . وهنأرتجف ترافرس قليلا . ولكن
اصغ الى أيها الرفيق . انك تعترف بأنك ميه الحظ . حسنا . إذا
وقم الانسان فى مثل هذا المأزق فليس من العار ان يمرض عليه
المرء مساعدته كما أنه لاحرج عليه إذا قبل هذه المساعدة . . هاهي
مد راف قبضة يده الضخمة فبسط ترافرس يده الصغيرة الرقيقة
وقد تورد وجهه اتعالا ، على حين قال راف

— هذا حسن الان اخبرنى عن خير وسيلة أستطيع بها مساعدتك
الحصول على أجر دائم ؟ هل تدرك معنى قولى ؟ لقد كنت معدناحق
توليت مهمة الوردية فترى فى لغتى شيئا من الخفونة . ولكن هل
فهمت غرضى ؟ ماذا أستطيع عمله لك ؟ فى أى عمل تشغلت ؟

فقال ترافرس بصوت خافت

— اننى أنهم ماأقول كل انهم أيها الورد . برافرس . لقد اشتغلت
بهمام عديدة . ويجدر بي ان اسمي نفسى كاتباً ولكنى لأقوم بعمل ما
الآن بل اتعيش من كتابة التلاغات

بدت دلائل الحيرة على وجه راف ولكنه قال فى ابتهاج

— وهل لا تعود عليك هذه المهمة بمرح ما ؟ اذن تحتاج الى عمل
آخر . خبرنى أى عمل يشغلك ؟

ارضى ترافرس عينيه وتردد هنيهة وأخيراً . . . تنظاهراً بالحجل

— اخشى بامولاي ان تعدنى جريئاً منطلقاً وان كان
المرء فى حالة يأس فانه لا يحجم عن انتهازية فكرة وقد خطر ببالي أنه
وبما ترى من الملائم ان تتحدثنى - كرتيراً لك

فقال راف فى استغراب

— اتخذك ماذا ؟

فقال ترافرس يشرح غايته

— خطر ببالي ان لديك امالا كثيرة فحسب ...
على الرسائل التى تلقاها لا تجدون فى ذمى إلا ما يحسن من الاخلاق
عليها ، وانك تريد امتدادها لرحمن ...
أتى قادر ...

فقال راف فى استعجاب ظاهر

— قادر - نعم هذا ما قوله أياً رفيق - هد مأرده بالصحة ...
إذا كان هناك شيء فى العالم احتاج إليه فذاك الذى هو ...
تحدث عنها الآن - انك على حق ، فان حاجة الى مثلاً ...
بكل ما ذكرت ثم ايرشدنى الى الطريق الصحيح ...
اخشى ان أضل الطريق فكل ...
شخص تعود زماني ويهدى لى الطريق وهو سرمدى ، رأت اذنى
ستحول دون ... ارتكاب البغايا ...
لى ... هل لك ان تطلق كذا ...

وكان قاب نر زرع يفرز ...

-- سكرتيراً

تقار راف

— تم حده، كرجل طيب

تم جاً ترافرس الكلمة فقال راف

— هذا حسن . لقد فهمت الكلمة الآن وسأعدها على كل حال متى
كروتها في نفسي مرة أو مرتين . الآن لتكلم في الاجرة ... كم « يسحب »
السكرتير من المقود ؟ هيا لأأريد خداعاً بل أريد ان تلعب معي بأمانة
فقد ترافرس

— اذهل ان ادع قيمة الاجر ...

واكرر دفع راف حاجيه وحق النظر الى ترافرس فقال هذا
— اعني قيمة المرتب . افضل ان ادع أمرها الى مولاي . هل يكفي
مائة جنيه في العام ؟

فقد راف إمدان أجرى العملية الحسابية

— ممي هذا محرج جداً في الاسبوع . هذا لا يكفي أيها الرفيق
لرجل متم وقي سلك الحرف الدائم . من يدك
استنقع رجه ترافرس ولكنه مديده الصغيرة مرة أخرى وقد لمعت
عيناه تنبض راف عليها بيده الغليظة ثم ضرب الساب على منكبه وقال
وهو يضحك

— من ثم لا تقرب يدي . لقد قدم جاكسون السائق الى خدمة
عائمة ... « اوعك » من ان اذرض ، يا سكرتير !

الفصل التاسع

راف والعالم

سحب ترافرس يده من قبضة راف وقال

— لقد نسينا نقطة في اتفاقنا هذا وهي أنه يجب علينا ان نحصل على موافقة اللورد سان ايفز أولاً، فهو الرضى عليك وليس في وسعك طبعاً ان تقوم بمثل هذا العمل منفرداً دون موافقته

قطب راف جبينه وحك جلد رأسه ثم قال

— أى نعم لقد نسيت اننى شبه طفيل لا أستطيع السير منفرداً
— ولكن في وسعنا ان تحمل هذه العقدة . ولكن لماذا يعارض؟
أنه لم يضع عقبة في سبيل أمنية اردتها ولم يشدد الضغط على هيا نذهب
اليه في الحال ونخبره بما تم عليه الاتفاق بيننا

صار راف نحو الباب مدعواً بحماسته قد ترافرس يده لينعنه
ولكنه لم يستطع فلم يسهه الا ان تبع راف الى الغرفة التي تعود اللورد
سان ايفز ان يجلس فيها ليكتب رسائله ويطالع الصحف بعد
تناول فطوره

دخل راف الغرفة مسرطاً ورفع سان ايفز اليه عينيه في دهشة
فوضع الشاب يده على منكب ترافرس وغاطبه قائلاً

— اصغ الى أيها اللورد سان ايفز . هذا هو المستر ترافرس الذي
دفعته السيارة أمس . لقد دار الحديث بيننا فاستقر الرأى على ان نشتغل
معا . وسيكون لى سكرتيراً . وأظن انك تفهم معنى ذلك اكثر منى
الف مرة . وعلى كل حال قد تم الاتفاق بيننا وأظن ان ليس لديك اعتراض؟

حلق سان اينز النظر من احدهما الى الآخر فرأى ان الشاب تبدو عليه دلائل التهذيب فتتنفس الصعداء وطلب الى ترافرس ان يجلس ثم ألقي عليه بضعة اسئلة أجابه عليها بلهجة منمقة كان لها أثر شديد في نفس سان اينز الذي قال

— اظن ان ليست هناك مشقة فيما يتعلق بالضمان فلما ذكر ترافرس اسم إحدى شركات وكلاء الاعمال الشهيرة اوماً سان اينز برأسه ارتياحاً وقال

— هذه فكرة بديعة يا سترافير ، فيستطيع المستر ترافرس ان يقود زمامك ويسير دفتك بمهارة . ولكن كم المرتب ؟

فأجابه راف على الفور قائلاً

— مثلاً جنيه . هل هذا يكفي ؟

فقال الورد سان اينز

— قد لا يكفي ، ليكن ثلاثة جنيه يا سترافير سينحمل المستر ترافرس نفقات كبيرة اذا كان سيرافقك هنا وهناك تحول راف الى ترافرس وقال

— لماذا لم تتكلم في صراحة أيها الرفيق ؟ لتكن ثلاثة جنيه احر وجه ترافرس الشاب ولكنه قبل التعديل باحشاء رأسه . وكان الورد سان اينز يتوق الى استئناف المطالعة فقال

— حسناً ، سوياً الامر فيما بينكما . سنراك وقت الغداء يا ستر ترافرس

فقال راف

— هذا حسن

ثم التفت الى ترافرس عند مغادرا الغرفة وخاطبه قائلاً

— الان أصغ الى أيها الرقيق . ستحتاج الى مبلغ من المال لتبدأ المهمة به . خذا

ثم أخرج من محفظته أربع أوراق مائية من فئة العشرة جنيهات ثم وضعها في يد ترافرس واستطرد في حديثه فقال — اذا وجدت أن هذا المبلغ لا يكفيك فأخبرني . ان هذه الاوراق أسهل من النقود المعدنية . ألم أقل لك اننا لانجد مشقة في اقتناع اللورد سان ايفز ؟ انه دائماً مسالم : سأراك وقت الغداء

غادر ترافرس القصر واحتاز الميدان وهو يشعر كأنه سائر في الهواء . لقد قرأ الناس في « الف ليه و ليه » قصصاً مذهشة عن أكواخ حقيرة تحولت الى قصور شاهقة . ورجال من العامة صاروا امراء . وفقراء أصبحوا من ذوي الثروة والجاه ، ولكن خيل الى ترافرس انه لم يكن بين كل هذه الحوادث ما هو أدعى لذهشة من قصته هذه ولا من هذا التغيير العجائبي الذي طرأ على مجرى حياته

لو حدث هذا لانتعاب العظم في حياة رجل آخر غير ترافرس لافهم قلبه امتدانا ولنخلبت هذه العاصفة على كل طامع آخر ولكن لم تتقد في صدر ترافرس جذوة الشكر أو الامتنان لانه كان لا يزال تحت تأثير المعركة القاتلة انه أحق بالاحتياط على كل ما يملكه راف ، واعتقاده بأن المرتب وكل ما يحصل عليه من مزايا وفوائد انما هي نقطة من محط بالنسبة الى الثروة والجاه اللذين تقضى المدالة أن يكونا له

أحس ترافرس على كل حال بشيء من الانبهاج عند ادفع المتأخر عليه من الايجار لصاحبه المنزل وعند ما بلغوا في ترفع وفور انه سيغادر غرفته غد . وفعل لم يتوان بل ذهب الى شارع « جرمين »

حيث استأجر غرفة للوم واخرى للحلوس ودفع إيجار شهر مقدماً
وتقل أمتعته القليلة الى مأواه الجديد

ذهب ترافرس بعد ذلك الى حياط وأمره في ابتهاج ان يصنع له
بعض ثياب جديدة . وقد وقع اختياره على خياط من الطبقة الاولى
ودفع له مبالغاً كبيراً لانه لم يكن يرتاب في انه سيحصل على مبلغ آخر
من راف غر الثلاثة جيبه وهي المراتب السنوي الذي استقر عليه
الاتفاق . وفي الساعة الاولى والنصف عاد الى « كلاريدون هوس »
وقد وجد لذة في المطلق بهذا الاسم . ولا عجب فقد قضى كل حياته
في آلام أمانيه ومطامه ، يعلم بما يستطيع عمله وما في مقدوره
الوصول اليه لو اتبحت له الفرصة التي يقدرها الناس كل التقدير .
لقد كان بالامس يكتب عناوين أهل البر ويكد ويجهد ليكتسب مايسد
به رقب الحياة ، أما اليوم فقد صار سكرتير واحد من النبلاء بل
وصديقه - فيالها من حبة !!

قابل راف سكرتيره في هو أقصر فصحة كما اذنت منذ شهر
ثم وضع ذراعه القوية في ذراع ترافرس المحيطة وشى معه الى غرفة
الطعام . فما دخل هرع التلاد الى الصغيرة الى راف ولكمها جدت
في مكانها عند ما وقمت عينها على البحر الغريب ورقت تنفوس في
وجهه بعينها البرئيين ، فخطبها راف قائلاً :

— هذا رفيق لي يا بقا . ان اسمي المستر ترافرس وهو سكرتيري

هل تسمين معنى ذلك

خنت الفتاة رأسها الصغير لترافرس الذي أحس بشيء من التلق
عند ما رآها تنفوس في وجهه ثم قالت

— أى نعم . انه شخصا يتهمنا جميع الكلمات الصعبة التى لا تعرفها
ويغير الناس لماذا لا تريد أن تكتب فى الاشياء التى لا تريد أن تدفع
لها تقودا

فقال راف فى ابتهاج

— كيف ذلك يا ترافرس ؟ اليس نبيهة ؟ انها تصيب المرمى دائما .

هالو . ها قد جاءت اللادى مود

تقول ترافرس عند ما دخلت اللادى مود وكانت . قد علمت من
أيها خبر استخدم المستر ترافرس ؟ فتقلعت الى الامام فى ثباتها
العادى وقالت

— من دواعى سرورى العظيم أن أدرك يا مستر ترافرس . لقد كنا

فى قلق من نحرى ولكن شكرا لله لم تصب بسوء

حتى ترافرس رأسه فى احترام فلم تبسط اللادى مود يدها لمصاحته

فاحس ترافرس ، كما أحس راف من قبل ، بخطتها المنطوية على انترفع
فاستاء لها ، على عكس راف ، ولم يلبث ان ثارت فى نفسه روح الخصام
ضد اللادى مود قائلا فى نفسه ان هذه الفتاة المتعلمة الراقية لا تعدد
أكثر من سكرتير ، من خادم ، ومع ذلك لو كانت تدرى لعلمت انه
من دم اللورد ستراثير ولجه . أحوه الا كبرا

دخل سان ايفز الغرفة وهم يتحدثون فقال

— آه ، هذا أنتم جميعا . أرحبو الآن يا ستراثير ان تكون قد

سويت امورك مع المستر ترافرس . ان هذه لهجتكم أليس كذلك ؟

ثم ضحك ارتياحا وطاد فقال

— سأتكلم باللهجة الاميركية مالك يا ستراثير

قدم راف الى ايقا قطعة من اللحم وربط « القوطة حول عنقها قائلا

— اتنا على ما يرام

فقات ايقا الصغيرة

— هل ركبت جوادك يا بلندير بور ؟ اننى أحب ثيابك هذه

فغمزها من تحت المائدة والتي نظرة تحذير نحو اللادى مود قائلا

— نعم خرجت على ظهر حوادى اليوم

فقات الفتاة الصغيرة

— أظن انك تحسن الركوب . أود أن تأخذني معك أحيانا . نعم

أتلقى دروسى ولكن المعلم شيخ خفيف لا يسمح لنا بالركوض . خالق

مود ، هل أركب مع بلندير بور . اعنى سترافير . أحيانا ؟

ابتسمت اللادى مود لها وأومات رأسها بالقبول ، على حين التفت

راف الى ترافرس وسأله قائلا

— هل تحسن ركوب الجياد يا ترافرس ؟ فى وسعنا أن نجهز لك جوادا

هذ ترافرس رأسه وأجاب قائلا

— لم تتح لى فرصة لتعلم

لاحظت اللادى مود فى لهجة ترافرس ما يشعر وجود رده الحقد

والبغضاء فى صدره . وكانت الفتاة الى هذه اللحظة تعده ، كما تعد كل

فتاة فى مركزها ، رجلا أخط منها مناما ، ولكن الالهجة الغريبة التى

ظهرت فى جوابه كان لها وقع خاص فى اذنيها وحملتها على أن تدقق

المطرائيه وتدرس أحواله فالتت عليه نظرة فاحص مدقق من عينها

الهادئتين مع أنها لم تطل المطرائيه من قبل

رأت مود أن الشاب وميم الوجه رانه من جميع نواحيه مهذب

راقى الاخلاق ولكنها ذهبت بفزيرتها النفسائية الى أبعد من ذلك
فاحست بشئ لا تستطيع ادراك كنهه ، يحملها على أن تصدر عليه
حكما ناسيا . وقد حولت الفتاة عينيها عن وجهه بعد أن ألقت عليه
هذه النظرة الدقيقة ولكن ظل الاعتقاد الذى تولد فى قلبها باقيا ،
وتولوا انها شعرت باحتجاج فى نفسها على هذا الاعتقاد قائلة انها لم تجد فى
أحوال ترافرس ما يستوجب الاحرم بل بالعكس كان هادئا زينا لا يتكلم
الا قليلا ، وليس على ما يقوله أقل غبار

والواقع لعب ترافرس أثناء تناول الطعام دور الرجل الذى ارتفع
بقوة على غير انتظار الى مركزه وأيقن هذا الدور حتى سر الهورد
سان انفر به سرورا عاليا ولم يسع الا الى مود الا أن قالت فى نفسها
انى لا أمان لرسها وانها قادت تصدر عليه حكما ناسيا فكانت النتيجة
ان أظهرت له سريره ووطيته أكثر مما تنهره عادة لاسند من الغرباء
لم يكذبها بل انتهى الطعام حتى أعلن الخادم قدوم المستر غردرين فدخل
المضى وراء علم عهدة المستر ترافرس تنفخ الصعداء وشعر بما فيه به
الهورد سائلا يفز من الارتياح . لأن المستر غردرين كان فى احتارة
يخشى زفاف ويرحب بكل شخص لا يجمه يستطيع ان يكون تبادلا الذاب
الذى جاء به من غمتهنى وانفرد

وكان المستر غردرين قد جاء معه بعض أوراق تتعلق بالضيعة ،
فذهب الرجال الثلاثة الى غرفة مكتب ودعا الهورد سائلا يفز ،
ترافرس الى مساعدتهم

شرح المستر غردرين الامر لرف ، ركاز الذاب حائسا على قعدة
النافذة يسخن سيجاره فاخذ يوصى برأيه وقبضت الى آخر الى ترافرس

كانما أراد ان يقول : هذه مهمتك شكراً لله ولم تمنح لحظة وجيزة حتى
وجد المستر فردون أنه يخاطب السكرتير بدلا من راف
أخيراً قال تراقس

— لقد فهمت ماتريد وسأشرح الامر للورد سترافير

فقال المحامي

— حسناً جداً . هناك مسألة أخرى (وهنا حول عينيه من الورد
سان ايفز الى راف) لم يتم شيء فيما يتعلق بنققات الورد سترافير . اظن
أنك وجدت مدينة لندن من الأماكن التي تحتاج الى نققات طائلة ؟
وجه المحامي سؤاله الاخير الى راف فأجابه هذا قائلا .

— هو ما تقول . ولكن اعطاني لورد سان ايفز شيئاً من المال
لاتقاه . ويوح لي ان لأهمية في مدبنتكم هذه إذا سار الانسان فيها
وجيبه فارغاً أو مملوئاً بالمال . لانهم لا يترددون في اعطائك ماتريد

فقال المستر فردون فتور

— بلا شك . ولكن نتيج اتحاد كثير لامتدت نعيم لنا اني يخصص
لك مبلغ معيناً فقلت إذا ساءلته آلاف جنيه في العام أيا الورد
سان ايفز ؟

تورد وجه تراقس قبلا وهو منكب على الأوراق ان التي تقدم اليه
المترغ دون . خمسة آلاف جنيه ! ايها المرموزة عائشة

قال لورد سان ايفز في تأدب معكم شكراً
— هذا مكثف على ما اعتقد

فقال المستر فردون

— حسناً . في الحقيقة مع انصرف . حركك كذا تأتي معي يا

الورد ستراتغير لتأخذ دفتر حوالا لك . أعلن انه لم يبق هناك شيء .
ولكن أقول على ذكرى ذلك انه يجدر بالورد ستراتغير أن يسافر
الى اسكتلندا في أقرب وقت مستطاع لان الوكيل ابلغني أن هناك بعض
أمور نحتاج الى اهتمامه . انك رجل ذو شخصية سامية في اسكتلندا
أيها الورد ستراتغير ، ويتوق رجالك بالطبع الى تقديم فروض الاحترام
اليك في أقرب وقت
فسأله راف قائلا

— كم يوما تستغرق الرحلة من هنا الى هناك ؟

ضحك سان ايوز وقال ان القطار يقطع المسافة في ثماني ساعات
فقال راف

— حقا ؟ من الصعب أن يدرك المرء ان هذه الجزيرة صغيرة الحجم
بهذا القدر بالرغم من الضجة التي يحدتها العالم حولها واهتمام الناس كل
هذا الاهتمام العظيم بها . لقد التقيت مرة برجل اميركي قال لي انه لما
كان في انكلترا كان يخشى أن يتمشى مسافة طويلة مخافة أن يصل الى
حائتها . ان ثماني ساعات مدة لا أهمية لها . سنسافر الى هناك بعد قليل
ونسكنى أريد أن أشاهد ماضي مدينتكم هذا ، لانها أجمل مدينة رأيتهما
ولو انني لم أرى هذا عديدة

ذهب المستر مردوخ والشابان الى ادارة البنك حيث قوبل لورد
ستراتغير الجدة بمظاهر الخفاوة والترحيب . وقد وقع راف بامضائه
بحروف غريبة في دفتر الامضاءات الكبير ثم ندم دفتر « الشيكات »
المستطيل الذي تستطيع اوراقه أن تحجب ضرب الممرات وان تبه
البارقنة كثير من الاخطار والاهوال

اخيراً قال راف

— أما وقد حصلنا على كل هذا المال فيها بنا لنشترى ما نريد . اننى أشعر الآن بما يشعر به القتيان عادة عند ما يصيبون بقعة فنية بالذهب اننى الآن مطلق العنان وأود لو دهنت المدينة كلها لوفا قره زيا فمرحبا ان فى قولى هذا مغالاة ، اليس كذلك ؟ ولكن فى وسعنا على كل حال أن نזור بعض هذه المخازن

تأبط راف ذراع ترافرس وسار الاثنان معا فى « بوسدستريت » وقد لاحظ راف النظرات الغريبة التى كانت تصوب نحوه وهو سائر يتحدث طول الطريق بملء حرثته كما كان يسير بخطوات واسعة فى محلة « حنة الراقصة »

أخيراً وقف الشاب امام مخزن كبير من مخازن الحلى والجواهر وقال وهو يرمى ما احترت عليه معروضاته

— يلوح لى أن هذا جميل . أريد أن اشترى حلية صغيرة للطفلة واعنى بها اللادى اينما . آه ، اخبرنى ماذا تقول فى هذه ؟

أشار راف الى حنية من الماس تليق بمصدر دوقة ، فهم يضحك ترافرس ولكنه تظاهر بأنه بفحص الحلية بامعان ثم قال فى شيء من التردد — أراها كثيرة بالنسبة الى فتاة صغيرة ، اليس كذلك ؟ هيا ندخل قلبهما المساعد بإحساء رأسه وطاد فكير اخفاء رأسه عندها قد ترافرس

— أنى المودت سترايفير يريد شراء حلية لثمت صغيرة

همم أحد ميسرى المحل المتعب الرفيع مهرب لهما وحش . أسه فبر مرة وتدم اليهما كرسيتين ولم تمض لحاية وجيزة حتى كثرت لوحة

الرجاج امامهما باللالى. والحلى النفيسة الغالية
وقان راف لا يزال يبحث عن حلية كبيرة باهرة ولكن استطاع
تراقرس بمحق ومهارة أن يحمله على شراء قلادة من اللؤلؤ ثمنها مائة
وخمسون جنيتها، فلما حول الثمن الى ربات بدت دلائل الدهشة على
وجه راف ولكنه قال

— قبلت ، اذا كان هذا قولك . ولكن ليس معي المال اللازم
آه ، لقد نسيت ذلك الفتى . هل تقبل « شيكا » ياسيد ؟

فتبسم المدير وقال
— كلا يا مولاي . ليس نحتاجه لى ذلك . لا أريد ان اكيدكم حققة
فقال راف

— هذا تأدب عظيم منك . ارسل خطيبه الى « كلارندن هيرس »
فى ميدان بلجريف

— أعرف ذلك يا مولاي
والواقع كان الرجل ، مثل معظم تجار « وست اند » قد وقعوا
على ناربخ اللورد الشاب الذى ورث هذه الثروة الطائلة بعد ايام
أبن جاء وثأنت تروسم الى رؤيته

مراف فانخروج ولكنه التفت الى الرجل وخطبه قائلا
— عليك أن تكتب هذه الكلمات بحروف ذهبية وهى :
« سندولامن بلندن بور »

التفت راف الى تيررس وقال له أن هذا رزء صعب لك به ، بين
الفتاة الصغيرة ثم عاد الى مخاطبة المدير قائلا
— ثم أصنع الى باسبد . أريد أن أشتري حلية صغيرة زينة

وسكرتيرى هذا . لقد تم الاتفاق بيننا اليوم فأريد ان أقدم اليه
عربونا لصادقتنا

أحمر وجه ترافرس وأراد الرضا ولكن لم يكثرث بقوله وخاطبه قائلا
— التي نظرة على ماحولك وانتق ماعنت منه . ماذا تقول اذا قدمت
إليك خاتما بقص كبير من الماس ؟

جاء المدير الى مساعدة ترافرس فقال

— اذا قبلت رأيي فاني أترح عليك شراء دبوس من الأوثر
اختار ترافرس ، وهو لا يزال يحتج ، دبوسا صغيرا من الأوثر ،
فدماه المدير الى المكتب لكتابة العنوان الذى يرسل اليه الدبوس
وعندئذ استمر الرجل الفرصة وهمس فى اذنه قائلا
— العمولة العادية بالطبع يا سيدى

صعد الدم الى وجه ترافرس وكاد يرتض مايرت . سمى فى ضغط
واسقياء ولكن التجربة كانت عظيمة ، بعض شئ ، روى الصمت



الفصل العاشر

ترافرس الامين

وبينما كان ترافرس مشغلاً في الناحية الاخرى من الحزن ، فان راف ينظر فباحولة في شيء من القلق لان نفسه كانت تتوق الى شراء هدية للادى مودول لكنه لم يجرأ على هذا العمل مخافة ان تعضبه أو ترفض هديته فأثلاً في نفسه ان هذا يكون تمرطاً منه فعذل عن الفكرة وهو يقول فادر الشابان المكان فتأبط راف ذراع سكرتيره وخطبه فأثلاً — اريد ان ابتاع واحدة من هذه السيارات ان تسمى تتوق الى امتلاك سيارة خاصة لاني أتدرب على تسييرها وربما يستاء اللورد سان ايضاً اذا عثمت له سيارة

فسأله ترافرس فأثلاً

— هل توجد حاجة الى الاسراع والمجلة ؟ لقد أتقت اليوم مبلغاً كبيراً

فاه ترافرس بالجملة الاخيرة وهو ينتمم فقال راف — حاجة الى الاسراع والمجلة ؟ بلا ريب من طادتي انه متى استقر رأيي على شيء حصلت عليه في الحال . ثم لماذا انتظر اذا كان في جيبى هذا القدر المضحك ؟ مال ! اننى فارق فيه ، ثم ما فادته اذا لم استطيع اتقاها ؟

هز ترافرس منكبيه وقال

— هذا سؤال لاجواب عليه أيها اللورد ستراثير

فقال راف

— هذا حسن . ولكن أصح الى . لا تخاطبني بلقب «لورد» بل
أدعني باسم راف . ان هذا أسهل في القول وادعى الى الصداقة
— أخشى أن يكون هذا بعيدا عن المجاملة واللياقة . ولكن اذا
كنت تصر على ذلك فاني اعمل القرب وأدعوك باسم ستراثير
— حسنا . جرب ذلك حتى تشعر بعيل الى مخاطبتي بالاسم الآخر .
أظن انه يجدر بي أيضا أن أدعوك باسم ترافرس . ولكن اخبرني ما
اسمك الاول ؟

وكانت أفكار ترافرس قد طادت به الى السيارة وقال هل ستمرض
عليه صولة اخرى يأتى ، ولذا أجاب راف على سؤاله وهو شارد
التفكير قائلا

— ولتريد

كف راف عن السير فجأة ونظر الى ترافرس في دهشة ثم قال بصوت
خافت وهو يكرمه انفعاله

— هذا غريب . ان هذا اسم أبى الذى لم أعرف به الا عند ما جاء
المسترغردون في محلة « حنة الراقصة » في الليلة التى توفى فيها أبى ..
ولتريد !!

« قف ترافرس مطرعا وقد امتقع وجهه وتقلصت شفاته على انه
يملك عواطفه وقال

— ان هذا اسم شائع وقد استعمل كثيرا في اسرتى . ولا أقول
ان هذا الاتفاق من دواعى أسنى اربابيين انه محلة ... تقري أوامر
لصداقة يد يا ستراثير
فقال راف في رزاة

— هو ما تقول . ان هذه سيدة غريبة لا تجعلنى أن أقتل من محبتك .
ولأأكرمك عنك اننى شعرت بميل نحوك فى اللحظة التى وقعت فيها
عيناي عليك . والواقع أحسست بمامل يدفعنى نحوك عند ماشاهدتك ،
بعد حادثة السيارة ، واقفا قبدو عليك دلائل الترفع والشهامة كما لو
كنت من طبقتنا ولا تريد كلاما لينا من أمثالها ، ولو أننا كنا فى
سيارة فاخرة وأنت سائر على قدميك ولعمري أرى فيك فى تقاطيع
وجهك ... اصغ الى يا ترافرس ، كما هناك فى محلة «حنة الراقصة» ..
وهو المكان الذى كنت اشتغل فيه بالتعدين قبل أن تدبى الى هنا ..
تحكم على الرجل من سيئه وجهه زملاعه لاز لباس لا يأتون بك
حاملين كتابا مطبوعا يتضمن تاريخ حياتهم بل سالك أن عقابهم كما هم
وكما يراى لك . وقد جرت مادتنا هناك انه متى مال الرجل الى آخر
اتخذة رفيقا له وعاش معه فى السراء والضراء وشاطره كل شئ وهذا
أزده في كل ما يصيبه . وقد كان هناك رجل أمرفا اسمه سرفتى دام ...
ولكن اخبرني ما رأيك فى هذه السيارة ؟

فقال ترافرس

— سنذهب الآن الى شركة من " كبر شركات تعديارات

مادراو الى قصته فقال

— وكان سوفتى هذا كالكلب اللاهين ، سيم لا يذنب من الظلم لا يدب
الحدث أو الحداد حتى يبال : وشئت جبر . هذا اسم محامي محسن . أخبرك
عنه يوما . ان الرجل صا ، الحداد يدعى لمرة ؟ فمر على ما يريد
دون أقل مسقة ، فانق ان ... سام رجلا غديا في ... أتفهم
وفيما واعتقل ... في عقره انى ان ... ذت ... ك ...

النقود فسرقة الرجل في اليوم التالي واختفى . هل فهمت ؟ ... لم يبيع سام هذا السرور ولكننا اكتشفنا الامر فالتقينا أثر الرجل الى أن قبضت عليه وعدنا به لها كمتة في « الصالون » وفادينا سام ليكون الشاهد الا كبر وذهب أحد الفتیان ليبحث عن رجل ليكون على استعداد بعد اصدار الحكم . ولكن قال سام : « ان الرجل ليس مذنباً ، فانا الذي أعصيت لم تودس تلفاء تقى ليسافروا بى بشقيةته التي أردت الزواج بها » فانهي الامر عند هذا الحد لاننا لا نستطيع أن ندين رجلاً أراد سام أن يتزوج شقيقته

مسأله ترافرس قائلاً

— وهل تزوج سام شقيقة الرجل ؟

فقال راف بلهجة جافة

— كلامك لم تكن له شقيقة . ولكننا لم نتف على هذه الحقيقة إلا بعد أن صدر لرجل في مرض البحر . ولكن مادام دويت لك هذه القصة آه ، هذا لاننى أردت أن أرى رهن لك على أنتمى اتخذواحد منا صديقاً له تمسك به ولو تبين فيما بعد أنه رجل شرير . ولكنك رجل طيب « ايضاً » القلب . واذا شئت الصراحة أقول انه ليس من التأدب أن التى على مسامحك مثل هذه القصة . ولعمري يلوح لى أن الفتاة الصغيرة « سابيت » ارمى عند ما أطلقت على اسم « بلاندربور »

مقال ترافرس بصوت خامت

— فهمت كل المهم وأنى مقدر صداقتك كل التقدير ولك أن

تعتقد اخى بأذلك شعورك اما فيما يتعلق بى ...

فنوسل راف اليه قائلاً

.. بالله تكلم على مهل وبلغة سهلة أيها الرفيق . لقد استعرت مرة قاموساً من رجل كنت معه في التل ، في وقت لم يكن لدينا حمل لعمله غير التدخين والاكل والنوم ولعب الورق والظاهر انك حصلت على ذلك القاموس وحفظته عن ظهر قلب ولكني اعرف ماتمى وهو انك تميل الى . حسناً . اننا اخوان من أب وأم آخرين ، اليس كذلك ؟ زعم راف أن هذا مزاح جميل فدهش عند ما رأى الدم يصعد الى وجه رفيقه الشاب ولكنها كانا قد وصلا في تلك اللحظة الى باب شركة السيارات فدخلا وهناك قوبلا بمظاهر التجهة والاحترام التي لقيها في مخزن الجواهر والحلى

شرع راف ، وهو يحمل سيجاراً طويلاً في زاوية فم ، يتفقد السيارات فاختار اغر سيارة ، كما توقع ترافرس ذلك منه . وقد أراد المدير هنا أيضاً أن لا يأخذ « شيكاً » ولكن راف أراد أن يستعمل الكتاب السحري فدما ترافرس لكي يريه كيف يعمل الصورة ، وفي النهاية كتب ترافرس الحوالة وأمضاها راف الطمع

تناول الرجل الحوالة ثلاً

.. سأعطيك وثيقة بالاستلام بامولاي

ثم التفت الى ترافرس وأخذه جانباً على حين حاد راف الى مشاهدة السيارات ثم خاطبه بصوت خافت قائلاً

.. أظن أن هناك حصة لك كالمادة يامستر ترافرس . ليس في وسعنا أن نعطيك أكثر من خمسة في المئ ولكن إذا سمعت لتغيير السيارة بعد قليل من الزمن ... هل قهمت ؟

فاوماً ترافرس برأسه علامة الابهاب

زار الشابان مخازن أخرى فكافأ أيما حلا موضع الاحترام والاحلال
الى أن قال راف في النهاية انه يشعر بعمق قذبه الى كارتون ليتناول
قليلا من الشاي . وفيما كان راف يتناول فنجاناه مال في كرسيه الى
الوراء وأخذ يطيل النظر الى الرجال والسيدات في ثيابهم الانيقة بروح
الاهتمام والاستحسان ، على أنه كان يقول في نفسه طول الوقت أنه
لا توجد بين السيدات والشابات الكثيرات التي رأهن . وبينهن عدد
غير قليل من الجيلات . من تحاكي اللادى مود ملاحه وجمالها
أخيراً قام راف ومد ذراعيه ، بحالة لفتت اليه انظار الذين كانوا
على مقربة منه ، وقال

— علينا أن نعود الآن . يجب أن أصل الى القصر في وقت يساعدني
على تنظيف القصر ووضعها في فراشها
بست دلائل الدهشة على وجه ترافرس ، فشرح راف يشرح
ما اشكل عليه فهمه قائلا

— اعلم أن لدى فرسا أروضها للادى مود وقد تعهدت بأن اجعلها
خفيفة الحركة سلسلة القياد وديعة الخلق قبل أن اسلمها الى صاحبها
فقال ترافرس في هدوء

— فهمت
والواقع فهم الشاب اذ شاهد لمانا في عيني راف وتوردا في وحنقه
عند ما ذكر اسم اللادى مود . على أنه قال
ان العشاء في الساعة الثامنة على ما اعتقد سنلتقي بعد قليل باستراخير
فقال راف

— لأعد فترة فراقتا وجيزة ايها الرفيق الى الملتقى

سار راف في طريقه فوق ترافرس هنية ينظر الى الشاب الطويل
 ذى الجسم القوي الممتلئ وهو سائر بخطواته الواسعة وسط الجماهير
 المزدحمة على الرصيف ، وأخيراً طأ الى منزله الجديد في شارع جرمين
 كانت اللادى مود والورد سان ايفز مدعويين الى تناول العشاء
 اليلية في الخارج ، تناول راف وترافرس عشاءهما منفردين وقد أثرت
 مظاهر الجلال والايمة ومشهد الخدم والطعام الفاخر في نفس ترافرس
 أكثر من تأثيرها في نفس راف ، لان ترافرس كان أقدر على ادراك
 قيمة هذه المظاهر ومنزاهها من رفيقه . والواقع كان وقع المظاهر التي
 أحاطت به أقوى و تقص من وقصها في نفس راف فلم يسمعه إلا أن
 يعجب من أمر هذا المعلن الخشن وما اظهره من الثبات والبرود في
 حضرة الخدم . وقد لاحظ أنه وان تكن خطه راف وأطواره لا تتفق
 مع ما يظهره الذين هم في مرتبته عادة ، فقد كان الخدم ، من رئيس
 السفاة وما دونه ، ينظرون إلى الورد الشاب بعين الحب والاحلال
 قال ترافرس في نفسه ان هذا الحب وذلك الاحلال انما يرجعان
 الى مكانة راف ومنصبه الزفيع ، ولكنه كان على خطأ في حكمه هذا
 لان الرجال الذين شاهدتم بتحركون بحفة ونشاط في الغرفة قد أدركوا
 ما في الشاب من النبل والشهامة ، وهى المظاهر التي تجلت بصورة
 واضحة جليلة في طول قامته وامتلاء جسمه ونظرات عينيه الرائقة
 ورة صوته

جلس الشابان بعد تناول العشاء يدخان ويتعاذبان أطراف الحديث
 فاستدرج ترافرس راف الى الكلام عن الحياة في محبة «حنا الرافصة»
 ولم يكن راف في حاجة الى استدراج اذ لم يلبث أن شرع بنفس على

مسمع ترافرس كثيرا من مظهر الحياة في المحلة وهو يحمل سبجاره في زاوية فـه

وانفق أن وصل راف في حديثه الى ذكر فيني فلم تكـد شفتاه تنطقان بأصمها - حتى امسك عن الكلام فجأة كأنما اصطدم بذكريات قوية فأرشف ترافرس الجمع وقل منظاهراً بعدم الاكثرات - ان في حياة فتاة في مكان كالذي وصفته ما يدعو الى الاهتمام. هل كانت الفتاة جميلة ؟

عقد راف حاجبيه . لقد ذكر اسم فيني في مجرى قصته وهو لا يزيد الكلام عنها فلاحظ ترافرس تردده فأزداد شوقاً إليها معرفة ما هناك أخيراً قل راف

- أي نعم انها جميلة . ان فيني مستقيمة الاخلاق في كل شيء

فقال ترافرس

- أظن أن الفتاة الجميلة المستقيمة ، كما تصفها ، تزوج في الحال لان خطابها يكونون عديدين فقال راف

- أي نعم . ان كثيراً من الفتىان يشمنون الزواج بفيني ولكن لم يستطيعوا حملها على القبول ثم لا أعلن ... كما قلت لك ...

استطرد راف في قصته فذكر نبأ معركة حامية دارت من أجل حفرة في أحد المباحم ولكن ترافرس أدرك أن هناك علاقة ودية قلبية بين الشاب وفيني ووصى هذا الامر في رأسه كما كان يعني كل شيء يتعلق براف الثلاثة جاء اليه في المستقبل . ولا عجب فقد كان ترافرس في كل ساعة ، بل قل في كل لحظة منذ الفتة المتأدبر مع أخيه في دائرة

واحدة ، يشعر بكابوس فكرته ، وشوقه الشديد للقبض على زمام راف
واستخدامه إذا استطاع أداة للانتقام منه مقابل الذنب الذي جناه
أبوه عليه ، أى على ترافرس

خرج الاثنان معا بعد ذلك فاقترح راف ان يذهبا الى دار من
دور الملاهى والتسلية. وكان الوقت قد مضى للذهاب الى أحد المسارح
فدخلتا قاعة من قاعات الموسيقى . على ان راف لم يجد فيها تسلية وهو أمر
يدعو الى الدهشة إذ اذراعينا حياته الماضية

ولكن اتصاله باللادى مود كان قد هذب كثيرا من أطواره ، فلما
جلس الآن فى القاعة حاملا ذقنه بيده الضخمة ، متكئا بمرفقه على
ركبته ، يراقب المغنيات ويصنى الى غنائهن تحيل اللادى مود بوجهها
الجميل وقد بدت عليه دلائل الجحود ثم السخرية والاستهزاء ، فلم
يسعه الا ان التفت الى ترافرس وعاطبه قائلا

— لا اشعر بميل الى هذا المظهر . سأراك غداً أيها الرفيق

وفى ان راف يدخل القصر إذ وصلت عربته سان ايفز ، فذهب
الشاب اليها مدفوعا بغير رزته وما يليه واجب التأدب ليساعد اللادى
مود على النزول فلما وقعت عيناه على ملاحظتها الباهرة تردد ولم يجرأ
على ان يد اليها يده ولكنها بادرت وبسطت له لها يديها فساعدتها
على النزول ثم رافقها الى غرفه الاستقبال فقالت الفتاة وهى تخلع
حقازها الطويل

— لملك لم تقض ليلتك فى خمر وكآبة

فاجابها راف قائلا

— كلا . ولكنها لم تكن ملائى بدواعى الابتهاج والسرور . لقد

ذهبت مع ترافرس الى مكان من اماكن التسلية ...
انقطع راف عن الحديث فجأة ونظر اليها بعينه المملوءة من اخلاص
وصراحة ، فقابلت الفتاة نظراته في اطمئنان وسكون ، على حين
قال الشاب

— لعلك تشعرين بميل من نحوه ؟

فقالت الفتاة

— لم ار المستر ترافرس إلا قليلا ...

ولكن قاطعها الشاب بضحكة قصيرة قائلا بلمحة لا تخلو من الوم

— آه ، كفى أيتها اللادى مود . في وسعك ان تزي كل رجل وكل

امراة في طرفه دين انه شاب طيب ورجل « ابيض » ...

فقاطعت الفتاة بدورها بهزة من كفها وضحكة رقيقة ، قائلة

— إذن قضى الامر . إذا كان هذا قوامك فليس لدى ما أقوله

لم يرتح راف الى هذا الادمان الكلي فقال

— حاولي ان تميلى اليه . أنتى شديد الميل اليه

نظرت اللادى مود اليه ثم قالت وهي تبسم

— هذا ما اراه . عم مساء يا سترافير

استيقظ راف في الساعة السادسة من صباح الغد فتناول تنظيف

الفرس ثم ركبها وخرج الى البستان . وكانت الان قد صارت سنة الفياض

بقدر ما هي جيلة واتحدت الى هذا العملاق ووجدت في أس يده

رفقا وحنوا كما وجدت في صوته ومخاطبته ايها اللة وابنهجا حتى

عجب السواس لامرهما وقال احدهم انها تعرف وقع خطواته وتنبه

في الحديث كما يتبهر الكاب صاحبه اينما سار

لما عاد راف بالفرس الى القصر وجرى بيده على جسمها البام
الامس واخبرها غير مرة أنها « بنت » طيبة وأنه معروم بها ، اغتسل
بالماء البارد ثم تناول مطوره الفاخر الذى يحبه له به الى غرفته . واتفق
ان جاء ترافرس قبل ان يفرغ من طعامه فنظر الى بقايا الطعام فى
صحت مقرون بدهشة

وكانت رسائل راف قد اخذت تزداد فدنع الشاب اليه مجموعة
من الخطابات قائلا

— خذ هاهي الذئبة العادية . من الغريب ان عددا كبيرا من
الذين يطلعون تقودا ويلوح لى اهم جريما يعتقدون اننى اسلت الى
العالم لاعولهم واقدم اليهم ما يطنون
تورد وجه ترافرس قليلا ثم قل

— اما وقد تكلمت عن التقود فان معى مبلغا من المال اقدمه
ليك هذا الصباح

ثم اخرج من جيبه رزمة من اوراق البنكنوت ووضعها امام
راف فسأله الشاب قائلا

— هالو ، ما هذا ؟

وكان ترافرس يرمق الاوراق الملبية فى حمرة لان الخطة التى
وضعها آلمته كثيرا فقال

— وصلتني هذه التقود من الناس الذين اشترينا منهم امس الحليّة
والسيارة . فقد جرت العادة ان يمدنى الرجل الذى يقدم رجلا آخر عمولة
عما يشتره . وقد زعم اولئك الناس اننى اتقبل هذه العمولة فارسلوها
الى اورانا مالية ولم يرسلوها نحو بلا على أحد البنوك لان التحويل

يسهل اقتنه وه

لم يصح راف دهشة كما كان ترافرس يتوقع ذلك ولكنه عد
الاوراق ثم نظر الى الشاب وقال

- اننى لأرتاب فى اماتك أبها الرقيق

ثم ضحك وهو يتكلم ارتباها اذ وجد فيه هذا الدليل ليقدمه
الى اللادى مود يردانا على امانة ترافرس . والواقع ما دالى حديثه فقال
- اننى ممرور على كل حال باحصار هذه النقود .

فأله ترافرس ثلثا

- هل أردتها ثانية ؟

كان راف ساذجا فى بعض الامور ولكنه كان فطنا فى غيرها
فقال فى جفاء

- 'أظن ذلك'

ثم دسها فى حقيبته بركة دسها على 'طائها' ترافرس يومه .
فاد راف سكرته ففتن بالخطابات ثم خرج بحث عن اللادى
مود فوجدها واقفة فى السور تأسف لخروج فمألهما ثلثا
الى أين أنت ذاهبة ؟

فتألت وهو متململ

- 'فأله ترافرس' فى المقص جميل
بحيث أفضا المشى الى سكرته

سار الاثنان معا الى سكرته الى جده
للادى مود كلام سكرته الى حاله آخر
'أظن اننى قد لهذه

- قلت اننى أريد التمسى لالسباق بإستراخير
- آه ، معذرة ! لم يحظر بيالى ! اننى أسير مسرعاً لاننى كنت غارقة
فى افكارى . هل أخبرك بماذا كنت أفكر ؟
فاجابته الفتاة فى رزاة قائلة
- لذا عشت

- حسناً . كنت أقول فى نفسى أنه لو جاء فى أحد منذ ثلاثة شهور
وأخبرنى اننى سأتمشى فى هذه المدينة بجانب اجم - اعنى سيدة راقية
مهذبة مثلك - لضحكت من قوله . ولكن هى الحقيقة
فقال مود
- ليس أغرب من الحقيقة

- هو ما تقولين . اننى أشعر بذلك كل يوم . . . هل وصلنا ؟
اخبرينى كم استغرق مهمتك ؟ سأنتظره هنا اذا شئت
- أن هذا يتوقف على مدام برحامون الخياطة . لك أن تنتظرنى
اذا كنت واقفاً من أنه ليس فى انتظارك ما يصبرك
فقال رافى ب لطفة ولكن فى شيء من الحزن
- فى رسمه أن يتمشى بعد ذلك فى السنان قليلاً ؟

- نعم فى سعادته . سأسرع ما أستطيع
تهللى وجهه رب مود بانزله المنتظرة قائلاً فى نفسه ما أجل
مرافقتى الى أحباءى الزهور . دت الالوان البديعة الزاهية ، والوقوف
حائشها ومناجاة الابلاد وهم يسبحون زوارقهم الخفيفة فوق مياه البركة
أشبه رافى لقاعة من التبخيم ثم جعل يتمشى ذهاباً رحيئة ويداد
حلف ظهره وقد جذب قمعته نحو حبيبته ونهض عزيزة قلبه . لكنه

كان بالزعم من حالته هذه ، يراقب مايجرى فشاهد بمد قليل عربة
نخم قادمة في الشارع الضيق المنحدر ، يجرها جواد واحد ، كان يناضل
بحملة الثقيل بشجاعه

وقف راف يراقب العربة فرأى السائق جالسا في مقعده يصيح
في الجواد المسكين ويلبه بالسوط على رأسه في قسوة ووحشية
فكان الجواد يتنفس بمشقة ثم يستجمع قواه ويكافح لجر حمله
الثقيل ثانية

لم يطق الشاب رؤية هذا المشهد فوثب الى العربة وأمسك بعنق
السائق وجذبه عن مقعده والقاه على ظهره وسط الشارع ، وفي اللحظة
نفسها تقريبا أمسك برأس الجواد المسكين وأخذ يخاطبه بكلمات
رفيقة ملؤها التشجيع

قام الرجل يتعثر ووقف ينظر حوله وقد خيل اليه ان صاعقة نزلت
به من السماء أو داهمته قوة سحرية لقيه عن مقعده ، الى ان وقعت
عيناه على راف فصاح غضبا وحمل على الشاب وهو يزجر قائلا

— هل جئت ؟ بأي حق تعرض لجوادي ؟

لم يقصر الرجل حملته على الغضب والوعيد بل صوب قبضة يده
الى اذن راف فصره الشدب بيده اليمنى بينما كان يداعب الجواد باليسرى
فالقاه على الارض مرة أخرى بعد ان اصطدم بالعربة

لم يدع راف الجواد واسكه مد رجله ورمى الرجل بقدمه قائلا
بلهجة خالية من الغضب ولكنها لا تخلو من الاحتقار

— قم وادغم العربة من الخلف أيها الغبي الاحقر

حذق الرجل الدطر الى الشاب الغريب الذي رجوه امامه ثم مسح

الدم الذي خضب وجهه وسار الى العجلة يدفعها دون ان يفوه بكلمة فسارت العربة الى ان اجتازت الجرى المنحدر واستأنفت سيرها في سلام لم تقادر لقافة التبغ ثم راف ولكنها انطلقت فاشعلها في برود واطمئنان كأنه لم يقع شيء ثم أخذ يتمشى ثانية ، ولكن لم تمض لحظة وحيزة حتى فتح باب المنزل وخرحت اللادى مود شاحبة اللون ، تلمع عينها في اضطراب وخوف

وكانت الفتاة قد شاهدت ما حدث من المفظة فتعلقت بذراع الحياطة ومنعتها من التعصيح ثم وقفت جامدة وقد فغرت فاهها واضطرت اقامسا واشتدت ضربات قلبها وهي تحرق منظر الى راف

إذا قلنا ان المرأة تعبد القوة في الرجل فاعلمنا نكرر حقيقة متناهية لكن إذا استخدمت هذه القوة انتصارا للطفل أرحبوا ان ابكم اشتعلت هذه العبادة مثل نار قسية ولكنها كاوية

كانت هذه التيران تستغل الآن في قلب الفتاة وهي سائرة بجانب راف . فلزمت الصمت هيبه حتى استطاعت ان تضطرب ان صوتها لكي لا يتم على حقيقة حالها وعندئذ سألته في تأدب ولكن في غير اكثرات فاته

— عليك لم تعمر بسكمة يا تراجم ؟

فاجاب المدا في استعجاب قائلا

— كلا . مطلقا . ان الانسان لا يتناوى شيء تدينه والتمسك به

مديقتكم هذه . ولكنني اريد ان احذرك شيئا من تراجم

شرح راف بنهجة الصبر يقص عليه معجزة ابي راف وانه ارسل ولكن كرامة ثم مع شيء من التواضع والواجب قد تمردت به

جموع الرجال الذين اعجبوا بملاحمتها وقد وقع بعضهم في شرك غرامها ولكن لم يستطع واحد منهم حتى الآن ان يحرك قلبها ، ولم يكن السبب في ذلك برودها ولكن كانت مبادئها طالية ومستواها رفيعة ولم يكن بين الذين وقعوا في شرك غرامها واحد استطاع الوصول الى ذلك المستوى

لم يستطع راف بلوغ هذه الدرجة بل اريب فانه بالرغم من القابله الرقيقة ورويه الطائفة ، لم تستطع الفتاة ان تتجاهل الحقيقة الواقعة وهي انه كان معدنا خشنا غير متملم وكانت لا تعلم الا النذر القليل من تاريخ حياته واسكن هذا القليل فان فافيا لاقامة سد بينه وبينها وستزوج يوما بلا مرأه ولكن الرجل الذي ستقبله زوجها لا يكون من طبقها لحسب بل لا بد ان جون ذا ثقافة ، سامي المدارك ، ليس له ماش كما مضى راف

قالت مود في نفسها ان ما أصابها انما هو نتيجة المشهد الذي رآته في الشارع تحتها ، وانه لا يوجد ، على كل حال ، ما يمد عملا ينطوى على البطولة في تقدم شاب قوى العضل مثل راف لمعاقبة رجل ضعيف يشتمل بذقل الفهم

لم تعترف الفتاة في نفسها لحظة واحدة بانها أحست به طاعة أقوى من طاعة الاعجاب نحو ما أظهره راف ، من القوة نهيم ورباطة الجأش ، ومع ذلك حست ربهيا لانهما ستتنازل عداها اليوم مع احدي صديقاتهم واتجهت ليلها لا تنازل راف ثانية حتى يحين وقت المشاء . ولما حاست مع صديقتهم رقت الغدا ثم ذهبت معها بعد ذلك لتبتاطا ببعض حاجاتهما من المخازن ، ظلت مود طويلا الوقت لا تذكر لاني

أغلامه المديدة وخموشه وحقارته . على أنها أحست بشئ في داخلها
يشور عند ما نعته بالوصف الأخير نعم أنه خفن ، رجل غليظ الطبع
جاء من أحد المناجم ، ولكنها كانت تعلم أنه ليس بالحقير
أكرهت مود نفسها على الاعتقاد بكل عيوبه الاخلاقية وسوابقه
حتى كادت تقضع سرها باضطرابها عند ما فتح الخادم الباب فقبل
وقت العشاء ودخل رافق عليها بتياب السهرة

يقولون في الامثال العامة : «لبس البوصه تبقي عروسه» ولكن
راف لم يبد في ثيابه الجديدة ، طرازا بديعا للرجولة فحسب ، بل ظهر
لشكل فاخر ممتاز ومن الغريب ان الشاب لم يصبه شئ من الزمواو
الحياء لان أفساره كلها كانت موجهة اليه والامود كانت قد خضعت
لغريزتها النسائية فاختارت اليلة أحر ثوب لديها فكانت مثالا للملاحه ،
ذات بهاء وحلا لا يكبحي لطرده روح الفروور من رأس كل رجل أشد
غريوا من راف

لم يكن سان ايمز فلي تأثرا من ابتته فرصع نظارته على عينيه
وحقق النظر الى المعجم المعتلى للطويل ثمأ مأ برأسه استعده نا وقال
— هل بلغت كل هذا المبالغ ليلة يا ميمز ذرية ؟ كيف توصلت

الى ذلك ؟ ان الزحار بقضى مالا يدر عن شئ في صنع بذئى

فتما راف وهو يصحف

— نعم ، ولكنك قد ريت لم تدفع الزحارة ثوبا رافيا من

اذا لم يوصل ملاساة يجر أقرب وقت

وهذا له سبب آخر

— نعم ، كما ستراد انذرت سرى رافى كى تضى عن حقيقته .

وكانت عينا الفتاة الصغيرة تلعبان لعمان النجم ، وشغفها ملتوتين
وهي تحاول اخفاء ابتسامتها ، فسارت بخطوات خفيفة الى أن جلست
في المقعد المعد لها بجانب راف ثم التفت عليه نظرة ملؤها الثقة المتبادلة
وأدخت عينها كما لو كان بينها وبينه سر عظيم

على أنه لم تمض لحظة واحدة حتى سألتها اللادى مود قائلة

— ما هذا الذى حول عتقك يا ابنا ؟

صفت الطفلة يديها وضحكت ثم أومأت برأسها الى راف

وصاحت قائلة

— ألم أقل لك ان خالى مود شترى القلادة فى المحلة الاول ؟

ثم نزلت عن كرسيها وهرعت الى اللادى مود وسألتها قائلة

— أليست جميلة أيتها المحلة ؟ وحدثها على منضدة الثياب هذا

المساء . انظري الى العلة . اليس هذا عملا جيلا منه ؟

لمصت مود اللادة ثم تبسمت ورفعت حاجبيها وهي تنظر الى

راف وقد ابتهج لاشهاق الفتاة ، وثبات

— أحلها جميلة جدا يا ابنا . يجب ان تعتنى بها الاستناء كله لانها من

اللائىة الديمة

وكانت الفتاة الصغيرة قد هزعت الى جان ايضاً : صاها هو أيضاً قائلاً

— نعم عليك أن تهتمى بها أيتها الصغيرة لانها قد كلفت عمالاً بالاهراء

ثم التفت الى راف وهز رأسه قائلاً

— هل هذا رأيك فى تقديم هدية الى طفلة صغيرة يا سترافير ؟

فقال الشاب فى غير اكترات

— ستعنى بها كل الاعتناء بلا ريب فتعلمها عند الساعة الثانية

عشرة مساءً ثم تقسحب الى مقرها مثل العربية وما شاطها ، أليس
كذلك يا سندرلا ؟

فقالت الفتاة بلهجة التأكيد

— سأعنى بها كل العناية يا عزيزى بلندر بور

وفيا كانت تعود الى كرسيها ، وقفت بجانبه وطوقت عنقه بذراعيها

الصغيرتين ومدت شفتيها الرقيقتين قائلة

— احن رأسك يا بلندر بور لاننى اريد أن اعطيك قبة . هل افعل

أو لا افعل أيتها الخالة مود . . . ألا يجدر بي أن أفعل ذلك ؟ لو أعطاك

مثل هذه الهدية الجميلة لعلت ذلك ؟

فقالت اللادى مود فى رزائنها العادية

— احل . ان هذا أقل مما تستطيعين عمله

نعم فاهت مود بهذه الكلمات فى جدورزاة ولكنها غضبت

وامتعضت عندما وجدت نفسها مضطرة الى مقاومة حمرة الخجل التى

صعدت الى وجنتيها . أما راف فقد اهر وجهه حياء وهو يعيل لتقبيل

التمتاة رقد عجب فى نفسه قائلاً ماذا تقول اللادى مود لوجاها بهدية

ثمينة من الهدايا التى تاقّت نفسه الى شرائها ؟

ركبت اينما تتحدث مع راف عما راق لها التحدث عنه ماول وقت

العشاء ، على حين كانت اللادى مود تراقب ما تجلى بينهما من دلائل

المطف ، دون أن تتظاهر بشئ من ذلك فرأت ان الطغلة تعبد الشاب

بقلبها الصغير . ولاحظت دلائل المطف والحنان التى تجسمت فى عينيه

وهو ينظر الى الطغلة وفى نبرات صوته وهو يخاطبها . صفوة القول

لم نجد اللادى مود آتراً لطباع المعدن الحشن بل خائنه قد تحول أيضاً

الى قتل وديع على تقيض ذلك الرجل القظ الذي شاهده يكيل تلك
الضربة الفاسية لسائق العربية منذ ساعات قليلة
لما ذهبت مود الى غرفة الاستقبال منفردة أحست بقلق غير مادي
وقد ظلت طول حياتها واثقة من نفسها ، فأبضه على زمام عواطفها
لا تعتمد على غير نفسها ، ثابتة في وجه العالم اجمع بل وفي وجه نفسها
أيضا ، ولكنها شعرت اليلة بحاجة الى الاعتماد على نفسها كما لو كانت
دعائم قوتها اخذت تنزعزع من تحتها

على انها لم تلبث أن نهضت من مكانها بعد قليل فذهبت الى (البيانو)
وأخذت تعزف وتغنى . فلما دخل راف عليها لم تسأل كلف عن العزف
بل اكرهت نفسها على الاستمرار ، على حين تقدم راف حتى وقف
بجانب المضدة خلفها الى ان فرغت الفتاة من عزفها وغنائها فلم يبد
ملاحظة ولا شكرها بكلمة فنظرت اليه من فوق منكبها مكرهة انها لما
مارأته على وجهه من دلائل الدهول حتى بدا كأنه في حلم عميق يخفى
اليقظه منه

كان راف قد ادرك الان ماهي الموسيقى ووقعها في نفسه . ولو
كان السنوات التي سمعه صوت مغنية مادية لتحركت عواطفه ، ولكن
لم يكن الصوت وحده هو الذي حرك شجونه الى هذا الحد بل صاحبتة
أيضا . والواقع لم يخاطبها الشاب بكلمة وانما أشار بأصبعه نحو (البيانو)
وكانت الفتاة تنوى النهوض وتسأله في غير اكتراث قائلة « هل تحب
الموسيقى يا سترانفير ؟ » ولكنها بدلا من ذلك اطاعت الاشارة كما
لو كانت امرا واستأنفت الغناء ثانية

لم تكد تتلاشى النغمة الاخيرة حتى غادر راف الغرفة دون أن

يقوه بكلمة ، فلم تتحرك اللادى مود بل جمدت في مكانها وحلست
تحدق النظر الى المعزف وقد اضطربت انفاسها وعقدت حاجبيها ولا
عجب فان العاطفة التي طفت عليه قد اتعلت بها وداغمتها ايضا ولما
نهضت في النهاية من مكانها احست بجسمها يرتجف قليلا

اما راف فقد ذهب الى غرفته توا فاشعل غليونيه واخذ يدخن
بقوة وسرعة ، وصدى صوتها المذب لا يزال يرن في اذنيه وفي حنايا
قلبه ، ان شعوره الان كان شعور تألم اذ خيل اليه انها لا تزال
بعيدة المنال ، وان كوكبه يلعب في السماك الاعلى ، فلا حيلة له في بلوغه
أو الوصول اليه

نعم أدرك راف أنه كان يجدر به ان يشكرها على غنائها له ، ولكنه
كان عاجزاً عن الكلام لان صوتها الرخيم مع ملاحظها الفتانة فانا قد
حركا في قلبه نار الوجد التي إذا تحركت في قلب رجل قوى لا تظهر
في شكل كلمات تقال بل في شكل اعمال تعمل . لذلك وقف بجانب
المضيفة يصغى الى صوتها الساحر دون ان يجرأ على النظر اليها مخافة
ان تنقلب عليه رغبتة في ضمها الى صدره وتشد يد الضغط عليها

استقر رأى راف على ان يعتذر اليها في الصباح مما فرط منه واعد
الكلمات التي يقدمها اليها وكررها في رأسه غير مرة ، ولكن مود لم
تعطه الفرصة لتكلم بل حيتته في هدوئها العادى واكثرت من اظهار
المودة له ولكنها اظهرت ترفعا لم تظهره من قبل . وقصارى القول
جعلته على مرمى الذراع منها وأوقفته عند حده كما تعرف المرأة . . .
تكن شابة ، كيف توقف الرجل الذي بدأت ... تخافه

قدمت مود الى أبيها خطايا عند مهم الجميع عفادرة المائدة فتناولوه

سان ايفز وقال

— آه ، اصم الى سترافير . ان صديقتنا اللادى كوانتوك

ستقيم اليلة حفلة وقد طلبت اليها ان تأتى بك معنا

وضع راف يده على قبضة الباب ونظر الى اللادى مود ولم يلبث

ان قال فى ابتهاج كأنما اجابته الفتاة على سؤاله

— حساً . لا بأس . مانوع هذه الحفلة ؟

فاجبته مود وهى تبسم قائلة

— حفلة راقصة عادة ، لان فاعات اللادى كوانتوك تكون فاصة

دائماً بالمدعورين

فقال راف

— وهو كذلك اننى مغرم بالرقص فقد كنا نخلى « الصالون » من

الادوات للرقص فيه كلما أصاب أحد الفتيان حفرة غنية بالذهب أو

تلقينا شحنة من الوسكى

فادر راف الغرفة وأغلق الباب خلفه فنظـ سان ايفز الى ابنته ثم

هز كتفه وقال

— أرجو أن لا يوقعنا سترافير اليلة فى ورطة لانه يندفع فى بعض

الاحيان ، فيجدر بك أن تراقبيه ... أو هل لا يجوز أن ...

فتح الباب فى هذه اللحظة وأطل راف برأسه وقال

— ماذا تقول إذا أخذنا ترافرس معنا ؟

فضحك سان ايفز وقال

— هذا ما كنت أنوى أن أقترحه عليك . أطلب اليه أن يأتى معنا

وسأسوى الامر مع اللادى كوانتوك لانها من أقدم اصدقاءنا

ذهب راف ثانية فالتفت بهان ايفز الى ابنته وقال

— سيتولى ترافرس الاهتمام بشؤونه

بلغ راف الرسالة الى سكرتيره بعد ذلك فرفع الشاب رأسه من الاوراق التي كان منكبا عليها وقد تورد وجهه قليلا وبدأت في عينيه دلائل الرغبة وكانت بذله الجديدة قد وصلت في ذلك الصباح لانه كان استحث الرجل على صنعها بسرعة كما فعل راف . فوجد ترافرس في هذه الدعوة اغراء له لان نفسه كانت تتمطش الى مخالطة الطبقة الارستقراطية الراقية التي يعتقد من أعماق قلبه أن له الحق كل الحق في دخولها .

وعلى ذلك تردد لحظة واحدة فقط وقال

— حسنا . هذا من دواعي سروري

خرج راف وترافرس بعد الظهر لتجربة السيارة الجديدة وأخذوا جاكسون معهما . وقد أعرب راف بعد قليل عن رغبته في تسيير السيارة فقطع بها بضعة أيام على أحسن حال ولكن انفق أن صادفه منح في الطريق فصعدت للمحلة الامامية ورق الرصيف ومالت السيارة الى جانبها بحالة مخزنة فصحك راف بالتابع وقال

— كدت أقلب السيارة كلها في المرة الاولى

لم ير راف امتعاض واحد ترافرس ، ولكن جنبه هذا لم يدم غير لحظة واحدة اذ انقلب عليه في اللحظة التالية بهز منكبه وقال في غير اكتران .

— نعم كان الموقف دقيقا

لم يلاحظ راف ساسترلى على ترافرس من الحلم ولكن لاحظته

جا كسون السائق فادرك التفرق الشاسع بين السيد الجرى والسكرتير الجبان
اتفق راف و ترافرس على أن يذهبا معيا على الاقدام الى منزل
اللادى كواتنوك وكان في شارع سوث اودى . فلما وصل ترافرس الى
« كلارندرن هوس » في الساعة العاشرة وجد راف واقفا على السلم
يجذب قفازاً من الجلد الابيض . وكان الشاب قد ساعد اللادى مود
على ركوب عربتها منذ فترة وجيزة وقف يفكر بها لا بالقفاز فانشق
صفين عند راحته فنظر راف اليه في احتقار وقال

— ياله من شيء كره !

ثم نظر الى يد ترافرس واستطرد قائلا

— ان قفازك ملتصق بيدك كأه ناعما . ولكنى سأقلب على

كل شيء في حينه . هل لك في سيجار ؟

وقف الشبان عند زاوية الميدان ليدعلا لفاقى التبغ وانفق أن
التي ترافرس خلفه نظره فعاهد فتاة تمشى خلفهما الى مسافة يضم
خطوات . ولم يكن في منظرها أو شكلها شيء غير عادى يفت الانظار
وكانت شابة صغيرة الجسم ترتدى ثوبا أقرب الى الطراز الر في منه الى
الطراز الحضري . ولولا أنها قامت بحركة غريبة غير عادية ماالتى ترافرس
عنها نظره أخرى لأنها وقعت فجأة عند « وقفا ودارت على عقبيه في
خفة » سارت في الساحة الاخرى من الطريق

لمح ترافرس وجهها فقط ولكن هذه النظرة القصيرة دلت على
أنه لا يحلو من الملاحظة . كانت الشمس قد لحقت له ولكن كانت تبدو
عاليه دلائل الشجوب ، تألق في وسطه عينا زرماديتان كالسجيم النلامع
وقد خطب سأل ترافرس لآل وهلة انها تتسول وسكنه لاحظ في

شكها وحركتها الاستقلالية وفي طراز ثوبها مادفع هذه الاوهام من رأسه
على ان أثر هذا الحادث التافه لم يطل في رأسه ، فلم يلق نظر
راف الى الفتاة وتقهقرها السريع



الفصل الثاني عشر

ظهور فيني

اصطف خارج قصر اللادي كوانتواك خط طويل من السيارات
والعربات ، واحتشد جماعة من الناس على الرصيف لمشاهدة وصول
السيدات والسادة من المدعوين والمدعوات ، فسار راف في صمت
ولكنه كان يراقب كل شيء ، فاجتاز السوئم سعد درجات السلم
العريضة الى حيث وقفت سيدة بدينة الجسم طيبة القلب ، ترتدى
ثوبا من الحرير القرمذي محلى بالجواهر الثمالية واللؤلؤ الثمينة ، تصافح
ضيوفها

سأل راف بصوت السميع قائلا

— من السيدة السمينة ؟

فتعتم ترافرس قائلا

— اللادي كوانتواك

وكان اللورد سان ايغز واقفا بجانب صاحبة الدار فلما أبلغها من
هو راف مدت اليه يدا غليظة وتهلل وجهها قائلة

— يصرني أن اراك أيها اللورد سترافير . ألا ترى انه يشبه أباه ؟

تناول راف اليد السمينة التي امتدت اليه وضغط عليها وقد تورد

وجهه ولحمت عيناه ثم قال

— هل تعرفين أنت أيتها السيدة وتمتدين اننى اشبهه ؟ ان
قولك هذا خير مما سمعت منذ قدوى الى هذه البلاد . أود أن أحدثك
عندما تفرغين من هؤلاء القوم

سمعت اللادى كواستوك يدها التى ضغط عليها وهى لا تدرى
هل تستطيع أن تستخدمها الثانية ، ثم بدت عليها دلائل التألم
هسية . انى تملككت عواطفها وتبسمت قائلة

— انك فى عزيز وستبقى كذلك

ثم التفتت الى سان اينز وغاطبته قائلة

— ااه شاب جميل . احضره الى فيم بعدلان نفسى تنوق الى محادثته

فقال راف فى حماسة

— حسنا يا سيدتى . اننى هنا . هذا صديقى المستر ترافرس وهو

لهاب طيب ستميلين اليه

حدث اللادى كواستوك رأسها الى ترافرس وهى تبتمم ثانية على

حين ناد سان اينز ، راف بعيدا . وكان وجه الشاب يتهلل ابتهاجا
وقضارا فقال

— انظر كيف انها تعرف ابنت

— يوجد عشرات هنا يعرفون أبائك وابنى عندما . . قبل . . عندما

كان شابا قبل أن يغادر انكلترا

فقال راف بصوت خافت

— من دواعي غفري ان أقابلهم

فتمتم سان اينز فى نفسه قائلة

— حسنًا . لابد من اجتياز هذه المرحلة

انسحب سان ايفز مع راف الى زاوية القاعة ، فنظر الشاب فيما حوله بعينيه المحدثتين وكان المشهد جديداً في عينيه بلا مراء فتولاه قىء من الارتباك من جراء الانوار الساطعة والنساء الجميلات في ثيابهن الانيقة البديعة ، والآلاء المتألقة وحركة الراحمين والغادين وأصواتهم

واقف ان كانت الفترة التي دخل فيها راف ووصيه من ثمرات السكون بين أدوار الرقص ، فامسك سان ايفز بذراع رجل كان مارا بهما وقدم راف اليه كما قدمه الى غيره ، وعلى ذلك لم تمض لحظة وجيزة حتى احاط براف دائرة صغيرة من الرجال . وثوق ذلك كان نبأ وصوله قد انتشر فانجبت اليه أنظار الكثيرين وسكذا كان ظهور راف لأول مرة في الهيئة الاحتمائية مشيراً بإيماء ما يسير به رجال الصحافة « ضجة »

وكان راف حلالاً حديثه مع مستقليه يدور بعينيه باحثاً عن مود الى ان رأى في النهاية واقفة بجانب رجل مسعدو الجبين تميل ذفه الى اورد . وانكس كانت تدنو عاياه بزنهم من هذا الايوب الخلقبة ، دلائر الزانة والهة

ثم راف بخطأ آله يد ان ايفز

— د اذهب الى اللب في اليدى . . . وتوقص . . . مي

ثم قادر حمة الزما . . . الة . . . حرة . . . احناذ القاعة بخاطر . . . الواسعة . . . جسمه اللين . . . درتاك . . . ين . . . ذ وصل الى القاعة فسألهما . . . كلا

— قبل ان يورد ، على ذلك . . . عبت . . . رفعة . . . لا . . . ؟

وضع الرجل الذي كان واقفاً بجانب الفتاة نظارته على عينيه على مهل
ثم جعل يتفرس في الشاب من قبة الرأس الى أخمص القدم ثم من اخمص
القدم الى قبة الرأس

اومات مود برأسها ثم انحوت الى رفيقها وخطبته قائلة
— هذا لورد سترافير ... سترافير ، هذا لورد سنبورن
فد راف يده وقال

— من دواعي غري ان أراك

عصب الفيكونت سنبورن ، نجل دوق وبردج ووارثه ، من
لهجة راف ، ولكنه مدالبه يده واحتمل قبضته المظفرة دون ان يتعامل
على حين قالت اللادي مود في رزاة بالزعم من أنها أدركت ماتول البرود
سنبورن من اللحظة

— ان اللورد سنبورن من اسدثنا القديماء تجاوز املاك أبيه
املاكك باستراتمير ، فارجو ان تكون صديقة
فقال راف للورد

— إنا كنت تقولين ذلك فقد قضى الامر منكسر مأكلا من
الحجر امرى متى رغبت ، هـ : لقص . تمالي يا مود
كانت الأميرة بدت توقع انغام رقصة « لولوز » ، فطر راف
لها ثم كف ، لقص حجة وقال لهاجة تم عن الحيرة
— هـ : حركة : عرفه . هـ : صدى . فري : ماذا اسمون هذه
الرقصة ؟

منات مود في مرور ديار هارثت في نفس الحيرة واستقياد

— هـ : « هارثت » الاز صون ؟ هـ : لقص في ...

.. في «حنة الزائفة» ؟ كلا . اننا لا نتحرك هذه الحركة على كل حال بل يقف الواحد منا مقابل الآخر ونندع أقدامنا تسير مع نغمات الموسيقى ونغزل من وقت الى آخر لتغيير حركتنا

فقالت اللادى مود

.. اظنك تعنى رقصة الترنج الى الورداء . هذه رقصة اسكتلندية . أى نعم فى وسعك ان ترقصها فى اسكتلندا اما نحن فلا نرقصها هنا فى لندن الا نادراً . ولكن لا بأس . هيا نجلس معاً حتى ينتهى هذا الدور هل لنا ان نذهب الى ذلك الركن بعيداً عن الناس ؟

وكانت اللادى مود قد لاحظت النظرات القاسية التى صوبت الى راف وهو واقف كالصخرة لا يتحرك دون ان يشعر بها فانتحرت عليه هذا الاقتراح فاحببها الى طالبها ولما جلس عن الكرسي بجانبها خاطبها قائلاً

.. يلوح لى ان امانى أشياء كثيرة اجعلها فى مدينتكم هذه . ولكن اصبنى الى هنا حتى حركت هذه الرقصة وليس هذا من الانصاف

وكان ترارس قد تلقى وصيه من الموردين ان يقربهما راف ، فقتدم اليهما بتطهرته المدهشة الزينة التى طالما حصد راف عليها ، ولما وقع نظر الشاب عليه قبض على راف قائلاً

.. هيا ياترارس معي ثلاثين دقيقة وارقص معي هنا أو لا

افسدتك سليماً

صعد راف الى روم راف واكن طاب من الطبع جيداً
تحفظ مركزه . فاندحمت سكاكين راف فنهال بهجيب عايد صله ثم
تألمت راف رافاً على راف ترارس ركانه كذا . جريد الانصاف

فلما جلس راف يراقبهما وهما يسبحان وسط القاعة في خفه ونشاط احسن
بشيء أشد قوة من الشعور بالحية وقال في نفسه

يجدر بهذا الشاب أن يأخذ مكاني

كانت هذه أول فكرة خطرت ببال راف الذي أدرك القيلة المرة
الأولى الفرق بينه وبين الرجل الآخر الذي جلس الآن يرافبه في
اهتمام شديد وشيء يشبه الحزن

سبحت أفكار راف وفاض في الخمر تأملاته - وهي حالة لم
يمهد لها راف المسكين من قبل لأنه رجل عمل لا رجل أحلام - إلى
أن أفاق فجأة على صوت اللادى كرا توك وهي تضحك قائلة

— اذا كان الجبل رفض المجيء اليك فمليك أنت أن تذهب اليه ،
أو هل يجوز قلب الآية ؟ لقد جئت الآن اليك لكي أجلس بجانبك
واحدهك من أييك . كم كان رجلا عظيما ! .. هل أنت في حاجة الى
يعزيزنى ؟

تلقت صاحبة الدار هذا السؤال على شابة تقدمت بحبرهما . وكانت
الفتاة صغيرة الجسم نحيلة البدن ، رتيقة المنظر ، تبدو أنها قطعة من
الصيني الشفاف الرقيق ، ولكن كانت مدليد دسبار بالرغم من صغرها
الظاهري ، أمر دحا كاملا من الشايات الخبيرات بشئون الدماء

قالت انشأه هي تفتقر بعينهم التي تفتقر الى وجهه ف الحاق برفق
— انما أردت أن اخبرك كم اتمتع بهذه الحفلة البهجة الجميلة يا عزيزنى
للادى كرا توك

فاجابته السيدة قائلة

(م ١١ - بن نادير)

— هذه رقة عظيمة منك يا عزيزتي . أود دائما أن أراكم جميعا في ابتهاج وهناء كما تعلمين وقد كنت فيها مضي فتاة مثلك ، ولوانك ربما لاتصدقين قولي

وكانت « فتاة دسبار الصغيرة » — كما يسميها بعض الرجال — لا تزال توجه نظراتها التي تعبه نظرات الطفل ، الى راف فقالت اللادى كوانتوك في رقتي

— دعيني اقدم اليك لورد سترافير تحمل أحد عماقي الاولين . هذه مس دسبار ايها القورد سترافير فمليك أن تطلب الرقص معها الآن فقال راف وهو ينثر الى الجسم الخيال الصغير — في ذلك خطر عليها اذ يحتمل ان « أ كمرها » فاجابته الفتاة على القور بالحقيقة وهي لا تدرى قائله — است قابلة لا كمر كما يلوح لك

ثم التفتت الى اللادى كوانتوك وقالت وهي تجلس على مقعد بجانب راف — هل في وجودي تطلق يا عزيزتي اللادى كوانتوك ؟

قامت الفتاة بكلمة « تطلق » باللمحة الفرنسية فلم يدرك راف معناها ونظر من احدهما الى الاخرى ثم شرع يتحدث عن أبيه فأثرت اللادى كوانتوك اسداحة وقلة ادراكه وحدثت مدلين دسبار اليه النظر بعينيهما الواسعتين وقد فترت لها قليلا في شيء من العجب والذهشة لأن راف قص عليها شيئا كثيرا من الحياة في محلة « حنة الزافقة » و « الاندرا ديسلون » وأفاض بطبيعة الحال في ذكر « بياض » قلب أبيه وشجاعته

وجاء بضعة أشخاص آخرى فالتقوا ذابرة استثنان على اللادى

كوا نتوك ثم جلسوا يصفون الى حديثه فنظر راف اليهم بعينه اثنا بتين ولم تمض لحظة وجيزة حتى تولى الجميع الصمت واشتدت روح الاهتمام الذي أثاره وجوده من قبل . ولم يكن الاهتمام مقرونا بالدهشة والغرابة فقط بل كان مقرونا بما هو أكثر من ذلك فأغرب الرجال عن استعسانهم بالشباب وهم ينظرون اليه ، وبدأ في أعين النساء لمعان ينم على روح الاعجاب . فلما طلبت مدلين دسبار اليه في النهاية ان يرافقها الى قاعة الطعام وجد انفسها وسط جماعة من الاشخاص يود كل واحد منهم أن يتحدث أسابيع مع « هذا الشاب الغريب المدهش ، لورد ستراثير » بعد أن ملأ راف طبق مدلين دسبار بأنواع الطعام اللذيذة ، شرع بتناول طعامه ، ولكن بالرغم من شعوره بالجوع الشديد وتظاهرة بلاصفاء الى حديث رفيقة التي كانت تراه بعينيهما وتهم بتسليته ، كان راف يدور بعينيه في جرائب القاعة من وقت الى آخر ، يبحث عن مود فلم تمض لحظة وجيزة حتى رآها دمة تتسكع على ذراع اللورد شنبورن

حديق راف النظر الى اللردى مود فاشتعلت القنة لحكم العاطفة المشهورة ، نظرت نحوه ثم تبسمت وأومأت برأسها ، ورفع راف كأس الشبثان ورد فحيتها بوجهه رأسه على طريقة المدهنين

ونالت . لين دسبارة ، لاحظت ما مضى على وجهه من التفتيح العجائبي فاشتعلت فيه دلالة بؤس شيء ثم قالت

— ألا ترى ان اللورد مود مدهش للملاحظة ؟ الى اشتعلت من أجل نفسه طرا ، ألم تعلم ذلك ؟

فقه راف في يجار

— نعم

لمعت عينا مدلين وتصلبتا هنيهة ثم قالت
— يئان بعض الناس انها على شيء من البرود ولكنى أعتقد أن
رودها هذا يلائم طراز جملها ، الا تمتد ذلك ؟
فقال راف باللهجة عينها

— نعم

— ربما ليست من البرود كما يلوح للمرء ولكنك أدري بطباعها
لأنك تعيش معها في منزل واحد ، اليس كذلك ؟
فقال راف

— نعم

كان الشاب ينظر الى الناحية الاخرى من القاعة نحو اللادى مود
ورفيقها وهو يقول فى نفسه انها صديقتان قديمتان وان الرجل الحق
فى أن يعمل نحوها ويضعك معها . ربتحدث اليها كما لو كانتا شقيقتين ،
على حين قالت مدلين

— أظن أنك تعرف الرجل الذى معها فهو القلرد سميورز ؟

فقل راف وهو لا يزال مشتغلا بمهمة الاثنين

— نعم

فورد الوجه الرقيق ونشرت العينان الى جوان البه من خلال هدهدها
وقالت ما حبتهم

— انه صديق حميم ان . ومثيرة حق المعرفة لاني أملاك السوق

فى اسكتلندة نجا ، وأملاكك

فتبسم راف وقال

— آه يلوح لى أنك تعرفين كل شىء

— بلا حراء . ان هذا مدون فى الدليل الخاص بأشراف البلاد

— حقا ؟

ضحكت الفتاة وضربته بعروحتها فى رفق ثم سألته قائلة

— هل أنت سليم النية كما تبدو حقا ؟

فاكد لها قائلا

— واكثر

فاجابته الفتاة على الفور قائلة

— هذا لا يمكن

ثم لومت الصمت هنيئة وسألته قائلة

— هل تعتقد انهما ندان ؟

فسأله راف قائلا

— من ؟

فاجابته الفتاة وهى تحدق النظر اليه قائلة

— اللادى مود وسليو. بن طما

كان راف سليم النية ، ولكنه لم يكن من السذاجة بحيث يستقسم

الفتاة مثل مدائن دسبار . هما بدت عليه دائل البساطة . نعم أحسن

الشاب كأن يدا تلجية أسكتت قلبا وكأز كابوسا سقط عليه فكاد

يخمد أنفاسه . ولكنه عرف كيف يشاك عوانقه ثم بيد أقن ائماراة

ثم ملأ كآ . ها وكأسه قبل أن يجيئها قائلا

— اذن تظنين أنهما - يترتان ؟

— هذا مايقوله جميع الناس . وإل لم تكن اللادى مود خطبت

له فسيتم ذلك في المستقبل القريب . وقد تناول هذا الحديث منذ زمن بعيد وهما في الواقع ندان وفوق ذلك لا يجهل أحد أن اللورد سنبورن مقتون بها .
فقال راف

— في وسمي أن اعتقد ذلك
فاه الشاب بهذه الجملة في برود ووزانة وبلهجة صادقة حتى أن مدلين دسبار زحمت بالرغم من ذكائها وقطعتها أنها خدعت بما رآته على وجه راف عندما دخلت اللادي مود القاعة
رأى راف بعد فترة وجيزة من الصمت أنه يستحيل عليه أن يبقى في مكانه ويرى مود ورفيقتهما جنبا الى جنب فقال
— إذا كنت فرغت من طعامك فلانرجع

وفيما كانا طائدين الى قاعة الرقص ، ومدلين تتحدث طول الوقت وراف يصغي اليها وقد مال برأسه نحوها كما يصغي المرء الى هذر طفل اذ تبادلت بعض النساء نظرات ذات مغزى بل وجاهرت احداهن برأيها وهي تهز كتفها قائلة ان مدلين بادرت الى انتهاز الفرصة على أن التفتت اضطرت الى مغادرة راف بعد قليل لاجلها رفيق لها فسارت معه ولكنها التفتت الى راف من فوق ، ونكمتها وخاطبتة قائلة
— سأعود واتحدث معك متى انتهت هذه الرقصة اذا شئت

فقال راف في ابتهاج

— ان هذا ما أتمناه

ولكن لم تمض خمس دقائق اخرى حتى كان قد نسبها
أخذ راف ينتقل حول قاعة الرقص وقد عقد يديه خلف ظهره ،

تبسحت عيناه في جوانبها عن المرأة الوحيدة التي يريدها ، تغيل اليه انها كانت تفترك في كل رقصة وأنها سعيدة سعادة أنسها إياه على أنه أحسن بوخزة الاحتقار من نفسه وقال لم لا ؟ إذا كانت تفكر برجل واحد فهو بلا ريب ابن ذلك الدوق الذي قالت مدلين أنه سيقترن باللادي مود ، ثم تحدث معه كثير من الأشخاص وحاز بسذاجته وسلامة نيته وبوجهه الجميل وجسمه الممتلئ الممتد ، اراء ذهبية ، ولكن العبء الذي على عاتقه بدأ يظهر أثره ، فرآه ترافرس ، وكان يراقبه طول الوقت ، يجلس على كرسي اعياء ويعقد يديه خلف رأسه ، فتقدم اليه في الحال وقال

— لقد تأخر الوقت فهل اكتفيت ؟ اذا كان الامر كذلك فهيا بنا فوثب راف واقفا على قدميه وقال

— انتي معك في كل وقت . انتي اشعر الآن بما شعرت به يوم ذهبت الى النادي وراقبت لعب الورق . بل أشعر بما هو شر من ذلك ناولهما أحد الخدم قبعتيهما وساعدهما على ارتداء مطلقيهما ثم قادوا القصر . وكان راف وزينا هادئا ينظر الى الامام مباشرة على عكس ترافرس الذي كتم انفعاله وسروره في نفسه . والواقع كان الشاب متورد الوجه ، تلعب عيناه بنور غريب ولا عجب فقد ذاق اليلة حلاوة دخول الهيئة الاستقراطية التي طالما ابلغ نفسه أن له الحق في الانهاء اليها . وقد وجد بفضل أخلاقه الطيبة ووجهه الوسيم شيئا من الترحيب ورقص كثيرا مع سيدات من طبقات راقية بلا مراة ، وفوق هذا وذاك رقص مع اللادي مود التي عدها ، مثل راف ، اجمل من ضمنهن هذه الحلقة من السيدات . ولما كان ترافرس ، مثل غيره ممن هم في

في مركزه ، يفتن بما يجده بعيد المثال وكانت مود قد شغلت الركن
الاول من رأسه وتخيلاته فانه لم يحراً يرفع اليها عينيه لانه كان مثلها
مثل الاقدار الملقاة على جانب الطريق من نجوم السماء . ولكن ما تقول
اذا كان لورد مترافير ... كما يجب أن يكون ... ؟

لما خطرت بباله هذه الفكرة ، الفكرة التي لا تقتأ تتردد في رأسه
نظر الى الشاب الذي يسير بجانبه وأحس كأن سهما من الكراهية
والبغضاء قد اخترق قلبه . على أنه قال بعد صمت طويل

— لعلك قد تمتعت بالرقص ؟ يلوح لي انك اكتسبت أصدقاء عديدين
فقال راف وهو شارد الفكر

— نعم . لقد اشتهرتم يا أهل لندن بشيء واحد وهو انكم لا تستحون
ولا تعرفون حدا تقفون عنده

ابتسم راف عند ما ذكر مدلين دسبار ثم عاد فقال
— لعلك تمتعت بوقت جميل ؟

فقال ترافرس

— تمتعت بوقت جميل جدا فقد رقصت مع عدد كبير من السيدات
بلحيلات . لقد رأيت كثيرات منهن الليلة
فقال راف وهو لا يزال شارد الفكر

— هو ما تقول

فقال ترافرس في غير اكتران

— ولكني لم أر بينهن من تحاكي اللادى مود ملاحه زرقة

فقال راف وقد أفاق من سباته هذه المرة

— هو ما تقول . أتدري يا ترافرس اني حسدتك عند ما رأيتك

ترقص معها؟ اخبرني هل استطيع أن أتعلم الرقص الآن، أو هل
تعتقد أن هذا لا يكون الا في الصغر

فضحك ترافرس وقال

— كلا بل في وسعك أن تتعلم بسرعة . ولكن عدداً كبيراً من
الناس يفضلون عدم الرقص في هذه الايام

— نعم رأيت جماعة منهم جالسين بجانب الجدران ، ولكن يلوح
لي انك تتمتع بتسلية اعلى اذ اشتركت في الرقص بنفسك
وكما قد وصلا الآن الى زاوية ميدان بلحريف فقال راف
— هل تأتي لتتناول كأساً وتدخن سيجاراً ؟

فاجابه ترافرس قائلاً

— كلا شكراً ، لقد مضى الوقت . سأسير معك حتى الباب لانه
يلد لي المشى في الهواء بعد الفترة التي قضيتها في قاعة الرقص الحارة
فامن راف على حديثه قائلاً
— هو ما تقول

لم يكذب بلغ الشابان نقطة تبعد نحو مائة خطوة من باب القصر ،
حتى شاهد ترافرس شبح فتاة تسير بخطوات بطيئة بجانب الافريز
من الناحية الاخرى من الميدان . وكانت مولية ظهرها نحو ترافرس
ولكنه رأى شكلها ، ألواناً لديه فاخذ يراقبها في تعكير ، إلى أن بلغت
الفتاة زاوية الميدان فحلت وجهها فراها تمدق النظر الى « كلارندون
هوس » ولم تلبث أن حولت عينيها اليها فلما رأتهما ، عقت فجأة ثم
تمحلت فابة وصارت في الجهة المضادة

صعد راف درجات السلم ودق الجرس ولم يكن قد لاحظ الفتاة

خفي ترافرس باحناء رأسه وبقوله عم مساء ثم دخل القصر . فتحول
ترافرس بسرعة وجد السير حول الميدان ولم يلبث أن التقى مع الفتاة
وجها لوجه كما كان يرجو وبتوقع
وقفت الفتاة ثانية عند رؤيته وتزدت لحظة ثم حولت وجهها
جانبا وسارت في طريقها بسرعة ولكن دار ترافرس على عقبه ولحق
بها ثم رفع قبعته وخاطبها قائلا
— هل تريدن مخاطبتي ؟

وقفت الفتاة وجعلت قليلا الى الوراء ثم نظرت اليه بوجه متورد
وعينين لامعتين وانتمى ان سقط ضوء المصباح في الشارع على وجهها
تماما فتعرج ترافرس في وجهها بدقة فرأى أن صاحبته غريبة لانتبه
أهل لندن وانها بلا مراء ليست من متسولات الازقة والشوارع غار
في أمره فسألها بلهجة رفيقة قائلا

— هل تريدن مخاطبتي ؟

فاحسنت الفتاة في خوف مقرون بمجراة

— كلا . كلا لا أريد

فتبسم ترافرس وقال

— تقولين كلا ؟ ان كنت تريدن مخاطبة السيد الذى كان معي ؟

ذهب تورد وجهها وابرت عيناها ولكنها ارختها وعضت على

شفقتها وقالت بلهجة قاسية : انقاص مضطربة

— لا ادرى ماذا تعنى اخبرنى ، باى حق تطلب الى الوقوف وباى

حق تخاطبني ؟

لمعت عينا ترافرس ابتهاجا ولا عجب فقد لاحظ ان صوت الفتاة

وزجرتها ولهجتها تقبه صوت راف وزججته ولهجته ، ولم يلبث ان ذكر في طرفه عين ان راف كان قد اخبره عن فتاة معينة في محلة حنة المراقصة - فتاة اسمها فيني - فهل يكرر ان تكون هذه الفتاة هي فيني؟ قال ترافرس طهجة أرق من الاولى

- يحزنني جداً إذا كنت قد ظهرت بمظهر المشوثة والتعقل - لقد شاهدتك مساء اليوم خارج المنزل ورأيتك ترجعين فجأة كما لا تريد ان يراك أحد منا - لان صديقي كان معي كما تذكرين - ثم رأيتك الآن كمالك تنتظرين أحداً فلما وقعت عليك علينا تمحوات بما فعلت في المرة الاولى تماماً فزمت بطبيعة الحال انك تريد من مخاطبة واحدنا في أمر يهلك .

وقعت الفتاة تحديق النظر الى وجه الشاب في ارتياح وحرارة ، وقد شددت يدها القبض على ثوبها كأنما تريد ان توقف دقائق ثيابها وأخيراً قالت وهي تمحول الابتسام في استخفاف

- انك ماهر ... ماهر جداً . ولكن ! ا كنت أريد ان اخاطب أحداً فانه ليس انت . اممم ، اننى اكفك مشقة لاهتمام بشئونك الخاصة . أننى لا ادرمك ... وأنت لا امرنى ...

فرفع ترافرس قبعته وقال

- معذرة

وكان قاب الشاب يخفق ولكن بحجة غير حالة الفتاة وعلى ذلك لم يلبث ان قال

- تقولين أننى ماهر ، فهل ترمين أننى ماهر بحيث استطيع ان

اخزن ما اعملك ؟

فقال الفتاة وقد فار استياؤها وخوفها
 - اسمي ! ماشأ نك بالتمني دعني في طريقي
 وكان ترافرس قد تقدم أمامها خلسة فرفعت الفتاة يدها كأنها
 تريد دفعه بعيداً عنها ، فامسك اليد التي ارتفعت اوهال نحوها ثم قال
 بصوت خفت
 - هل اخمن ؟ هل اسمك ... فيني ؟

الفصل الثالث عشر

الافراء

هي ... فيني ؟
 وقت الفتاة جامدة في مكانها . وكانت حرة الاستيا ، قد فادرت
 وجهها وتركته الآن شاحباً نعلوه صغرة تشبه صغرة المارت ، وتجلت
 دلائل الخوف والهمشة في العينين اللتين ارتفعتا اليه . هل حين رآه
 ترافرس تستجمع قواها كأنها تمجدل من صدمة حلت بها . والواقع ان
 الفتاة في النهاية وهي تلهث
 - من أين علمت .. ؟ من اخرك ... انك غريب لامة رفة لي بك
 فقال الشاب بلهجة رقيقة ولكنها كانت تنم على ان صاحبها يشمر
 بانه يملك زمام من يخاطبه
 - واسمك لست غريبة لاني ... ؟ فاني ولى ...
 ما اسمك الآخر ؟

فقال الفتاة وهي لا تدرى كنهها انقادت بقوة ومنغنية

- بلد

أنها ستتمو وتكبر حتى تصير ذات أثر فعال
أخيرا سأل ترافرس الفتاة بلهجة الالتهاج قائلاً
— الآن خبريني عن كل شيء
فسألته بلهجة عنيفة قائلة

— أخبرك عن ماذا ؟ الجمع بأسيد . إذا كنت تزعم أنك تستطيع
أن تملك زماي وتكرهني على أن أطلعك على أشياء لأريد أن تبوح
بها فقد ارتكبت خطأ عظيماً . لست من هذا الطراز ، ولست طمعة
فأجابها ترافرس على الفور قائلاً

— ومع ذلك كانت طمعة كما تعلمين يا عزيزتي . إن جميع النساء
أطمعن متى كان حالهن مثل حالت . ولكني سأخبرك السبب الذي
سيبدعوك أن تعتدي قلبك لي ...
حدثت الفتاة في وجهه وضجعت ضحكة ملؤها التعدي والسخرية قائلة
— 'فتح قلبي !!

— ستدعي على كل شيء لأنني اعتقد يا بديقي العزيزة رجلاً كوني
لك خير صديق

ردت الفتاة مدبرة كلمات الشاب وة : أرقت عيونه ببريق الخوف
والكره قائلة

— أنت خير صديق لي ! لماذا تكبرن لي صديقا ؟ لست بالصديق .
انني لا أحبك ولا أحب سمعتك ولم أشعر بميل من نحوك منذ اللحظة
الاولى التي وقعت فيها بيناي عليك
هز ترافرس رأسه أسفاً وقال
— هذا ما يريته له . ولكن هذا تحاليل منك يا عزيزتي فيني ...

فقاطعته الفتاة ذائلة

— لا تخاطبني ولا تدعني باسم « عزيزتي فيني » إنك جرىء
ياسيد كيف تقدم على هذه الجرأة

— ان اسمي ترافرس وسأقص عليك كل شيء عن شعبي في الحال ..
أو كل شيء تقريباً يجب أن نتبادل الثقة يا فيني وستجدين أنك لا تميلين
إلى فقط بل انني سأكون لك حقاً الصديق الوفي . فلنشرع الآن
من البداية فأخبريني لماذا فادرت محبة « حنة الرافصة » وجئت إلى لندن؟
وقعت الفتاة لحظة وحدثت النظر اليه ثم قالت

— هل تعلم ... ؟

ثم سكنت فقال ترافرس

— انني اعرف - ن انت ومن أين جئت بالضبط .

فكانت الفتاة على كره منها

— هل اخبرك ؟

— إذا كنت تعنين لورد سترافير فاني اقول لك نعم . فقد اخبرني
كل شيء عن حياته الماضية وحياة «فتيان في «حنة الرافصة» واخبرني
عنك بطبيعة الحال . ولعمري رأيت مما تجلي في عينيه انك أنت واجبة
المسكاة الاولى في قلبه وقد تحدثت عنك طبعاً

تورد وجهه ورنجت شفقتها ثم لممت «صمت» خنيمه راحياً
قالت بصوت يكاد لا يسمع

— تحدثت عني كما ... كانه لم يذسني ... كانه يريد ان يذكركني ...
ويحدث عني ؟

وكان صبرهم قد زلزل رقة عرفت اليه عينيهم الرماذين وقد ساءت

فيهما دلائل التوصل والاستعطاف فأجابها ترافرس قائلاً
 - نعم بل ربيب . انك لاتنصفين نفسك يا فيني ، ، ولا تدعيني .
 ان المورد ستر اعتبر من خيرة الرجال الذين لا ينسون اصدقاءهم القدماء .
 لاسيا صديقة حميمة مثلك

مكرت الفتاة في هذه الاقوال وهي لا تزال مطرقة الرأس متوردة
 الوج ، وأخيراً قالت باهجة رقيقة

- نعم ، اذراف ليس من الذين ينسون اصدقاءهم القدماء
 ولكنكم لم تذا ان تحولت نيه وسألتها قائلة
 - ولكن اخبرني من انت ' لوح في تلك تصرف كل شيء عنه . فمن
 أنت ، من ذوى قرابه ؟

اصاب السهم لدى أرسنه حزافا المرمى ، نترد درجهه يرتأى به
 جانباً ثم روم الصيت هنيئة وخيراً قل

- اخي صديق حميم لو دسرت ، فرب ، بل في ' توقع اني - كبريه
 فقالت الفتاة بلهجة الاحتقار -

- خادم !

- شيء من هذا القليل ولكن صديق في ايضاً . هل تمانين ؟
 يحدثنى عن فيني الصغيرة اذ ان اكن له صديقاً ؟

فقالت الفتاة مسرعة

- هل دعاني بهذا الاسم ؟ تقول هل دعاني بهذا الاسم ؟

ادرك ترافرس خطاه فقال

ليست هذه الكلمات بالضبط ولكن من اجل على اثره أن
 يقرأ ما بين السطور حتى كان زحاح يتحدث عن المراقبة والندوات

الى هذا القرار ولكن أرى اننا نضيع الوقت مدي ، فأخبرني لماذا.
فأدبرت محلة « حنة الراقصة » وكيف فادرتها ؟ لا ترددي . لم ألق عليك
هذا السؤال لاطفاء رغبة في نفسي ولكن لدى سببا آخر لذلك
فقال الفتاة في شيء من التأفف

— ليس في الامر سر . كانت لي شركة في إحدى الحفر فاصبنا
مقداراً من الذهب فأخذت نصيبي من ... ثم غمى قدسنت
الحلوة والحياة فيها بل وكل شيء وفد ... لي انكتر ...
فانبت . هذا كل ما هناك .

فسألها ترافرس في تأدب قائلاً

— وما رأيك في انكترا ؟ انها بلاد جميلة أليس كذلك يا فيني ؟
نظر الشاب الى عونها الحقيق نظرة ثم استأنف حديثه فقال :
— هذا إذا كان لديك معلم كبير ... الم ... نصيبك ...
الم ... كبير ؟

فأعترفت الفتاة بفرش شيء من التردد قائلة :

— كلا . لم زد نصيبي ... فقدت سعري الى هذا .
— هل اتممت كل شيء ... لكنني لم اهدى انكتر ... والارد
... ما يريد ؟

وانت ايضا ...

— من وري ...

فتبسم في وجهها ...

— ما أهدى ...

تراقبينه أيضاً عندما عدنا الآن . هل كنت تريدني مخاطبته يا فيني ؟
أبرقت عينا الفتاة وأجابت في حدة قائلة :

— كلا . انما أردت فقط ... أن أراه . كان صديقا حيا لي . أظن
أن بلادكم هذه بلاد تقدر الحرية ففي وسع المرء أن يرى صديقا قديما
له دون أن يتعرض له البوليس أو يضايقه رجل مثلك ؟

— ان هذه يا عزيزتي فيني بلاد يستطيع فيها الحر أن ينظر الى
الملك . هل جئت كل هذه المسافة لكي تلقى نظرة على رفيقك القديم
انني أعد هذا نبلا منك واخلاصاً وتقانيا . لقد أثرت أخلاقك هذه
في نفسي أيما تأثير يا فيني . أظن انك ستمودين اذ ذلك المكان الموحش
قانية ؟ هل قنعت نفسك ببقاء هذه الذرة البسيطة على صديقك القديم
وهو سائر في الشارع ؟

فقال الفتاة بلمحة التحدي

— نعم . سأعود قانية . ولكن ليس من شأنك أن تعرف ما أنوي
عمله ... اصبر الى ، لقد سئمت نفسي هذه المضايقة . يجب أن تفارق
هنا . لعلني لا اسحق قلبك إذا قلت لك يا مستر ... ترافرس انني اتعنى
أن لا تقع عيناي عليك مرة أخرى
فاجابها الشاب في ابتهاج قائلاً

— انك تسحقين قلبي اذا فعلت يا فيني ولكنك لا تقولين هذا
للقول . اني انا سنفتقر الى ملحة وجيزة وانك ستترين كثيراً . لقد
خاب رجائي فيك يا عزيزتي فيني . لم رفعت عيناي على وجهك لأول
مرة قلت في نفسي « هاهي فتاة جميلة ذات أخلاق » اعني ذات اخلاق
ساحية لا يري ابرف طبعاً أن اخلاقك العامة بعيدة عن كل لوم

مكثت الفتاة لحظة لا تستطيع ادراك معنى قوله ولكنها لم تلبث أن تورد وجهها وحدثت عيناها النظر اليه في سخط ، على حين استطرد ترافرس في حديثه قائلا

— لقد خيبت فيك ظني لانك لم تعمل كما كنت أتوقع ، والحقيقة انك تسلكين مثل ... مثل طفلة صغيرة

أبرقت عينا الفتاة وأجابته قائلا

— لا يهمنى ما تظن ولا يهمنى شيء يتعلق بك فانت لا شيء لى وسأبعدك عن فكري على اثر مفادرتى 'ياك' ، وسأدعك عند نهاية هذا الطريق

وكانا قد وصلا الى مقعد يجلس ترافرس عليه اعياء وأشار الى الفتاة أن تجلس بجانبه ولكنها هزت رأسها ثم وقعت وقد حولت وجهها عنه وشدت الضغط على يده التي ارجتها بجانبها ، فقال الشاب — خير لك أن تحلمى . ان الجرد دافئ وسأجد راحة في الجلوس حتى فرغ من حديثنا . حسنا كما تريدن أما أنا فاني نعب لاننى فصيت المبيلة في الرقص فقد دعت أمارلورد سترافير الى حملة دعى اليها معنا عدد كبير من النساء الحسان وكلهن من صديقات أمارلورد سترافير . يانه من شاب جميل ، ألا تعتقدين ذلك ؟ لقد حسنت حوله ضجة اللية وسيكون محبوباها في لندن كما كان في محلة 'حاة الزائحة' . ان له تأثيرا غريزيا فى القلوب ، ليس كذلك يا فينى . ولعمري لا بد شيئا طارت كثيرات من هؤلاء السيدات ان مارلوس ايك محله هو الذي ولا أخالك تجهلين أهمية تلك الاحلام

وكانت الفتاة انزال يداها عن وجهه راسا ، ثم الدم يصعد

اليه ورأى بريق الغيرة يلعب في عيניה الثنتين أرختها ولاحظ كيف كانت يدها السمرء تنقبض وتنبسط ، فاستطرد الشاب في حديثه في الحال كأنها يناجي نفسه قائلاً

— ان اللادى مود معجبة بالامعة . آه لقد نسيت . ربما لا تعرفين من هي . انها ابنة الوصى عليه وهو يعيش معهم في منزل واحد . ان اللادى مود شابة مليحة جداً . وهذه الحقيقة لا يدرك الا الاعتراف بها متى رأيتهما

فقلت فيني على الرغم منها

— لقد رأيتهما . هن ... هل كانت هناك ابيلة ؟

فقال توافوس في وفق

— نعم كانت هناك ، وكانت اجمل امرأة في التصر كل

عادت فيني فقلت في امتعاض

— لقد رأيتهما . وأنها أفسد خروجها من التصر

— وأعجبت بها طبعاً ؟ يقولون أنه يستجبل على المرأة ان

بأخرى ولكني وافق من أنهم خطأ . نعم ، بيقترن لود دسترا

بعروس جيدة

تحركت فيني ، وأولخري توفحت ردة أدلها ضعف . فجاني ، فجلست على المقعد . وولت الى توفوس . فنددت تصبغ في شفتيها وحددت نظرها لها . أدلها ، ندبت على ما يظن كرايتها . رجل الحائس يجانها رتحو . بها له سأل . فله

— هن . بيقترن . هن ؟

دلها ان ريس شدة هن فخر

— هذا ما اعتقد . هذا ما لم ...

حولت الفتاة عيذها اليه قليلا وسألته قائلة

— ما لم ماذا ؟

— ما لم تكن هناك روابط أخرى . ما لم تكن هناك ... صديقة

قديمة ... في محلة « حنة الزاقصة » يهتم بها الى حد يحافظ معه على ولائها .

فهل توجد تلك الصديقة يا فني ؟

بلت الفتاة شفتيها بريقها والقت عليه نظرة سريعة وقالت وهي

تجبر على نواحرها

— هل تدبني أيها الشيطان ؟ انك على خطأ . ليس بيننا شيء ...

ولم يكن .. أنا صديقان ليس إلا .. دعني أذهب

وضع ترافرس يده على ذراعها ثم حملها على الجلود ثانية في غير

خشونة . ثلا

— احلمي قليلا يا فني . اظن ' لك تظلمين نفسك بتواضعك هذا

واعتدائك الذي تجاوز الحد . لست واثمة كل الثقة أنه يمدك صديقة

قديمة فقط

تحولت الفتاة اليه عندئذ وارتدت شفتاها . وكانت امتانة تذكر

يكرم سافر راف من المحلة كيف ضمها الى صدره وندكرت القبة التي

وضها على شفتيها ، تلك القبة ، وهي الاولى منه ، التي كانت مزاءها

الوحيد منذ وراقها والتي عاشت ماياها واقتاتت بها كما يتات الاعراف

في الصحراء بجفنة من البحر وجرة من الماء تصدان عنه غائلة الموت

ولم تلبث ان سألت نفسها قائلة :

هل حقاً ان راف يهتم بها .. وهل إذا بقي لمحلة ولم يصب هذه ؟

الثروة التي جاءت فجأة ، كان يتعلم كيف يحبها ؟
تهدت الفتاة عند ما دارت هذه الافكار بخلفها لانها أدركت
انه معها تكن الفرصة التي تتاح لها للفوز بحبها لوبى بجانبها ، فان هذه
الفرصة قد ضاعت الآن . فقد رأت اللادى مود واكبرت من ملاحظتها
والواقع اثرت ملاحظتها الفائقة في قلب الفتاة الخشنة التي جاءت من
البراري والتفارق كما لو كانت فيني من النساء اللاتي قد خبرن شئون العالم
ايقنت فيني ان لا أمل لها في منافسة فتاة حسناء كاللادى مود ،

فدفعت شعرها عن جبينها في ملل وسامة وقالت
- ليس في حديثك هذا شيء . لم يكن راف مولماً بي في محلة
« حنة الراقصة » بالطريقة التي نظنها ...

فقل ترافرس في رزاة
- ولكن البعد يصل القلب ناراً يا عزيزتي فيني . ان راف كما
تسمينه ، من الرجال الذين ..

فقاطعت الفتاة في ازدياء شديدة ثلة
- لا تكلف نفسك مشقة ولا تخبرني عن راف ومن أي طراز هو .
انني اعرفه خير منك ، كل طباعه وكل مراقفه

- إنني تعرفين ان الثوردد ستراقبني ليس بالرجل المتعاقب مالم ...
يكن هناك اغراء قوى لا يمكن مقاومته . الا اعترف يا عزيزتي فيني
بان لك منافسة قوية ولكن لا تيأسى وانك كرى أختي صديقتك ، راخى
في جانبك ومن انصارك

دارت الفتاة على عقبها وأوجعته بحجين مقطب وعينين تحجبت فيهما
دلائل الشك والارتباب وسألته قائلة

— ماذا تعنى ؟ ولماذا تكون فى جانبى ومن انصارى ؟ لم ترى
قبل هذه اليلة وليس هناك سبب بدعوك الى أن تكون « صديقا »
لى كما تدعو نفسك ، ولا ما يحملك على أن تشد أذرى ثم أننى أمتنك
وأمت رؤياك ، ولا أدرى لماذا ولكن ربما كان السبب ابتسامتك هذه
الباردة ، وتلك النظرات المريمة فى عينيك السوداوين اللتين تشهان
جذوتين من نار حتى وأنت تبسم اخبرنى يا مستر ترافرس ، اذا كنت
تريد أن تلعب دوراً صريحاً فافرحه وقل لماذا وقتت اليلة فى طريقى
ولماذا تكاد تسلبنى صوابى بمحديثك هذا عن راف وعنى ؟
مال ترافرس فى مقعده الى الوراء ومد بصره الى الامام ، فوجد
فى اللقطة التى أمامه شيئاً يكرهه على احترامها والاعجاب بها ، لان
شر الرجال وأحطهم يضطرون مرغمين على احترام ضحاياهم وقفوا
أمامهم فى شجاعة ورباطة جأش . والواقع أحس ترافرس بما بدفه
الى الاعتراف لها بحقيقة حاله فيخبرها أنه أخو راف من أبيه ولكنه
ضبط عواطفه قائلاً أن هذا سر يجب أن يظل مكتوماً فى صدره فلا
يبوح به ولكن استقر رأيه على أن يطلعها على شيء من الحقيقة فقال
— ان سؤاك هذا عدل وانصاف . نعم فى وسمى أن اللعب دورى
فى صراحة وجهرأ سأفعل ذلك . سأضع جميع أوراقى على مائدة
اللعب أمامك ومتى رأيتها ادركت السبب الذى حملنى على أن انقل
عليك اليلة ، وأدركت لماذا اكرهتك على أن تضعى أوراقك على
المائدة كذلك . قد يكون فيما سأقوله ما يثير عجبك ودهشتك ولكن
اعلمى يا فىنى أننى أريد أن يقتزن سترانغير بصديقتة ورفيقة صباه —
أريد أن يقتزن بك

الفصل الرابع عشر

الطعمة

— يقترن بي . . . لماذا ؟

— لانه اذا اقترن بك لا يستطيع الاقتران بتلك الفتاة الجميلة
وأعني بها اللادى مود

أبرقت عينا فينى وقالت

— هل تريد أن تأخذها لنفسك ؟

قبل ترافرس الاقتراح وقال فى هدوء

— بالضبط . لقد أسبت المرمى لأول وهلة

صاحت فينى دهشة واحتقاراً قائلة

— أنت ؟ لماذا تقترن بك ؟

سكنت للفتاة هنية وهى لا تزال تنظر اليه ثم طادت فاستطردت

فى حديثها بلهجة بطيئة قائلة

— لا أجهل أن بعض الفتيات يعدونك وسيم الطعمة وقد يعلنن

اليك ، ولا أنكر أنك جميل تتحدث بطريقة جذابة ، ولكيك تقول

أنك خادم راف أى أنك لست ذا شخصية تذكر . ثم هى سيدة عظيمة

فقد شاهدتها ترتدى ثيابا فاخرة أنيقة وتحلى باللائى الغالية والجواهر

النفيسة — أى نعم انها سيدة عظيمة من الطبقة التى ينتمى اليها راف

الآن ، فلماذا تريد الزواج بك ؟

ثم ضحكت فقال الشاب

— هذا قول صريح منك يا عزيزتى فينى أرى بعض المشقة فى الجواب عليه فى مثل هذه الساعة من الليل ، ولكنك نسيت يا بفتى العزيزة أنها سيدة عظيمة فى وسعها أن تتنازل دون أن تخسر شيئاً وعلى كل حال بسطت لك السبب الذى جعلنى على محادثتك ، وأذا طامق اللادى مود مغرم بها وقد صممت على الزواج بها لذلك أريد أن يفسح القورد ستراتير لى الطريق ، وهذا هو الذى أريده منك

أطرفت الفتاة هنيهة ثم قالت بصوت هادى

— هل تريد أن تأتى بينه وبينها ؟ لقرض أنى رفضت . ثم لقرض أنى . . . أميل إليه الى حد أن اخوله الطريق . . . ولأأود أن اشترك فى الامر ، فإذا يكون ؟

— اصنى الى يا عزيزتى فينى . يستحيل على أن أنصور رأياً أشد سخانة من رأيك هذا . اذ لا توجد امرأة مولعة بحب حبيبها مثل ولعلك بحب راف تستطيع أن تقف جانباً . اننى أعرف النساء فأجابه على الفور وبلهجة جافة قائلة

— ولكنك لا تعرفنى : اننى لا أردد عن قطع يدى . ومدت ذراعها وحدقت النظر اليه . اذا كان فى قطعها ما يجبل راف سعيداً فقال ترافرس وهو يبتسم

— لا اشك فى قولك هذا ولكن عملاً سخيفاً كهذا لا ينجح . ميداً أكثر من وقوفك جانباً وترك اللادى مود تفعل ذلك . معذرة بابنتى العزيزة اذا قلت لك انك لاتفهمين شيئاً من شئون العالم أو من أمور الرجال الذين يعيشون فيه . ذنى أنه إذا اندفعت اللادى مود وراء جهاتها واقترنت بلورد ستراتير فسيعيش كلاهما فى تعاسة وشقاء

فسأته على الفور قائلة وقد اضطربت أنقاسها

— كيف تعنى ذلك ؟

فاجلها ترافرس قائلاً

— ألا ترين ؟ اننى أقول فى كل جرأة انه لا يوجد شخصان لا يليق

أحدهما بالآخر مثل اللادى مود ولورد ستراثير ، فاللادى مود التى

رأيتها يا عزيزتى فىنى ، من المنصرفات فى الحضارة والمدنية أو بمباراة

أخرى . وهنأأسأت المخذرة . على عكس حالتك وماأنت عليه الآن...

فقاطعت الفتاة بلهجة الاستياء قائلة

— احفظ لسانك يا هذا . . .

فقال الشاب فى تؤدة

— لا أقصد إثارة النزاع بيننا وإنما أردت أن أقول لك انها على

تقيضك فى كل شيء . اما أنت وراف فكلكما يشبه الآخر فى أخلاقه

وشعوره ، وفى أخلاقك ... أخلاق راف وأطواره ما يلقى سحابة على

شمس سيدة مهذبة راقية كاللادى مود . ولعمري لا يعنى شهر العمل

حتى تكشف شمسها ويحتجب ضياؤها نعم مالت الفتاة الى وجهه

الجميل ونهوره وبساتنه التى تأسر قلوب كثير من النساء . ولكن

لا تنسى ان وراء الوجه الجميل ، وذلك الجسم القوى الممتلئ ، يوجد

المعدن الخشن الغليظ الذى رتب فى القياق والفقار ، هنا فى محلة « حنة

الراقصة »

دارت الفتاة بوجهها نحوه ثانية وأرقت عيناها ثم قالت فى ازدراء

ومخزية لا حد لها

— لو كان هنا ما نطقت بهذه الكلمات . مخافة أن يسحقك صحتما

— ربما ما نطقت بها ولا كنتنا — أنا وانت منفردين هنا ، ثم لا تنسى يا فيني اننا نلعب بأوراقنا « على المكشوف » كما يقولون . فراق القدي فتك بحبه ليس الا معدنا أو راعي نقر ، شاءت الأقدار لسخرتها ان ترفعه الى مركز لا يصلح له مطلقا . لو عندي لا يتنصف شهر العسل حتى نلج اللادى مود عشرة وتبلغ روحها التراق وتزول عن عينها الغشاوة . كنى ، انك لا تجهلين ماذا اعنى . انك تعلمين انه سيكون تيمسا شقيا مثلها وانه لا يقضى نصف شهر العسل حتى يرجع بيصره الى الوراء ، حتى يلج اللادى مود كما نلج ، حتى تعود اليه ذكرى الفتاة الصغيرة التي تركها في حلة حنة الراقصة وتتوق نفسه شوقا اليها وكانت الفتاة قد جلست على المقعد ثانية وهي تصني الى الصوت الرقيق ، فأخذت يداها تشددان الضغط لأن احدهما الى الاخرى وأرخت عينيهما وأرجفت شفتاهما . وكانت رقة الصوت وهدهوه ونباه هو الذى أثر في نفس الفتاة فقالت اذا مسح قوله .. وهذا ما يتم عليه صوته .. فان من الخطأ بل من الاحرام ان تقف جانبا

وكان عقرب الفيرة من اللادى مود لدع قاب فيني . ولا عجب فانه لما تكلم ترافرس عن شهر العسل تصورت راف والفتاة الجيلة معا منفردين — زوجا وزوجة ! فاصابتها قشعريرة وأحدث بقوة خفية تدور حولهما في نفسها وتوحى اليها فائلة : انك تحبينه مثلها بل أكثر منها انت أول من أحبته فلك عليه حق اذا ... اذا كان زوايه بها سيجهله شقيا تمسا

قال ترافرس بعد فترة وجيزة من الصمت
— ها ترين اننى على حق وانى أكون لها خيرا منه بكثير

خملت عليه بصوت خافت قائلة

— انت . . . ليساعدها الله هي أو أية امرأة تقترب بك

ضحك ترافرس وقال

— هذه قسوة وظلم ، ان كراهيتك لى تدعوك الى التعامل على ،
ولكن لاخرج أنا من مدار البحث لانه لا أهمية لى فى الوقت الحاضر .
والآن يابنى بعد أن أستقر الرأى بيننا على أن سترافرس اذا اقترن
بك يكون أسعد جدا عما لو اقترن باللادى مود ، علينا أن نبحث كيف
تتعقق فائقنا ويتم زواجك به . لا ريب ان الزواج لا يتم اذا تقدمت
اليه والامور على ما هي عليه الآن من النقة . . .

صعد الدم الى وجه الفتاة وقالت بصوت خافت

— لا اريد أن أفعل ذلك . لم أفصد محادثته ولا أردت أن يعلم
بوجودى هنا فى انكلترا وانما أردت أن اشاهده ، وان أطمش على
صحته . . . وأن أراه سعيدا

فقال ترافرس

— فرأيت انه بعيد كل البعد عن السعادة اعلمى يا عزيزتى ذى
انه توجد فتاة واحدة فى دنيا العالم تستطيع أن تجعله سعيدا ، وهذه
الفتاة هي انت . لك أن تأخذى هذا القرب منى قضية مسجلة وحقة
صالحة لا تحتاج الى رهاز . والآن وقد خاطبتك على الصراحة وادراك
كل منافعها الا معة ننى أطمع وأن تعينى صديقا لك وان تترشدى
بنصائى فى المستقبل . ونصيحى انك فى الوقت الحاضر هي 'ن تهسى'
حركتك فلا تقضى نفسك الى راف ولا تظهرى فى ميدان لمعرفه أو
محارلى 'فتقاء' أثره فقد كاد يراك 'الاية' لو لم أقف حائلا فى وجهه .

وهو بلا ريب يرحب بك ويتنهج برؤياك

فتنمت فيني فائدة

— نعم أن راف ليس من الرجال الذين يتجاهلون اصدقاءهم القدماء
ولكني لا أريد

فقال ترافرس في دهاء

... . انه يتنهج برؤيتك ويرحب بك كصديقة
... . ثم ثم يصري أن يقدمك الى اصدقاءه العتيق الجدة
أنتي ترافرس في نومها الوث الحقيق نظرة ذات مغرى ثم تبسم
فتورد وجهها وضعت شفتها فقال ترافرس كما لو كان قد جمع جوابها
— ياك بط . انك فتاة ذات شمم واباء باقيني . هن تملين اني
رأت فيك كل هذا في الاحداث الاولى التي وقعت فيها ديناي عليك ؟
انك لا تملين لوقوف وانت على هذه الحال ، بل انك فتاة الفتاة
واعني بها الاى هو

وقبت الفتاة واقفة على قدميها وقالت رهي تحزن - ر - ر - ر
- است انك ناور سكرتك شيطان . انك تلعب بي وتجباني شطاه
منك . لكلك تعلم اني افضل الموت على أن اقبل على رجل يهينني
انظر انك رايتي في ر - ر - ر
... . ر - ر - ر

... . ر - ر - ر
... . ر - ر - ر
... . ر - ر - ر
... . ر - ر - ر
... . ر - ر - ر

ثم ثيابك - لا تظن أنى أريد الاساءة بك - ولكنى تمثت فى رأسى
كيف تكونين جميلة الطلعة اذا ارتديت ثيابا أنيقة - الان ترين كل
شئء امامك جليا واضحا ، فعليك أن تخبرينى ماهى حالتك المالية ؟
فقال الفتاة وهى تلهث

— اذا كنت تزعم اننى اقبل سنتيا واحدا منك . . لعمرى اننى
أفضل السقوط على الارض والموت جوعا
فقال الشاب بلهجة الاستعصان

— ياله من شمم بالغ حد الكمال . اننى أعجب بروحك لان مثل
هذه الروح تستطيع أن ترفع صاحبها الى أى مكان شاءت . ولعمرى
أنت خير من تصلح للزواج بالورد سترافير ، وسوف لا تمضى شهر
العمل حتى يرى فيك مايجده على الاعجاب بك . كلا . لا أعرض عليك
مالا كمنحة منى أو هبة بل ستدفعين لى ما اقترضته تقدا . . وبطرق
اخرى . . طرق ثمينه ، لحاولى أن تنظرى الى بعين الصداقة . . . أن
تعدينى صديقا حميا وتقبلى منى قرضا صغيرا .

فقاطعت فى غضب قائلة

— ولا سنتيا واحدا

هز ترافرس كتفيه وقال

— حسنا . على كل حال يجب أن نكوى فيها عرضت عليك

يجب أن تلتقى ناية فاخبرينى أين تقطنين يا نينى

صحكت الفتاة فى سحرة واستهزاء وهى تهز رأسها ، فقال

ترافرس فى ارتياح

— انى أفهم السبب فى تبرمك ، ترددك . يجب أن تتأبل على

كل حال في أى مكان شئت ، بعيداً عن هذا المكان لانه قريب جداً من القصر

فقات الفتاة ودلائل السرور تتجلى في عينيها وصوتها

— لا أريد مقابلتك ثانية مدى الحياة

— لاشك في أن هذا شعورك اليلة ولكن انتهى بان شعورك

هذا سيتغير في الصباح ولن ينمض لك جفن اليلة يا فتى ، بل ستفقد ليلىتك في التفكير والبعض والتدقيق ، وستترن بعيني فكرك الرجل الذى تمسقينه زوجاً لارئة اخرى

— امتنع وجه الفتاة اذ علمت انه وصف الساعات التى تخطرها

أصدق وصف ، وتنبأاً بالتماسة التى ستكون نصيبها ، على حين استعارد الشاب في حديثه فقال

— وعندئذ ستقولين ليلىتك قلت ما مرصته عليك من صداقة وساعدة

نهض ترافرس من مكانه فجأة ثم وضع يده على مسكها وشد الأصمط عليها وقد تغيرت حالته كلها خدق السر اليم وصرع اليم نظرات عينيها السوداء بن كالسهم ثم خاطبها ، لا بصوت الرقيق الذى بل بلهجة حافة خشنة قائلا : ههوه ووحشية

— ايها الحقاء الصغيرة ، هل يدور ببالك أن لديك اتوة اخرى

تسد عليك على التواقة ، هل تعتدين انى لا أهتم بك وبعيدك

وانى أهتم به فتى زحسى : هل ؟ نصبرين اى - صبح الفتاة اى

حبيدا اليلة من مقابلي ؟؟ صغيرة تقرأ هر زعمى لا استمد لك

مهما تذكر تيمتك ؟ صنى لى يا فتى : ثم عتت مزع على ز تقترى

بدلت لوى اى يقف سدا يبنى وبين المرأة تى ه ه الا ز

قردي ولكن لا ، سأقرر أنا ما تريدنه . عليك أن تقابلني غدا في الساعة التاسعة مساء في طرف ذلك الطريق بجانب القصر الكبير . هل تريدنه ؟ حسنا يجب أن تكوني هناك . . . كراما لك وللرجل الذي تحبينه

شدد ترافرس الضغط على منكبها وهو يضحك في وجهها الشاب الذي رفعته إليه ثم أومأ اليها برأسه وتركها و نصرف

وقفت فيني حاملة في مكائها كأنما حولتها قدضة يده الى حجر ، وأخيراً شمت شهقة طويلة ثم هزت منكبها في تأفف وتألّم وجلست على المهد اعاء ولم تلبث أن غطت وجهها بيدها تحاول التمسك في ما كان وما سيكون

ان الاسباب التي حلت فيني على مائدة المحبة بسيطة لأنتج الى شرح طويل ، فقد كان كثيرا من المحدثين يعرفون ان عليم ان وقت الى آخر أن يكون له نصيب في الحفر الى يشتغلون فيها . ومن أقرب أن احدي هذه الحفر اصابت ذهباً في اليوم نفسه التي ساء يومها ، فغفل الى نيني المسكينة أن الانذار حدث " لها هذه مساءه . . . ارشاده وقد حدثت . كمن خبرت قرموس . الحفرة كل ما به يكتم الخزان . . . أن ساد اشباب الذين تهرده عنت كل شيء ، هذا كما رآه فيهم ستاني الامر من له كرات اي ندره . . . اكبر اني لن . . . ومطامعة الخطب انما كايهم هذه الحاح له

أنت يبي
التي

ذو ثروة طائلة ، فما الذى يحمله على العودة الى أميركا ؟ اذ لن تراه ثانية
ولدت هذه الفكرة روح القنوط فى نفس فينى وعصرت قلبها
عصرا لا تحس به ولا تقدره الا المرأة التى ذاقَتْ مثلها مرارة الحب
ولعبت بها أصابع الغرام ، وخيل اليها أن الحياة لا تساوى شروى بغير
ولا تطاق إذا حرمت رؤيته الى الابد . فحن قلبها اليه وفانت نفسها
الى التمتع بالقليل التافه منه وهو أن تلقى عليه نظرة واحدة ولومن بعيد
والآن أتيت لها الفرصة التى تساعد على بلوغ امنيتها هذه
فقد حصلت على المال الذى يكفى لاجتياز الاطلائيك والوصول الى
انكلترا والاتفاق عليها حتى تجد عملا تقام منه وهى تستطيع الحياة
بالتدريج اليسير وتقيم بكل مأوى يأويها معها يكن حقيرا

وكانت الفتاة تعلم أنه سافر الى لندن ، وهى الوحيدة — إذا
استثنينا المحامى جو — التى تعرف اسم رافا حقيقى وقامه فمن سهل
أن تجده وعندئذ يكون فى وسعها أن تلقى عليه نظرة من بعيد ، من
رفت الى آخر . ولم تكن لديها نية للتحدث معه بل يكفىها أن تراه
وأن تعلم أنه بخير وأن تجد عزاءها فى رؤيته سعيداً وفى الترتيب منه
ولو أنه لا يراها

وكانت الاخلاق المتينة والصلاة التى استطاعت فصلها أن تعيش
بمعنى اسم فى المحنة سطت له بين الغلاط ، ونهبت اذ لم تلتجئ
فيم تتوان فى تنفيذ خطتها . ولت أتم مسافرة فى هذه قصيرة الاحل
ثم سارت فى أقرب وقت . مما انفرد فلم يرا فى همارها ا حريصا
عن لمعقل أو الامتداد وبأثير يجب لأن العدة حرت

بينهم أن يسافر كل من أصاب منهم مالا الى الخارج لترويح النفس
والتمتع بملاذ الحياة فكم سافر رجل منهم وجيوبهم مملوءة بالذهب ثم
طدوا بعد قليل وكل واحد منهم صفر اليدين

ركبت فيني لحسن حظها احدى البواخر السريعة فعبرت المحيط
في الدرجة الثانية وعند انتهاء الرحلة وجدت نفسها في لندن وحيدة
لا ناصر لها ولا معين ولسنا في حاجة الى وصف التأثير الذي احدثته
المدينة الكبرى في نفس فتاة كفيئي ، تربت في احدى عمالات المناجم
وماغت في واد بعيد تكتنفه التلال من كل جانب حتى كادت تفصله عن
بقية العالم وانما يكفي أن تقول انها سألت نفسها قائلة ما هذا البحر
الواخر الذي اقلت نفسها فيه !!

ارتبكت الفتاة وتولتها الحيرة عند ما وقعت عينها على القصور
الشاحشة والجااهر العديدة والجلبه التي قامت حولها والحركة العنيفة
التي لا نهاية لها . يؤقد ثبطت همه الفتاة وخارت عزيمتها عند ما بلغت
المحطة النهائية وخطر ببالها أن ترجع من حيث أتت ، ولكن تقدم
اليها أحد الخمالين في رفق عند مارآها منفردة تلوح عليها دلائل الحزن
والارتباك ومد اليها يد المعونة فارشدها الى منزل صديقه له حيث
تستطيع الحصول على غرفه

كان المنزل بشارع كارولين ، من المنازل العادية ، في حي من
احياء الفقراء فلما وصلت فيني اليه نظرت الى ما حارها رشتت شهته
طويلة كأنما كانت في حاجة الى الهواء ثم دخلت فوجدت من صاحبة الدار
اهتماما بها وابتساما فصعدت السيدة معها الى غرفة ، ولم تكن أصغر
من انكدرخ الذي كانت تقطن في « حنة الرافعة » ولكنها كانت في

الدور الاعلى ، تطل على اسطح منازل ومدائن لا عداد لها ، يتصاعد منها الدخان بكثرة تولدت منه سحب كثيفة كادت تختنق منها الفتاة تفرق الدمع في مآقي فيني ولكنها حبسته واستجمعت قواها وقالت في نفسها انها الآن في لندن فلا بد أن يكون راف في مكان ما على مقربة منها وانها ستراه لا محالة وفي هذا عزاؤها وسلواها بعد المتاعب التي تحملتها أثناء السفر والتي تتحملها الآن في هذه المدينة الغريبة رقدت فيني ليلتها الاولى تنقلب في فراشها تصنى الى جلبة الشارع وحركة المارة تحتها الى أن استيقظت في الصباح بعد فترة وجيزة من النوم ، فقامت مستمدة من ثقتها برؤية راف عزما وقوة فنادرت المنزل على أمر تناول فطورها تبغى البحث عنه . على انها لم تقض مدة وجيزة حتى أدركت بفطنتها انها لا تستطيع ان تجد راف ، وهو في طروفة الجديدة ، في هذا الجزء من المدينة الثماص بالسكان . فعادت الى المنزل حيث أخذت تتحدث مع صاحبة الدار فعلت بصفة غير مباشرة ودون أن تذكر اسم راف ، ان الاغنياء يظنون في حي خاص ، في منطقة يطلق عليها ، « وست اند »

بعد ظهر ذلك اليوم نفسه غادرت فيني المنزل مرة اخرى وانجبت نحو الغرب ، وكانت تتوقع رؤية عدد من المنازل المتخمة القاعة وسط البساتين والمروج ، فرأت نملا قصيرا شاذجة في درجة غريبه ولكنها رأتها كما هي صفوف متراصة تتخللها شوارع نهائية لها ، ثم رأت فيني ان يستحيل عليها ان تجد راف في هذه الشوارع الواسعة الطويلة كما وجدت ذلك مستحيلا في الحي المتدور اذ دحمت بالمكان الذي غادرته من قبل

أخيرا وجدت الفتاة نفسها قرب الغروب واقفة في زاوية أحد
الشوارع تنظر فيها حولها في بأس وقسوط . في لفتت حالتها هذه بعض
المارة فنظروا إليها في دهشة وغرابة ، ولم تمض مدة وجيزة حتى جاءها
الشرطي ، وكان يراقبها من كثب ، ثم خاطبها قائلاً

— نعم يا بيبتي ، هل تبحثين عن حبيبك الشاب ؟ هل تأخر ؟

تورد وجه فيني ولكنها اطمانت عندما شاهدت ابنة سامة الشرطي
تتجلى على ثغره وفي عينيهِ . وكان قنومها قد بلغ حده فسألت الرجل قائلة
— لا أنت راحداً ولم اقترف دساً

ثم سكنت والرجل يشر إليها اني أن سألكه ثانية ؟

— ها ، صحت .. شخص يدعى سترافير .

فأعت الفتاة بالأمم في بقاء ذلك الشرطي . فذه ثم نظر إليها ملياً
وأخيراً قل وهو يبتسم

— نعم هذا ما أظنه . ان لعصف ملاي مذكرة . ولكن لماذا
تريدين معرفته ؟

انني الشرطي ص . هذا سؤال وهو سر ، م يعير لأرب
والعل . فاجبه مني ومسا بحرق بلادة قائلة

— اريد أن أعرف دسطين يظن

— في وصفي أن أدركك بما ذلك . سيرى الى نهاية الطريق . في تسلي
ال ميدن ، في قسمة . هل صحت ؟ هل جئت ، ريب . لا
تريدن من نشأتا ؟

هانت الفتاة في دسرم

— انني ر . . . ر . . . ر . . .

— أظنك تريدن رؤية واحد من الخدم ؟ حسنا تعالى اريك المنزل
 سار الشرطي يجانها الى الميدان ثم أشار الى « كلاريدون هوس »
 وعاد الى مقره الاول ، فالتفت فيني نظرة طويلة على القصر ثم طادت
 ممرعة . على انها طادت ثانية في غسق الليل ففاضت ببقيتها اذ رأت
 راف يهبط درجات سلم للقصر فوضعت يدها على قلبها وارتحف جسمها
 وأخذت تتمم قائلة : « آى ، راف ، راف » ثم تحولت وصارت في
 طريقها مطرفة الرأس بعينين تحجب بصرهما الدموع

ظلت فيني تذهب كل مساء الى الميدان وتنتظر حتى تاتى ذرة
 عليه وكانت في كل مرة تتمم قائلة : « آى . راف . راف » . ثم تنصرف
 والآن اكتشف مرها هذا الرجل — ترافرس — خادم راف
 وصديقه الذي انتزع مرها من صدرها ولواها كما شاهدت المعدن
 يلوى قطر^١ من معدن الرصاص . ونما كانت حاله هناك استعرضت
 في رأسها كل كلمة قالها ترافرس ، فقامت : حمل حثا بهم راف بها^٢
 انه لم يذمها على كل حال لانه ذكرها لهذا رجل صاحب الصوت الناعم
 والعينين الخمدتين والا تساه المملوءة سحرية ، انزل لى أعرها ان
 راف ستقرن الشاة الحمية التي رأتهما سيقرن باللاي مود مالم .. مالم
 نهضت فيني من مقعدها وقد استقر رأياها على ان نقلت من
 قبضة الرجل وعود الى محله « حنة الراقصة » أو هل يجدر بها ان
 تذهب الى راف وتطول له ان خدمه هذا ، ان هذا الرجل الذي يدعى
 صداقته . هو صديق كذاب مما يقى يخدعه ويريد اخذ به ؟

سارت فيني بخطوات بطيئة في طريقها الى أن بانقت انزل فصعدت
 الى غرفتها دون أن يشعر بها أحد وهناك انفت نفسها على فراشها

وظاشت غمار معركة حامية لأنخى على أية امرأة
ليتها تثق بأن راف يهتم بها ! ولكنه على كل حال ينتمي إليها
أكثر مما ينتمي إلى تلك السيدة الجميلة ، فهي قد أحبته وهو فقير
لا أهمية له ، وفي وسعها أن تحبه حبا لا يستطيع هذه الفتاة أن تجاريها
فيه وقد قال الرجل أن راف يكون هقيا تقيما إذا تزوج اللادى
مود . أوام هل هذا صحيح ؟ إذا كان الأمر كذلك . . »

استمرت المعركة طول الليل وهي وطيسها إلى أن فادرتها في الصباح
شاحبة اللون خائرة القوى ، ولكن كانت جذوة حب راف قد اشتدت
لهيبها في قلبها فظلت طول يومها تهيم على وجهها ، لتجاذبها الأهواء
المتضاربة ، ولكن كانت لعاطفة الحب الغلبة عليها فلم يمن الوقت
حتى رأت رجلها المتعبتين يحملانها إلى المكان المعين
دقت الساعة التاسعة ولكن ترافرس لم يظهر لأن الشاب كان
يعلم أنه إذا تأخر عن الموعد قليلا جعلها هذا التأخير اليزعريكة وأسلس
قيادا . والواقع أنه فبنى بعد التاسعة والرابع قادمًا يتهادى في مشيته
فأرادت أن تتحول وتهرب من وجهه ولكنها لم تستطع التحرك
من مكانها

رفع ترافرس قبعتها وحياتها باحناء رأسه وإتسامة رفيقة وثال
.. هاقد أتيت يا فبنى . اخشى أن أكون قد تأخرت قليلا ولكنى
كنت أتولى خدمة اللورد سترافير

نادى ترافرس عربة وأشار إلى الفتاة أن تركب معه فترددت
وارتدت إلى الوراء ولكنه ضحك وهز منكبه قائلا
.. اركبي يا فبنى العزيزة . لقد استقر رأيك على مقابلي ولعمري

قد أصبت في قدومك

سارت المركبة بهما الى مطعم هادئ في حي « سوهو » فلم تتردد
فيني بعد وانما تبعته في عزم وثبات الى زاوية منعزلة من المكان الذي
لم يكن يقصده غير الغرباء

طلب ترافرس طعاما لهما ولكن لم تستطع الفتاة أن تأكل
شيئا وجلست تحمل ذقنها بيدها تحديق عيناها النظر الى غطاء المائدة
على حين كان ترافرس يتناول طعاما لذيذا ، وتحدثت في مواضيع عادية
سقي . الى أن فرغ من الطعام فاشمل لقافة من التبغ ثم قال بلهجة
أخرى تختلف عن لهجته الاولى

— الآن باعزيتي فيني هيا نضع الحطة لملتنا . ولكن اعلمي قبل
كل شيء اننا قد صرنا من اليلة رقيقين نعمل معا لفائدتنا المتبادلة
ألا تزال أوراق اللعب « مكشوفة » على المائدة ؟ حسنا ، اذن اعلمي
انني سأساعدك على الزواج برفيقك القديم . لانسأليني كيف سأصل
الى ذلك ولكن بقي بنحاحي . ليس نمة ما بدعوك الى التردد أو الشعور
بتأنيب الضمير لانتنا ، أنا وأنت ، نعمل لخيره . . وخيرنا . الآن هل
لك أن تعطيني عنوانك ؟ لا تخافي اسوف لا أثقل كاهلك بزواراتي
ولكن قد اضطر الى مكاتبتك وسأرسل اليك بعض أشياء بلا مرء
القت فيني عليه نظرة استفهام ثم تكلمت لأول مرة فسألته بصوت
خافت وهي تحديق النظر اليه قائلة

— ماذا تعني ؟

— اعني ان تغييرات عظيمة ستطرأ على ظروفك يا عزيتي فيني
يجب أن تعديني أخاك ، وبهذه الصفة يجب أن تدعيني أهم بك

أخرج ترافرس من جيبه كيس نقوده ثم عد لها عشرين جنيتها من الذهب ، دفعها فوق المائدة نحوها قائلاً :
 — كلا ، لا ترفضى . لا يستطيع الانسان أن يعمل شيئاً بدون نقود وستحتاجين الى ما أقدمه اليك . . هذا قرض أقدمه يا فيني فاشترى منه بعض ملابس . ربما لا تستطيعين معرفة ما أنت فى حاجة اليه بالضبط فخير لك أن تذهبي الى هذا المحزن . وكتب لها عنوانه وهناك أخبرهم انك ستشتغلين وصيقة لسيدة غنية فيعرفون ما أنت فى حاجة اليه من الملابس الجيدة البسيطة

نظرت فيني الى النقود ثم الى وجه الشاب الجالس امامها ، فكادت تخنقها العبرات ولكنها ثملت فى تلك اللحظة وجه راف فاشتعلت فى قلبها نار هواء ولم تلبث ان مدت يدها بحركة دلت بلغة صامتة على شموورها وقبضت على النقود الذهبية ، فقال ترافرس وهو يوميء اليها برأسه

— هذا حسن . الآن سأطلب لك فنجانا من الشاي لاني لا نذوقني طعاماً فتنأوليهِ اثناء حديثنا كأنخ وأخت يا فيني ؟



الفصل الخامس عشر

راف يسأم

لا نفالي اذا قلنا أن الثروة والجاه لا يجلبان السعادة في بعض الاحيان ، فان راف بالرغم مما صادفه من النجاح وحسن الاحدوة وسط جمهور الاستقراطيين الذين احتشدوا في قصر اللادي كواتوك وبالرغم من الحسد الذي أقسم قلوب المدعويين من نحو الشاب الذي اغدقت عليه الافئدة النعم والعطايا والذى وهبته الارادة الالهية فوق ذلك جمال الوجه وقوة الجسم - تقول أن راف بالرغم من كل هذا كان في حالة تفسية لا يحسد عليها وهو يتنشى في غرفته ذهابا وجيئة ، يدخن لفاقة التبغ في عنف ويذكر حوادث الماء . لان قلبه كان مثقلا بالهموم والاحزان ، فله الذي أقدم بحب لشباب الاول والواقع كان غرامه بمرد يزداد يوما بعد يوم وينمو ساعة بعد ساعة مثل حبة صغيرة زرعت فتمت وترعرعت حتى تحولت الى هيام ملك عليه قلبه ومشاعره

لما طرق الحب قلبه لم يكن له أمل لان العاطفة التي تملكته كانت وقرب الى العبادته منها الى الرغبة على حين مائى اعتقاده برفقتها ونلوها نمو غرامه بها ، فلم يتفكر بباله ذرة أذى يسهه أن ييوح لها حتى يحبه قال في نفسه أنه يكفيه أن يعبدها وأن يكون على مقربة منها ، وأن أهتمام بها ويتولى خدعتها في الامور البسيطة - وفي الامور العظيمة أيضا اذا هيأت له العناية الالهية الاسباب وسادده الحظ في ذلك .

والواقع خيل الى راف أن الفتاة فوق كل امرأة أخرى ، وأنه لا يجرؤ رجل على أن يرفع عينيه اليها . فلما أبلغته مدلين دسبار أن اللورد سنيورن سيقترن بها على الأرجح لم تكن الصدمة التي أصابته ناجمة عن عقرب الغيرة فحسب بل كانت أيضا تلك الصدمة التي يعانها المرء متى وقعت عيناه على عمل فيه انتهاك حرمة شيء مقدس . فباله أن يطمع هذا الشاب الذي تتحدر ذقنه وجبهته الى الوراء ، في أن يكون قرينا لفتاة مجيدة كاللادي مود

على أنه كان قد شاهد الآن من شؤون العالم وأطواره ما ساعده على ادراك ما يمتاز به اللورد سنيورن عليه فقد كان سنيورن واحدا من هذا العالم العظيم . من هذه الطبقة للغربية التي كان يجدر يراف أن ينتمي اليها والتي يؤهل مركزه في الواقع أن ينتسب اليها ولكنه كان يشعر بأنه متطفل عليها . نعم ان الثياب الجديدة من العوامل التي تغير مظهر الانسان الخارجى ولكن راف كان لا يزال في عيني نفسه غليظا ، خمننا جاهلا هزلا ، يختلف اختلافا تاما عن هؤلاء القوم

المتقنين المتعلمين الذين القته المقادير في وسطهم
ذكر راف وهو غارق في افكاره ما أظهره ترافرس من الخفة والنشاط في محادثة المدعوين واستطاعته الرقص مع اللادي مود ومحادثتها هي وغيرها كأنه واحد منهم ، فقال ان ترافرس « جنتلمان » أكثر منه وأنه البقي منه بمركز لورد ستراتفير وأصلح منه لهذا المقام على أن الادهى من كل هذا أن راف ارتأب في مقدرته على كسب صفاتهم الجميلة ، ومداعباتهم اللطيفة في أحاديثهم وحركاتهم الهادئة الرشيقة في مشيهم وغير ذلك من الصفات التي امتاز بها هؤلاء القوم

الذين اضطر الى الاختلاط بهم ، وأيقن أنه مهما بذل من جهود ومهما جاهد فإنه لا يستطيع أن يعجز الطغاة التي انتصفت به من جراء حياته الأولى في محلة حنة الراقصة

ولكن قامت في نفسه روح العدالة تحتاج على هذه الفكرة قذرة ان الحياة هناك كانت حقيقة خشفه وجافه ولكنها كانت حياة شريفة ليس فيها ما ينجبل أو يشين . فقد كان والده صاحب حانة ولكنه كان « جنتلمان » كما كان معظم الثقبان « بيض » القلوب من الاصدقاء الخالصين . . ليس في الحياة القديمة لطخة طار وليس في أسدته القدماء ما يحبط أو يشين . ولكنهم وهو معهم . يعدون على كل حال من طبقة أخرى تختلف عن هؤلاء الرجال الذين يحق لهم الزواج باللادى مود بالرغم من انحدر ذقونهم وجباهم

ولما كان الاسد الجريح ينشد دائما العزلة والافتراء . فان آل سان ايفز لم يروا راف الا قليلا خلال اليومين أو الثلاثة التالية . فقد استيقظ الشاب في صباح يوم حفلة الرقص في الميعاد المعين فامسج انقرس ثم ركبها الى مسافه بعيدة خارج المدينة حيث توجد اما كن عتيقة ذات معبد بديع وذهب الى أحد المروج في « سورى » وهناك ترجل عن ظهر العرس وأمر بان يقدم اليها العلف والماء ثم تناول غداه من الجبن والحبز والسماك في غرفه حانة صغيره ولما استراح ذليلا استأف سيره وسط الحقل والمروج

استقر رأى راف على أن لا يفكر باللادى مود ولا اللورد سنبورن وحول دفة افكاره الى محلة حنة الراقصة . وكان من الطبيعى أن يفكر بفينى لان الفتاة لم تخطر بباله منذ وصوله الى لندن والواقع كانت

المرّة التي ذكرها فيها في حديثه مع ترافرس هي الأولى التي كبّد نفسه مشقة التفكير بها ولكنه فكر بها الآن وتذكر ساعة فراقها

قال راف في نفسه انه لو مكث في « حنة الزائفة » لؤاد حباً لفتاه على الارحح ، الفتاة التي تعلقت بعقه ورفعت اليه عينين ملوّهما الحب والتي بليت دموعها صدرته وهو يودعها ربما كان بقاؤه خيراً له - نعم كان خيراً أن يبقى راف الشاب العادي ، راف المعدن ويقرن بغيره

على أنه هن رأسه لدى هذه الفكرة وقال في نفسه انه توجد فتاة واحدة هي التي يتمنى الزواج بها - ولكنها ليست بل للورد صنبورن وفيها كان راف طائداً بالفرس على مهل لاحظ أنها رومنت تماماً فارتاحت نفسه لأنها منكوزة فرساً جميلة تلبق بالآدي مود . ومع أن الشاب قضى يومه دون أن يرى مود وتمطشت نفسه لرؤيتها فقد استقر رأيه على أن لا يتناول طعام المشاء في القصر ، وعلى ذلك ذهب الى « سافواي » . وكان ترافرس قدسه الى اصحابه من قبل ، فأرشدته الخادم الى مائدة صغيرة جلس راف أمامها . بل أنه لم يكده يشرع في تناول طعامه حتى جاء جماعة في لائحة المجاورة له . وقد ظن احداهم باسمه فالتفت راف فرأى بينهم المستر بونسني حوز ، الشاب الذي لقيه في الأنادي من قبل . على حين كانت مداين دسبار احدي النساء اللاتي معهم نصاحت ابتهاجا عند رؤيته قائلة

— آه ، لورد ستراتمير . ما هذه القرصة البديعة ! هل نتعشي منفرداً ؟ تعال وانضم الينا

تورد وجه راف ابتهاجا ، لانه كان يشعر بوحشة وكآبة وسط

الجاهل التي تعالت أصواتها حوله بالضعك والحديث فقام والتحق بهم
فرحبوا به طبعاً وجلس بجانب مدلين دسبار التي تظاهرت بالسذاجة
والخفة وطاملته كأنه صديق قديم لها

وكانت دلائل الابتهاج والحبور تتجلى على الجميع لأنهم كانوا من
الفسان والشابات الذين يميلون كل الميل إلى الانسراح والحبور ، حتى
المستر بونسي حوتر وقد ظهر انتم شاعثاً على حين كانت ضحكات
مدلين تتحلل الحديث من وقت إلى آخر

وكان الخدم يظهر اهتماماً خاصاً بكأس راف ، فلم يمنعه الشاب ،
على عكس مادته ، بل ظل يتجرع كأساً بعد أخرى ولم يلبث أن انطلق
لسانه في الكلام مثل غيره وهم يشعرونه على الحديث ويتبادلون
نظرات الدهشة والاستغراب من لهجته وبعض عباراته الخشنة لأنهم
وجدوا فيه شيئاً حديد لم يهدوؤا من قس

وكان الجماعة قد عذروا النية من قبل على التذلل إلى أحد المسارح
فذهب راف معهم طبعاً . وكانت الزبانية هزلية موهبة بشية ، كان يعلها
راف في أوقات أخرى أما الاضطربة صديق به ولكن كان قد تجمّع
كبي كبيرة من الشماعي فلبت برأسه الحمر ولسكه وجب تذابة في
الاناميد الزرق والكمات التي من سقيم المثلون .

وكانت مساكن لا تارة بحرية زلات زلات حامة
هتامة اندمهم ، تدمست مظرة رافست به زبانية هتامة
رفع الرش الحبري عن كنفه المبرورين ثم زلات زلات
إرشاع إلى كالة فانية ، زلات زلات زلات زلات زلات
مافرا إلى مافرا زلات زلات زلات زلات زلات زلات زلات

تصاعدت رائحة شعرها الزكية الى رأس راف ولعبت الشمبانى دورها فى عروقه ، فاتفق أن وضعت مدلين يدها على يده لتلتفت نظره الى شيء ما فاضط راف ، وهو لا يدري ، على اليد الصغيرة وعندئذ فطرت اليه الفتاة من خلال أهدابها وعلى ثغرها ابتسامة ساحرة مغرية تناول الجماعة بعد الفراغ من التمثيل شيئاً آخر من الطعام والشمبانى ولكن راف كان قوى الرأس كما كان قوى الجسم ، فلم يبد عليه شيء من تأثير الحجر ، اللهم الا احمرار وجهه ولمعان عينيه الحادثين وفيما كان الرجال يساعدون مدلين على ركوب سيارتها فى النهاية ، اذ مالت الفتاة الى الامام ووضعت يدها الصغيرة على ذراع راف ثم لصقت وجهها بوجهه ونظرت اليه نظرة كم أحدثت تأثيرها السيئ فى قلوب كثير من الرجال وتمت قائلة

— ألم تقض ليلة سادة بديعة ؟ يجب أن تتمتع باخرى بل وبليالى عديدة ، فهل تعد ؟

فقال راف بصوت عميق

— نعم اعدك . تعال نتعشى معا غداً . سأكتب الدعوة الى

بعض الرفاق

حاء المستر بوانيسى بعد ذلك وأبسط ذراع راف قائلاً

— لم يحن الوقت بعد للنوم . هيا نذهب الى ناد صغير لى

وكان راف فى حالة تسمية لا يحجم منه عن الذهاب الى أى مكان فلبى الدعوة وركبا سيارة أجرة أفلتها الى « نادى الاس » وهو مكان يدل اسمه على ماهيته

وكانت قاعة اللعب تكاد تكون خالية من فيها عندما دخل الشابان

فقدم بونسى ، راف الى بعض الاعضاء فلم تمض مدة وجيزة حتى وجد الشاب نفسه جالسا أمام احدى الموائد الخضراء ، والاوراق منشورة أمامه ، والشمبانى بجانب مرفقه

وجد راف فى الساعة الثالثة صباحا أنه خسر مبلغا كبيرا من المال فقرر نزع هنيئة ولكنه تذكر ثروته الطائلة فضحك وأمضى سكا عليه بالمبلغ قائلا :

— سأدفعه فى الصباح

ولكن تبسم الراجحون ورفضوا قائلين

— تعال اليه القادة واسترد ما خسرت فقد خانتك الحظ الليلة

فقال راف

— كلا . كان الحظ حسنا ولكنى لست من المولعين باللعب على

اننى سأتي على كل حال وأخذ بثأرى غدا . لقد قضيت ليلة سارة جميلة بامستر بونسى

لما خرج راف الى الهواء الطلق أحس بارتباك ودوار فى رأسه فنادى أحد الرجال سيارة للاجرة ركبها راف ثم ودعه للاعبون وذكروه بوعده . ولما وصل الى القصر صعد توارا الحمام فصب ماء باردا على رأسه ثم در جسمه مثل الكلب السلاق ورع صديقه . ونظر الى الامام فى غضب . وكان الشاب يعلم انه افترط فى الشراب فامتلات نفسه بروح الاحتقار من نفسه — على انه قال انه قضى ليلة كاملة دون أن يفكر بالادب ، مرد وزم المسكين انه حتى فائدة كبيرة لنفسه وحل رافرس فى الصباح على أثر فراغ راف من تناول فطوره فى غرفته . وكان راف جالسا على قاعدة النافذة يدخر غليونه ويطل

على الميدان حيث كانت ايضا تسير مع مربيتها . وكان راف قد نزل في صباح يوم أو يومين الى الميدان ولعب مع الفتاة الصغيرة ، ولكنه كان في هذا الصباح لا يشعر ميل الى الذهاب اليها ومداعبتها كعادته ولم يكن راف يشعر بدوار في رأسه . وهو ما يستحقه . ولكن أرا الحجر وشعوره بمحالته كانا يضايقانه حتى أحس بأنه ليس جديرا حشرة الطفلة . وقد التفتت أيضا مرة ولوحت بيدها الصغيرة ودلائل الاستياء على وجهها الجليل ، ولكن هز راف يده وصاح قائلا انه « مشغول » ثم ترافرس بعثر عينيه الى جسم اللاب الضخم الجالس على قاعدة النائمة وعجب في نفسه قائلا ماذا يفعل راف ياترى وماذا يصنع لو علم انه غيبى ، فتاة « حنة الزائفة » ، على سقفة مده ، ونواطع على الاتفاق الذي تم بين ترافرس وبينها

قال ترافرس بعد قليل

لقد أصبت نجاحا عظيما تلك الليلة ، دليل رفاع الدعوة الكثيرة التي وصلتني . فيها دعوة الى العشاء ، من اللادي كواتوك وها رومة خطبات سر ، مبدات حسان آخيات تدعوك احدهن ان اسير في فندق داتر وادعوك أخرى الى العشاء في كاري . ودناينا الى العشاء في رنلاج . لقد داعتني في تلك الليلة يا حنة تغير

فاه ترافرس بالجمل الاخرة وهو اسمه « كوك » ان يشعر روح الحسد في أعناق قلده فلما دعه

فقال راف لمهدة طيرة

— هل تنسى؟ اني انهدية لأمس به على كل حال ، ودم
آر ، يروا الى حطوب ودنس . ولانة اجمع ان . ريدني سجا

مأدبة في ذلك الفندق الذي تسمونه سافواي ، فقد كنت هناك ليلة
أمس فتمشيت مع تلك الفتاة الصغيرة التي يشبه وجهها وجه الطفل
وأعني بها مبدلين دسبار ومع بعض أشخاص ممن قابلتهم في أماكن
مختلفة . وقد تمتعنا بوقت لذيذ فذهبنا إلى المسرح ثم لبنا بعد ذلك
سكت راف هنيهة وهو ينظر إلى غليونه ولم يلبث أن استطرد
في حديثه فقال

— عليك أن تكتب حوالة ماليه بمبلغ مائتين وعشرين جنيهها
وخمسة عشر شلما وهو المبلغ الذي خسرت

رفع ترافرس رأسه في الحال وقد ملعت عيناه فحاة واشتهجت
نفسه عند ما علم أن الشاب خسر مثل هذا المبلغ وإن فيه مثل هذا
الضعف الذي يمكن استغلاله وزادته ، فأخرج دفتر الحسابات وقال
— بأمر من الدفع ؟
فأجاب راف قائلا

— باسم المستر جونستون جوز . أخبرني بترافرس ، هل أعده مثل
هذا المبلغ خسارة كبيرة ؟

— نعم خسارة كبيرة بالنسبة لي ، في الحال ، هذا طبعي أما
بالنسبة إليك فلا تعدد مرة تذكر

ثم صمت وهو ينفذ الحركات يديه ليشرح ما قد قيل
— أظن أنك تتأثر دائما بفترات عشية الصعبة ، أعني من صعد
هذا المبلغ ، ولكن هذا هو الحال ، شائع طرقتا شهر ٢٤
هذه راف ، وهو يوقع بـ ؟ في الحفرة

— كان كل شيء حسنا . وكانوا كلهم من السادة الكبار ، من
اسماء سان اغز ومن الرجال الامناء

فقال ترافرس في ارتياح

— هو ما تقول . انك من طبقتهم بلاريب وهم يقامرون دائما
بمبالغ طائلة يستطيعون احتمالها مثلك . اظن انك ستقابلهم ثانية
لكي تتأر لنفسك منهم ؟

فاجبه راف على الفور قائلا

— سأقابلهم القليلة . جهاز مائدة في سافوي لسته اشخاص
أوما ترافرس برأسه وفتح خطابات أخرى ثم تظاهر بالاهتمام
فيها وقال في غير اكتراث

— هل كنت تلعب كثيرا في « حنة الراقصة » ؟

فقال راف

— كلا . لا أميل كثيرا الى اللعب ، ولكبك لا ترى هناك رجالا
يرتدون سترات طويلة الاذيال وقبعات كالمداخل وقعايات من جلد
الماعز الابيض ، ومع ذلك يلوح لي أن على أن أماضهم جميعا في كل ذلك
فقال ترافرس وقد رفع حاجبيه

— ما أعظم التغيير الذي تشمر به ! لقد قلت ذلك من قبل ولكن
لا يسعى الا الالافضة في الحديث . اظن أنك لا تمنح الى الايام الماضية ،
الى الحياة القديمة ؟

مكث راف برهة وجيزة يدخن غليونيه قبل أن يجرى جوابا وأخيراً
قال على مهل

— حسنا ، لم اشعر بشيء من ذلك الى الآن ، ولكن ربما حدث

ذلك في المستقبل

فقال ترافرس

— ان هذا طبيعي . وعلى كل حال لا بد أنها كانت أيما سعيدة ،
حياة خالية من الشكاف مع رفاق أوفياء من « الفتيان » كما تسمونهم
دائما ثم الفتيات ؟ أعلن أنك خلقت وراءك قلوبا متوجة باعزى سرائير
— كل رجل حريفا يظن ، ولكن التوجع اذا كان هناك شيء من
ذلك ، لم يكن من صني ليس في المحلة فتيات كثيرات ومعظم النساء
من المتقدمات في السن

فقال ترافرس في غير اكرات

— أى نعم . أظن أنك ذكرت لي اسم فتاة في ذلك اليوم نعمي
مينى . . . توبى . . . كلا ، بل تدعى فينى ، اليس كذلك ؟

فقال راف وهو شارد الفكر

— فينى ، نعم كانت هناك فتاة بهذا الاسم فتة طيبة القلب الى
أقصى حد وكانت مفرمة بابى ، وليباركها الله . أود أن أصنع شيئا لفينى
فاه راف بالجملة الاخيرة وهو يخاض نفسه تقريبا فرفع ترافرس
رأسه عن الاوراق فجاء ثم عاد الى الكتابة قائلا

— هل هي من نوع الفتيات اللاتي يقبلن تقوداً ؟

فاجابه راف على الفور وباهجه التأكيد قائلا

— كلا يا ميدي

هز ترافرس منكبيه وقال

— اذن لا أدري ماذا تستطيع عمله لها

فقال راف في تفكير

— أود أن أدمعها الى هنا لكي أريها ما في هذه البلاد من المناظر
أريد أن تشاهد هذه المدينة وأطرافها المخازن وأريها المسارح
فقال ترافرس وهو يتنسم

— ليس في مقدورك أن ترسل إليها
— لا أظن انني استطيع ذلك ، ولكنني أود ذلك على كل حال .
انها وحيدة منفردة هناك في « حنة الراقصة » . وهي فتاة نحيفة على
نفسها لنفسها ، ذات كبرياء وأبهة ولعمري يجدر بها أن تكون هذه
حاملها لان على المرأة أن تحرص على نفسها في « حنة الراقصة »

فقال ترافرس في غير اهتمام
— اذن تصليح فنتي هذه لان تكون زوجة لمرأى يحسن لخط الزواج
بها ؟ أو من المحتمل انك لو بقيت هناك ..

ثم سكت ورفع عينيه وهو يضحك متظاهرا المزاح فقال راف
— هل تعني انني لو بقيت هناك فربحت ما ؟ حسنا ربما ثم ذلك
فعلا وربما فعلت ما هوذا ، وربما ولكنني ان أتزوج

— في قولك هذا شيء من المعالاة . ولا أن احبها .
الى أم حباب هذه المماثل أنت ، ان رة ؟ لست أرغب ان احب حتى
اذا قلت الدعرة

فقار راف وهو يردد الى

كيف ؟

فتنسم ترافرس .

— لا بد من ذلك .

والكر

لي أن أوفى بوعدي . اسمع سأذهب اليك لأعقب الورق فأعطي بعض
هذه الحوالات لكي أدفع فوراً اذا خسرت

مزق ترافرس بعض أوراق من دفتر « الشيكات » فتناولها راف
ودسها في جيبه ثم غادر الغرفة ، مقابل مود على السلم لجمد في مكانه
ونظر إليها في حزن وكآبة . وقد صعد الدم الى وجهه . وكانت الفتاة
ترتدى معطفاً من القرو الأبيض فبدت في عين راف بنية عذرية لجمل
من نفسه عند ما ذكر ماضيه أمس ، على حين حيته مود قائلة

— عم صباحاً يا ستراتير . لم أرك منذ مدة طويلة ، أين كنت ؟
وكان لورد سان ايفر قد لاحظ أثناء تناول القطور في هذا الصباح
غياب راف عن تناول العشاء أمس وطلب الى ابنته أن لا تسأله أين
كان ، ولذلك تداركت الفتاة غلطتها فقامت

— اعني امك كنت في الخارج طيلة يومك أمس
فقال راف في هدوء

— هو ما تقولين . كنت ... مشغولاً . كنت أخطب ود بعض
بعض أصدقائك وأتجول في انحاء المدينة
— لعلك وجدت شيئاً من التسلية

وكانت مود واقفة وقد تمسك بيدها سياج السلم فأصغرت راف ظهره
الى الحائط وبها في جيبى « بطلون » ركوبه وأطامها هتلاً
— قضيت وقتاً لا بأس به . وقد مضيت المساء مع تلك الفتاة
الصغيرة واعنيها من مدينتين ديمبار . مع بعض اناس آخرين .

تبسمت مود وقالت

— مع مدينتين ؟؟ نعم ، اليك فتاة ؟؟ ولكنها ليست فتاة

صغيرة كما تتوهم يا ستر اكير

فأنت مود بالجملة الاخيرة بلهجة التحذير والدهاء للنساء في فقال راف

— حقاً ما تقولين ؟ هذا ما يلوح عليها . لقد أحسنت معاملتي

فسررت بها

فقال مود على القور وفي ارتياح

— ان الجميع يسرون بها

كان راف لا يزال في حاجة الى حذق وتجربه حتى لا تفتنه رنة

الامتصاص ، لا الفيرة التي ظهرت في صوت الفتاة . على أنها كتمت

عوامتها ومادت فقالت

— هل ركبت جوادك هذا الصباح ؟

بدت دلائل الاهتمام والنشاط على وجه راف فجأة وأجابها قائلاً

— نعم . هل لك ان تأتي معي غدا ؟ هل تستطيعين التأهب في

الساعة الثامنة صباحاً ؟

فقالت مود بصوت هادئ رزين وقد لمعت عيناها لحظه

— يسرنى جداً أن آتي ، ولكن لا يوجد جواد يصلح الركوب

وقد ابتاع أبي لي فرساً . ولكنها لم تروض بعد

— سأعد لك جواداً جيلاً . انذرت الاتفاق يتنازع الساعة الثامنة صباحاً ؟

أومأت مود رأسها علامة القبول ثم صعدت درجات السلم الى

أن بلغت المنحنى الاول فوقفت ونظرت اليه من فوق منكبتها . وكان

الشاب لا يزال واقفاً حيث غادرته يمدق النظر اليها ولكنه لم يحل عنها

فجأة وشرع في النزول فسألته مود قائلة

— هل ستناول العشاء الأيلة هنا ؟

فاجابها في تبرم قائلا

— كلا . سأدعو بعض الاصدقاء الذين كانوا معي ليلة أمس لآغناء

معي في ساقوى

— انتى آسفة . اعنى انك ستتغيب عن المنزل مع أنه سيأتى بعض

أناس تود مقابلتهم منهم لورد سنبورن . هل تعرفه ؟

ساد الصمت هنية وأخيراً قال راف وهو يستأنف النزول

— انتى آسف . نعم أعرف لورد سنبورن

الفصل السادس عشر

في اسكتلندا الجميلة

أرسلت مدلين دسبار في الحال رسالة لقبول الدعوة ، فأقيمت في المساء حفلة عشاء تشبه حفلة اليوم السابق ، وقد تعالت أصوات الضحك وكثرت النكات كالعادة ووزعت الخمر بكثرة ولكن لم يكن نصيب راف منها الا القليل . وقد لاحظ المستر بونسبى جونز هذا « انتكشف » ولكن أجابه راف في رزانة قائلا

— لم أكن يوما ما سكيراً

ذهب الجميع بعد العشاء الى المسرح فزادت مدلين تودداً الى راف ووضعت يدها على ذراعه مراراً ولكن الشاب لم يقابل توددها هذا بمثله ولم يضغط على يدها كما حدث أمس بل قابلها في فتور . ولا عجب فقد كان يفكر بعود طول الوقت وتغنى لو كانت بجانبه بدلا من هذه الفتاة الثائرة . واتفق ان أطال راف النظر مليا الى الفتاة الصنيعة

الجسم ، فرأى ، كما قالت مود ، أن مدلين دسيار ليست كالطقة كما تبدو لأول وهلة

والظاهر أن الفتاة تأملت لبرودة هذا فقال عندما ساعدها على ركوب السيارة

— ماذا أصابك اليلة أيها الورد ستراهيم ؟ انك تبدو فظا خشنا كالذب

فقال راف وهو يتبسم في برود

— ومن قال لك اننى لست دبا ؟ اذا رأيتنى فى حالة أخرى فاعلمى اننى فى حالة غير طبيعية

فاجابته الفتاة على الفور قائلة

— اننى أشد ميلا اليك متى كنت فى غير حالتك الطبيعية

— اننى أعد عواطفك هذه من نحوى مكرمة عظيمة منك

فاه راف بهذه الكلمات فى برود أيضا زاد الفتاة استياء فهزت كتفها ومالت فى سيارتها الى الوراى وهى تقول فى نفسها أن هذا الغاب ، ذا الشعر النعاسى الذى جاء من مجاهل اميركا ، ليس ساذجا سهلا كما خيل اليها أول مرة

ذهب الرجال الى « نادى الاس » فقدمت الشباى ولكن راف لم يذقها وقد فامر المقامرون بمبالغ طائلة كما جرى فى اليلة السابقة ، فما كس الحظ راف مدق وجيزة ولكنه لم يلبث أن تغير فربح الشاب ربمعا عظيميا

حسب راف ما ربح ولما عرف موقعه نهض ن الحال قائلا

— لقد تساوت الكفتان أيها « الفتيان »

فاحتج أحدهم قائلا

— هل تريد للكف عن اللعب ؟ ما الفائدة من عدوك اذا كانت
الكفتان متعادلتين

فقال راف بلهجة الارتياح ولكن في حزم
— أظن أن هذا خير ما يلائمى ، أقول الحق اننى لم لعب الا
للاقتباس بكم . انكم جميعا « بيض » القلوب وقد أظهرتم محوى كل
ود وصداقة ، ما الداعى الذى يحملنى على أخذ تقودكم ، ثم ماذا يدعوكم
الى أخذ تقودى ؟

حذر الرجال النظر بعضهم الى بعض فى دهشة عند سماع هذا
القول الجديد ثم لم يلبثوا أن قهقهوا قد راف فى خلال ذلك يده
للمضغمة وضغط بها على يد كل واحد منهم ثم استأذن وانصرف
وفيا كان الشاب سائراً فى طريقه الى القصر أحس بارتعاض فى
نفسه قائلاً أن هذه المدينة لا تبدو من المدن المسلية الجميلة . ولا عجب
فقد أخذت الحياة الجديدة تحدث أثرها فى نفسه وقامت فى رأسه طائفة
نقية نارت سورتها على هذا الضرب من الحياة التى يحياها هؤلاء القوم
الذين اتى فى وسطهم ، فتأقت نفسه فى الواقع الى لقاء نظرة على حياة
العمل النقية ، الحياة البسيطة التى غادرها حلاما فى محلة « حنة الزافسة »
واحس بحنين وحنوق إليها حتى خيل إليه أن القوارع التى يمشى فيها
قد انقضت عليه . وان الليل خال من الهواء

فام راف نوما سيئا على عكس عادة لانه كان يفرق فى نومه على
أثر اللقاء رأسه على وسادته ، ومع ذلك نهض من فراشه كالعادة فاعد
الفرس وأسرجها بعناية خاصة هذا الصباح فوضع يديه سرجا من أجل
السروج الخاصة باللاذى مزد وثاد للفرس بنفسه الى مدخل القصر ولم

تغض لحظة حتى فتح الباب وظهرت اللادى مود وقد ارتدت بدلة
ركوبها فبدت في عيني راف اجل منها ليله كانت ترقى ثياب الرقص
— صاحت مود عند رؤية القرس قائلة
— ما أجملها يا سترافير ! انها بديعة بمعنى الكلمة .

فقال راف بلمحة حاسمة

— وهى هادئة كما تبدو جميلة

فرغت مود من لبس قفازها الطويل ثم نزلت . وكان راف لا يعلم
شيئاً عن الطريقة الصحيحة لمساعدة سيدة على ركوب جوادها بل
يعرف وسيلة واحدة قد اليها ذراعيه وحملها حتى وضعها على السرج
بخفة وسهولة كأنها حزمة من قش ثم أصلح ثوب ركوبها في عناية وشد
الحزام كما لو كانت إحدى الفتيات في محلة حنة الراقصة

خضعت مود لمساعدة كما استلمت له عند ما رفعها الى صهوة القرس
ولكن لم يبد على وجهها غير تورد قليل ! على حين وثب راف الى
صهوة جواده في خفة ثم سارا معا في صمت ، يراقب الشاب القرس
في اهتمام ، الى أن قالت مود في ابتهاج

— آه ، انها مثال الجمال من أين أتيت بها ؟ هل استمرتها ؟

— انها القرس التي ابتاعها أبوك وقد روضتها لك

القت الفتاة عليه نظرة سريعة تغف عن الامتنان قائلة

— ثم لم تغف بكلمة واحدة عنها !! ما أطيبك يا سترافير ! لقد تحملت

مشقة كبيرة بلامراء

— لم أحمل شيئاً بل بالعكس وجدت في ترويضها لذة وتسلية .

وقد كانت حلوة كالسكر ، وديمة كاللؤلؤ ، ومحبوبة كغراش من الريش

ضحكت مود والتفتت اليه بعينين لامعتين وقالت

— ماهذه الكلمات المضحكة التي تقوه بها يا ستراتيير ؟ ومع ذلك

تراها مقنعة قوية . فاقتراش المصنوع من الريش محبوب حقا . كم أنا

شاكرة لك عمتة . انها فرسى الخاصة ، ليس كذلك ؟

فقال راف بلهجة الحذر

— اذا حافظت على مسلكتها هذا الى النهاية . سترى

دخل راف ورفيقته البستان فانتهزت الفتاة الفرصة وأطلقت القوس

العنان ومعه راف ، الى أن وقتت في النهاية فصاحت قائلة

— ماأبدعها ! ماأميرك يا ستراتيير حتى استطعت أن تروض فرسا

كهنه ومثل هذه السرعة !

— ليس في هذا مهارة اذا كنت مفرمة بالجياذ . متادة عليها ،

وهي مخلوقة حسنة الخلق سأعلمها أن تتبعك كالكلب وأن تقف ثابتة

متى امرتها ، وان لا تتحرك من المكان الذي تفاديينها فيه حتى ترجع اليها

فقالت مود في لهفة غير عادية

— نعم ، نعم . يجب أن تعلمنى كيف أسوسها ، علمنى كل شيء

تستطيعه يا ستراتيير

فقال الشاب في خضوع فجائى

— ان هذا لا يستغرق زمنا ضويلا . لدى اشياء قابلة في وسعي

أن أعلمك اياها . انما أنا الذى احتاج الى تعلم كل شيء

فانتمت الفتاة عليه فثيرة وقالت

— كلا . انك تلتقط الاشياء بسرعة

قال راف بعد قليل

— هذا مكان لا يصلح للركوب لانه أشبه شيء بميدان سباق . كم
أود لو اتنا في مكان فيسيح تستطيع الجياد ان تبسط فيه قوائمها . اما
اذا جربنا هذا هنا فان الشرطي يرفع اليينا يده فنضطر الى الوقوف ..
ان مدينتكم هذه صغيرة جدا

وكانت مود تنظر اليه في اهتمام دون ان تنظاها بذلك ، فلاحظت
هنا من دلائل الذبول على وجهه ، ومن علائم التعب في عينيه . وكانت
تعلم أنه وصل الى المنزل متأخرا ليله امس لانها كانت مستيقظة ، بل
وتفكر به أيضا فسمعت ينفلق باب القاعة خلفه في الساعة الثالثة صباحا
وسمعت خطواته الثابتة على السلم

بدأت دلائل الكآبة على وجهه تنفضة وتومت للصلت لانها لم تكن
تجهل ان شاب كراف عرضة لكثير من عوامل الاغراء والتجارب في
مدينة كندز . على ان دلائل الملل التي لاحظتها في عينيه لم تلبث ان
تلاشت بعد قليل لان قربها أثار كوامن الفرح في قلبه . على أنه كان
طول الوقت يراقب الفرس في اهتمام ولم يلبث ان امر مود بالوقوف ثم
رجل عن ظهر جواده وحل لجام الفرس قائلا

— ان فيها رقيق وفي وسعتك ان تركبها بدون لجام
— لا يفوتك شيء يا سترافير . عند راقبتها طول الوقت
— نعم بلاديب . اني مشغول عنها
ثم تنهد وقال

— ليتنا كنا في العراء

فقالت مود وهي تبسم

— هذه امنية من المهمل تحتيقها . لماذا لا نذهب الى اسكتلندا

يا سترافير ؟ لقد اعد كل شيء . ولم يبق ابي أن يفتلك لانه يستغنى
انك لا تريد مغادرة لندن بعد هذه الفقرة الوجيزة

فقال الشاب بلهجة الحرم

— كفاني ما لقيته في لندن . لنسافر الى اسكتلندا غدا

— غدا ! لا ادري هل نستطيع السفر بهذه السرعة ولكن في وسعنا

ان نسامر بعد غد . وعلى ذكرى ذلك يا سترافير — وهنا التفتت اليه

وقد تورد وجهها — هل تريد ان يذهب ... ان ارافقك . ربما تفضل

السفر وحدك ؟

شراف اليها ثم ضحك ضحكة حولت تورد وجنتيها الخفيف

الى حرة الخجل ولكنه قال في رزاه

اظن ان في وسعي ان اخذ رأيتك ايها اللادي بود ، فاذا تريد

نظرت الفتاة الى رأس القوس ملي ثم فنثرت الى الشاب وخاطبته

في ثبات كالمعادة قائلة

— يعرفني جدا . ان اسافر . وستكون لدى اشياء كثيرة يريد أن

أرهبها لك لانني اعرف « جلفير » حق المعرفة كما تعلم . انها مكدون

مديع ولكنني لا اقول لك الا ان سها شيئا لانني اريد ان اطعك بها

معاذة . ان اكون معك عندما تقع عليها عيناك لا ودمر

— هذه بكريه . بكريه . وبعدي لا نتمتع بها كما يريد ادا لم

تدري في معنى

حسرت باله حديت حديت حديت الى آخره

بعض من هذه القصص التي مبعث حالي . كانت بعد تخلص حياة بلد

... في ذلك الحين في ذلك الحين في ذلك الحين

الجميدة التي كان يقطعها على ظهور الجياد وسط الاودية وفوق التلال
في البلاد التي غادرها

وكان الشاب يتحدث بعينين لامعتين ثمان على ما يشعر به من سعادة
ولسكن لم يلبث هذا اللعان ان تلاشى وتهدج صوته اذ وقعت عيناه
الحاذقان على فارس قادم نحوهما في البستان ، هو الورد سنبورن وكان
جالسا على سهوة جواده مثل غرارة ، يجول بعينيه فيما حوله الى ان
رأى مود فابتسم ابتسامة لامعة لها ورفع قبضته لراف في غيرا كتراث
ومحالة ارسلت الدم الى وجه الشاب المسكين ثم تحول نحو مود
وغاطبها قائلا

— همي صباحا ايها اللادى مود . ان الوقت ملائم للركوب . ارجو
ان لا تكوني تعبـة من رحلة أمس ؛ لقد كانت ليلة سارة . هل الورد
سان اغفر بخير ؟ آه ، فرس جديدة ، أليس كذلك ؟
فأجابه مود قائلة

— نعم ، وقد روضها لي لورد سترافير . أليست جميلة ؟
ليتر سنبورن الى العرس من خلال نظارة ثم نظر الى راف بالوسيلة
عينها كما لو كان جوادا . آخر ثم قال في شيء من الدهشة
— حقا . ان في هذا شيئا من المخاطرة ، أليس كذلك ؟ كان الاجدر
ان تستعدي رجلا فنيا مثل الرجل الماهر الذي يوجد في شارع «سوث
اورلي»

لم يشأ سنبورن قوله هذا لتهمك وانما اعرب به عن فكرة خطرت
له ، ولكن سعد الدم الى وجه راف وبأن اثره في عينيه كما يحدث
عادة اذا ماثار غضبه وصاح قائلا

— اسمم يا مستر سنبورن . . ايها اللورد سنبورن هل تمد نفسك
اختصاصيا في الجياد ؟

لقد حق سنبورن النظر اليه وقال

— هل اعد ؟ . . . كلا ، ان الجياد ليست من شئوني

فقال راف وهو ينظر استهزاء الى جواد اللورد .

— هذا ما اعتقده

قال سنبورن

— ولكنني احسن الصيد

— لملك تحسن الصيد اكثر من الركوب

او ما سنبورن برأسه دون ان يغضب وقال

— نعم احسن الصيد

ثم التفت الى مود كأنما انتهى حديثه مع راف وأخذ يتحدثها عن
اصدقائه وأصدقائها ، عن هذه الجماعة ونك ، كما لو كان راف غير
حاضر معهما

احتمل راف ذلك هنية وأخيراً قال فجأة

— انني ذاهب الى القصر يا مود

فقال اللورد سنبورن قبل أن تتمكن الفتاة من الكلام

— عمو صباحا . سأتولى رعاية اللادى مود

— أمت !

ثم راف بهذه الكلمة في احتقار مستور ثم تملك عواطفه وقال

في هدوء وسلام

— أن اللادى مود تركب معي وهي تمنظي صهوة فرس صغيرة

على أن اتولى مراقبتها

جلست مود بين الشابين بقلب شديد الخفقان ، ولكنها كانت
أكثر تأدياً من أن تظهر شيئاً من التأفف أو التضجر بل ابتسمت
ابتسامة رقيقة وناظبت لورد سنبورن في حزم وثبات قائلة
— لا أعلن أن هناك ما يدعو إلى القلق ولكنني في حماية اللورد

ستراشير . الى المنتقى

كاد انصمت التام محل بينهما أثناء عودتهما ولكن مود تعددت
تعمير صفوه من وقت الى آخر فكانت تضرب عرق العرس في ردف
وابتهاج وعندئذ تعرب عن امتنانها لراف . ولما وسلا الى القصر مد
راف ذراعيه ليساعدها على الترحل ولكنها نزلت خفاً دون مساعدته
ونجا كان يدخلان لايور ، اذا لجورد سان ايغز يغادر غرفة القصور
وقد كاد يصبح ابتهاجا بجمال العرس ونجح راف في ترويضها لآل كني
الغاب طامعة ثلاً

.. اصمح يا لورد سان ايغز ، هل هناك ما يمنع من السفر معي

ذلك المكان في اسكتلندا ؟

ضحك سان ايغز دهشة وثق

— غدا ! هذه ساعة يا لورد . هي ليست الا مئة في لندن

بهذه السرعة ؟ ذاك ؟

— هو ما تقول . وسأحتفل ما هو ثمرة هذا . انت يا

آخر . ما ذبح من السفر غدا ؟

قتل سان ايغز في تردد

— حسناً . . لا شيء . خير ؟ في قسالك مود . . . ثم ارسل

نستطيع المحرّب كل سهولة أما النساء فيقضين مدة طويلة في اعداد حقائقهن

فقال مود وهي تصعد السلم

— في وسمى أن أناهب للسفراء أبت. ان لوذا تعلم اننا على اهبة للسفر

فقال راف في هدوء -

— اخذ تم الاتفاق

ثم تحول وسار فناداه سان ايضراً قائلا

— الى أين يا سترافير ؟

فاجابه الشاب قائلا دون أن يلتفت اليه

— سأذهب لتنظيف القصر

فناداه سان ايضراً قائلا

— هناك السائس

ولكن راف هز رأسه وتبع الجوادين الى الاصطبل

لما عاد راف الى القصر وجده في حالة ارتباك ، ولكنه ارتباك

بسيط لان القوم الذين في مكانة سان ايضليس عليهم الا أن يصدروا

أوامرهم فتقوم ايدي أخرى بأنماز ما يطلبون والواقع اشتغل الخدم

والوصيفت بأعداد الحفائب وأعدت مركبة في صباح اليوم التالي

لثقل المسافرين الى المحطة فاجق بالقطار المريع وأرسل تلغراف

الى جلنغير ينبيه سكان الضيعة هناك بقدم الوورد سترافير الشاب

الذي استعدوا لقائه

لم يجد راف شيئاً مطلقاً يمهله فجلس يدخن غليونته وهو يطل من

البغدة وقد سبحت افكاره الى سنبورن ومقابته وفيما كان يفكر في

(م ١٥ - بين نارين)

هذا الامر اذا بترافرس قد دخل عليه وقال وهو يتزع قمازه الجلدى

— اذن استقر رأيك على السفر الى اسكتلندا يا ستراثير ؟

فاوما راف برأسه وقال

— نعم غدا

— هل أرافقك الى هناك ؟

— نعم بل اريب هذا فى وسعك على ماأظن ؟

فكر ترافرس فى الامر بسرعه قبل أن يجرى جوابا . وكان على موعد مع فينى فى الغد ولم تكن خططه ولا استعداداته قد تمت بعد
وه ذلك قال

— سأتابعك بعد يوم أو يومين ، هذا اذا لم تكن فى حاجة شديدة الى

— حسنا تعال متى شئت

جلس راف أمام مائدة الطعام فظفر ترافرس اليه وقال

— أراك كثير التفكير اليوم يا ستراثير

فقال ر ف

— حقا ؟ اننى شاحب لهون قليلا ومثلنى مثل حواد صغير خرج

لاول مرة فتنداب على مخاطر الطريق . ولا أن اخبرنى يا ترافرس هل يأتى يوم اعلم فيه كهف أمد بصرى من فوق رأس الرجل الذى أحذنه كما لو لم يكن موحوداً ، وأن الصق قطمه من الزجاج على عيني وابتمهم كما لو كنت ... كنت غرا'اله ؟

التي ترافرس نظرة حاده على الشاب على أنه ضحك وقال

— من اتخذته فى تخيلته انموذجا لتلك ؟

فقال ر ف وهو يزجر

— حسنا كنت أفكر ببعض الرجال الذين تأتيهم في مدينتكم هذه

بذلك اللورد سنبورن

مهما حاولت يا زبدي ستراثير فانك لا تصير مثل لورد سنبورن
ثم ماذا يدعوك الى ذلك ؟

فقال راف وهو يدنع طبق الطعام عنه

— لأدري ، ولكن يوحى لي أن هذا الطراز من الرجال يروق في
أعينكم . ولكني لا أريد أن اتكلم عنهم . أريد أن أنساه لأنه يثير
الغضب في نفسي . ثم ...

كف راف عن الكلام فجاء وتحول عن مائدة الطعام ثم طاد
فأشعل غليونه

أعدت رحلة الغد وتعدت على قوا ، دسمة كما لو كان الجماعة مسافرين
الى أحد الضواحي لعماء حلة خلوية تعيرة . فخرج موظفو السكة
الحديدية عزبة خاصة لهم ، أخذت 'وبز' رئيس الخدم بمحومان مثل
ساكنين حارسين ، ورصف المفتش حانيا وبلي ثمره ابتسامة ثم على
الاهتمام والجمالون وروحو ويغندون يحملون الخنايب الماعطف الى العربية
وكانت اللادى مرديهي ترتدي ثوبا أنيقا للسفر جملها مثل تلميذة
مدبرة ، تدير الى جانب راف ذهابا وجيئة على أنزول المحطة ، ولم
تمض لحظة وبزدة حتى نهض الى المكتبة ، فاستقرى راف من الخيلان
والروايات ما يكتسب تراءيا عاما ، كانا 'بنا' خركا ومهما فعلا محض 'الغار'
الجميع لان المساترين الآخرين كانوا قد قرأوا ما كتب على ثعربة
التي خضعت لهم وأخذوا يترددون الى 'مرا' الجماعة واحدا
بعد واحد .

وكان راف قد تأمر في نفوس الناس الاهتمام الأكبر بضخامة جسمه
ولون شعره وتاريخه العظيم ومع ذلك كان الشاب لا يشعر بشيء من
ذلك وجعل يتمنى بجانب مود الى أن خرج القطار السريع . ولم يكد
يفادر افريز المحطة حتى ذهبت همومه وانتعشت نفسه فجاء الى مود
وبطريقته الخشنة الرقيقة هيأ لها اسباب الراحة فوضع مسندا خلف
ظهرها وحل حقييته الصغيرة فوضعها تحت قدميها لتسند عليها رجليها
وكانت الفتاة تتقبل رعايته هذه وهي تضحك وتحتج قائلة
- ان من يراك تفعل ذلك يظننى سيدة عجوز يا سترافير . هل
تظهرون دائما مثل هذه العناية بنساءكم
فقال راف

- نساءنا ؟ لم يكن لى شيء من ذلك
- لا بد أن يكون لديكم نساء وفتيات في تلك المحطة ، في « حنة
الراقصة » ؟

فزجر راف قائلاً
- أى نعم . قد نازل علينا معشر الرجال ان نهم بهم بطبيعة الحال .
الآن اخبرينى ، هل أنت مستريحه ؟ ماذا لم تخلعى قبمك ؟ انك
لا تستطيعين الميل الى الوراء وهي على رأسك
أخذ راف يراقب الفتاة وهي ترفع اليدين الرقيقتين اللتين طالما
حن الى لمسها ، وشخصت عيناه اليها وهي تجذب الدبايس وترفع
القبعة عن رأسها ثم وهي تسوى خصلات شعرها الاملس الرقيق بتلك
الحركة النسائية الرقيقة التي تخلق عقول الرجال الذين يراذبون هذه
العملية الصغيرة

وكانا منفردا في العربية لان اللورد سان ايفز كان قد ذهب الى عربية التدخين مع مجموعة من صحف السباق والمجلات ، نعم كانا منفردين ، فلم يكن هناك لورد سنبورن حتى يأتي بظله الثقيل بينهما فاخذت روح الشاب تسمو وتنتعش كلما جد القطار السير بهم نحو الشمال حاول راف ان يجعلها على التحدث عن البلاد التي يقصدها ، عن اسكتلندا التي تحبها حبا عظيما ، ولكن هزت مود رأسها ورفضت وهي تضحك اشقاء غلته قائلة

— اريد ان تراها بعيني رأسك ، ولا اروم ان اخفف من وقع جمالها في نفسك . آه ، انها بلاد ليس لها مثيل ولكن سترى . سترى . وستميل الى أهلها الذين يشبهون بلادهم ، انهم يعيشون لا تقسمهم ، يختلفون عن الشعوب الاخرى وهم قوم عرفوا بالشجاعة والاخلاص والاقدام

كانت الرحلة أجل رحلة قطعها راف في حياته وكان سان ايفز يأتي لرؤيتهما من وقت الى آخر ، ويذهب راف الى عربية التدخين ليدخن غليونه ، ولكنه كان دائما يعود الى مود بعد فترات وجيزة

واتفق ان ماد راف مرة فرأى الفتاة تتنأب وتترك عينيها خاطياها قائلة

— هل تفرين بالنعاس ؟ اتجمعي . سأعد لك فراشا وثيرا

كدس راف الوسائد ثم أشار اليها أن ترقد . ولما خضعت لارادته وهي تحتج غطاها بدثار ثم نظر اليها في رفق وحضو نظرة حملتها على ارضاء عينيها فقادرها عندئذ وذهب ليدخن ويفكر فرأى ان الرحلة سارة ، وان الساعات على الرغم من طولها ، قصيرة في نظره لانه كان يتمتع بمود لنفسه . وكانت تحت رعايته وعنايته

وكان الليل بدأ يرخي سدوله عند ما وصل بهم القطار الى محطة صغيرة واقعة في سفح تل نطل على بحيرة ، خيمت عليها ظلمة الليل ، فصاحت مود قائلة

— ها هي المحطة . لقد وصلنا

لما ساعد راف الفتاة على النزول من عربة القطار رأى جمعة من الرجال في ثياب غريبة على افريز المحطة ، فتقدموا عند ما وقف القطار يسير في طلبهم شيخ كث اللحية ، لمع الحو وحده يحمل قبعته في يده وتتحرك تقاطيع وجهه كما يحدث للانسان عادة اذا كان في حالة تأثر وانفعال ، فوضعت مود يدها على ذراع راف وقالت بصوت خافت

— هذا دودل . ناظر الضبعة وقد جاء لمقابلتك . . . بل جاء الجميع لمقابلتك . انك رئيس اسرة ستراثير كما نعلم . رهي اسم شيء بشاكة...

أواه ، لا أستطيع ان اشرح لك كل شيء . ليس هناك وقت . ولكن احسن اليه باستراثير نظرا انه ... انه يكاد يعبدك . كان يجادلني أن اخبرك ولكنني أردت أن نجد كل شيء على حين غرة

تقدم الشيخ الى راف وحقق النظر في وجهه وياه بكلمة واحدة بصوت مبجوح متهدج ، ثلا استراثير في اوقات هذه الكلمة كل شيء في العالم

مد راف يده وقتل وجهه ابتهاجا والاه ربه الجهود انما يستحق

— نعم ا ، ستراثير . كما حاك ياتمه بالد يحزن أن أراك

كانت هذه ترحيبه أكثر مما يرقعه الشيخ الاسكتلندي فلانت أسارير وجهه كما يذوب الناج تحت الشمس وقبض على يدا راف ورميت عيناه كأنها بهرتهما أشعة الشمس ونعيت شفتاه ولزم الصمت هنيئة

وأخيراً قال بصوت متهدج

— مرحبا بكم أيها اللورد سترافير . مرحبا أيها المولى . لقد
جئت الى قومك ، الى وطنك في النهاية

دهش راف وتولاه الارتباك لحظة عندما أخذ الرجال الذين احتشدوا
خلف دونالد يهتمون له ويصيحون قائلين

— مرحبا بعودتك الى الوطن يا سترافير

التفت الشاب الى الآخرين ، وهو لا يزال قابضاً على يد الشيخ ثم قال

— شكراً أيها الفتيان . من دواعي سروري أن آتي الى الوطن

لَمْ يَفْهَ راف بغير هذه الكلمات ولكن أغرورقت عيناه موداً بالمواع
مع أنها تمتعت وهي تضحك قائلة

— أ — سترافير ، 'احسنت' ... 'احسنت' في قولك

وكانت في خارج المحطة عربة ركبها الجماعه . وكان الطريق الى
القصر يجتاز أنزل فاستطاع دونالد ودعاه أن يسير وادع العربيه جنبا
الى جنب دون مشقة . الى أن بلغوا ، ، ، ، يا في الطريق فوقع شينا
راف على حصن ضخم ، تمتد أطرافه الى سفح التل ، وتقوم خلف جبهته
الرمادية أشجار السنوبر الشاخه

نعم كان لمشهد را هيبه في النفس ، ولكن راف الذي رآه لأول
مرة بعينين غريبتيرو هاله ما رأى وقال بلسان متعجب

— هل هذا ... هل هذا ... ؟

فاحتبته مودة قائلة

— نعم هذا قصر حليف ، ميراث الاسكندري

ركانه أرادت أن تدبف تعيتم الى تحية بفره وصوت بدو على يده